حسن زعرور

سيف داوود

خداع وأضاليل



دار الرسول الأكرم (ص) — دار المحجة البيضاء

سيف داوود

خداع وأضاليل


بسم الله الرحمن الرحيم

سيف داوود

خداع وأضاليل

تأليف

حسن زعرور

دار الرسول الأكرم «ص»

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م



دار الرسول الأكرم
طباعة ـ نشر ـ توزيع

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك شارع القسيس خلف البلدية، ص ب ٨٦٠١ / ١١
هاتف ٨١٤٢٩٤ / ٠٣ ـ فاكس ٨٢٢٥١٩ / ٠١ ـ ٠١٩ ٠١٩ ٠١٦٠١٠١٩

هذا الكتاب

لم يسبق لأمّة من الأمم عبر التاريخ القديم أو الحديث أن لقيت من الشعوب الأخرى المقت والكره لها مثلما لقيت الأمة اليهودية.

ولم يكن مردّ هذا الكره، الغيرة والحسد كما ادّعى اليهود مراراً، وإنما جاء نتيجة لأسلوب التعامل اليهودي مع الآخرين.

لقد عاشت الأمة اليهودية حلم الامتلاك والسيطرة منذ أن وجدت وخلال تشرذمها بين الأمم، واستعملت لتحقيق غايتها أحطّ الأساليب وأحقر الصفات دون وازع من دينٍ أو ضمير «كل من يسفك دم شخص غير يهودي، عمله مقبول عند الربّ، كمن يقدّم قرباناً إليه»[1]، وهي لم تتورّع يوماً عن الكيد والدسّ والافتراء، ولا عن الخداع والتضليل، ولا عن التزييف وتبديل الحقائق، ولا عن شراء الذمم والضمائر، ولا عن إحداث الفتن وإثارة الحروب «قال الرابي جيهودا: الخطة الحكيمة لمقاتلة المسيحيين هي الخطة نفسها التي استخدمها يعقوب مع (ضد) إيسو ـ الخداع والمخاتلة ـ كلّما كان ذلك ممكناً إلى أن يعاد النظام الصحيح، ونحرر أنفسنا ونسيطر عليهم[2] «ولا

(١) كراس آيالكوت سيموني ٢٤٥س.

(٢) زوهار ١٦٠أ.

تشفق عليهم أبداً ولا ترحمهم، لهذا إذا رأيت اكوم (غير يهودي) في ضيق أو بلاء أو غارقاً في مياه فلا تساعده»[1]، تلك هي التعاليم اليهودية ومن خلالها كان تعاملهم مع البشرية جمعاء!

لقد كتب الكثير عن اليهودية، وقد قارب البعض ممن كتب جانب الحقيقة عنهم بقدر ما أتيح له، فيما جانب آخرون هذه الحقيقة لأسباب شتّى، بعضها دفين نفس الكاتب، والبعض الآخر مدفوع، وبأجر إما لتحويل الأنظار أو التضليل والتمويه والتعتيم، أو لإثارة الجدال والبلبلة وتعميق المتاهات، أو للترهيب والتخويف، أو للتعمية المقصودة الخ . . .

ولكننا حاولنا من خلال هذا الكتاب إلقاء الضوء، الضوء الحقيقي المنير لبصيرة من يريد أن يفهم ويعي خطورة هذه الأمة على البشرية جمعاء، دون مبالغة أو تضخيم في الدور الفعلي الذي يقوم به اليهود لتمزيق الأمم والأديان، معتمدين في ذلك على إصحاحات العهد القديم (التوراة) وأسفار الإنجيل، وتعاليم التلمود اليهودي الغير متداولة إلاَّ ضمن القلة اليهودية من حاخامات ورجال دين يهود إضافة إلى نسخ من كتب وتعاليم تكشف وحشية هذا الشعب ولؤمه وغدره وسعيه ليس لإقامة دولة يهودية من الفرات إلى النيل فحسب وإنما لإقامة حكومة العالم اليهودية ولا نبالغ هنا! فقد أوشك الحلم اليهودي أن يتحقق! إن لم نعرف فلنقرأ وعن ألسنة اليهود أنفسهم.

المؤلف

---

(١) هيلخوث اكوم اكس ١ ـ ميمونيدس.

الفصل الأول

بين الماضي والحاضر

. . .تقدم مناحيم بيغن إلى المنصّة دون أن يلتفت تجاه الختيار[1] وحين اعتلاها عمد إلى مسح نظارته محاولاً تهدئة انفعالاته والسيطرة على نفسه.

لم يكن قد نسي بعد ألم الصفعة التي وجهها له بن غوريون منذ أيام، عندما أقدم على الاستيلاء على الألتالينا[2]، وحلّ منظمة الأرغون وكان أعضاء الكنيست يرقبونه باهتمام وهمهمة خافتة بين الصفوف وما كاد يبدأ كلامه حتى ران على القاعة الصمت.

ابتدأ بيغن الحديث عن حكم الفرد، والتسلّط على مقدّرات الدولة الجديدة، مشيراً إلى بوادر ظهور دكتاتورية فردية في دولة إسرائيل يمثلها رئيس الوزراء، معتبراً أنّ معظم وزراء الحكومة ليسوا إلاّ موظفين لتصريف الأعمال، وتابع بيغن كلامه محذّراً «. . .ليكن معلوماً أنه لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ولا للعرب، مادمنا لم نحرر وطننا بأجمعه(!!) حتى لو وقّعنا معاهدة الصلح»[3].

---

(1) الختيار: لقب بن غوريون.
(2) الألتالينا: سفينة أسلحة لمنظمة الأرغون.
(3) الكنيست الإسرائيلي ٧/٤/١٩٥٠.

عندما ترك بيغن المنصّة تعالت الأصوات بين رافضٍ ومؤيد ولم تهدأ تلك الأصوات إلاّ بعد تحوّل الأنظار نحو بن غوريون مترقبة ردّه.

غير انّ رئيس الوزراء كان غارقاً في صمته إبان إلقاء بيغن لكلمته، مطلقاً العنان لتفكيره في اتجاه آخر بعيد، فقد نجح موشيه دايان وعبد الله التل في إقامة خط اتصالات بينه وبين ملك الأردن عبد الله، وقد أخفى بن غوريون ذلك حتى عن أقرب وزرائه إليه مخافة تفشي السرّ وانقطاع المفاوضات الجارية في الخفاء.

عندما اتجه بن غوريون إلى المنصة ووقف خلفها، أجال بصره بين أعضاء الكنيست بتحدٍ وتعال ثم أخذ يتلو كلمته بنبرة قوية وهادئة وقال:

«...إننا في مرحلة جديدة لبناء وطننا وأمتنا اليهودية، أن حرب التحرير ليست سوى «الفصل الأول» فنحن لم نرث بلاداً واسعة وإنما وصلنا إلى أولى مراحل استقلالنا(!!) بعد مجهود سبعين سنة، في قسم من بلادنا ولا مناص لنا من مجهود أعلى، مجهود لا يوجد أعلى منه لكي ننجح، هذا المجهود يفرض علينا أن نستعبد الناس، وقد اخترت الكلمة عمداً، نستعبد الناس وأن نسخّر الجمعية الصهيونية العالمية بمؤسساتها ومختلف قواها ونفوذها السياسي في سبيل نجاحنا لاستكمال بناء الدولة الكبرى(!!).

إننا لقاء مقاصدنا هذه، معرّضون لصراع عنيف ومختلف الأوجه ويجب أن نفهم نفسية الشعب المعادي لنا، صحيح أن مستوى حياتهم منخفض، إلاّ أنه لا يعقل أن يسلّم ثلاثون أو أربعون مليون عربي بسهولة أن يقهرهم سبعماية ألف يهودي، لذا فإنه «ما لا يمكن تحقيقه بالسيف يمكن تحقيقه بالسياسة» ولأن هدفنا الأساسي ووفقاً لما سمعتموه من أبا إيبان (وزير الخارجية) «أن نكون جسراً للعبور إلى العالم المحيط بنا (العربي)» إن «تحويل إسرائيل من وتد إلى رأس جسر سيكون تحويلاً عظيم البركات علينا وهو هدف أولي»(!!!)[1].

---

(١) من كتاب إسرائيل في احترابها لبن غوريون.

لم يتطرّق بن غوريون خلال إلقاء كلمته لذكر مناحيم بيغن، وهو وإن كان يعتبره رجلاً متهوراً فإن لكليهما هدفاً واحداً، أما مسألة كرهه له فيعود لشخصه ولمعلمه فلاديمير جابوتنسكي «أنهما لا يعرفان طريق المستقبل» قال بن غوريون لنفسه.

وتابع «إن الحرب وحدها لا تصنع النصر، يرى كثيرون أن الدولة اليهودية قامت نتيجة تغلّب السلاح اليهودي على السلاح العربي، ولكن هؤلاء ينظرون إلى الأمر نظرة سطحية بعيدة عن العمق، إن الذي تغلّب هو الروح اليهودية»[١].

لم يكن بن غوريون ولا مناحيم بيغن، بعيدين عن مفاهيم الروح اليهودية وكلاهما جزء من نتاجها، غير أن بيغن اعتبر في مفهومه السياسي لتسلّط تلك الروح أن القبضة الحديدية مع العرب أجدى وأنفع لبناء قوة الروح وسيطرتها، فيما اعتبر بن غوريون أن لا شيء يمنع تغليف القبضة بقفاز من حرير في التعامل المرحلي مع العرب، مما يساعده على جعل دولة إسرائيل حقيقة واقعة لا يمكن الاستغناء عنها كجسر لسيطرة الغرب على الشرق وصلة وصل بينهما في الوقت نفسه، ولذا فإنّ بن غوريون اعتنق ما يسمى مبدأ المرونة والواقعية السياسية للوصول إلى الهدف دون تغيير في جوهر وجود الروح اليهودية العاملة على بناء وطن قومي كامل لليهود، من ضمن مخطط متفاعل وممرحل كان على قادة إسرائيل خلاله اتباع المنهجية الموضوعة مع حرية الحركة الجانبية وصولاً إلى تحقيق الغاية المرجوة.

ولقد غذت الروح اليهودية عبر الأعصر قديمها وحديثها الانتماء إليها والطاعة لها في الفرد والمجتمع اليهوديين وصولاً حتى الامتلاك للفهم والقدرات والحسّ والمشاعر والتوجّه والعلائق الاجتماعية مع الآخرين، هذه المفاهيم تدرّجت واتّسعت وترسّخت حتى غلبت ماعداها في الفرد الذي بات

---

(١) التقويم الرسمي لحكومة إسرائيل.

يؤمن بها إيماناً بعيد الغور تظهره لنا قصيدة الشاعر اليهودي شاوول تشرنحوفسكي من القرن التاسع عشر وعنوانها «ليكن هذا هو ثأرنا» يقول تشرنحوفسكي في قصيدته:

سيأتي اليوم
الذي تفقد فيه أيها المضطهد
طهارتك
وتغرس حدّ سكينك في عنق أخيك
يا يوم الثأر
يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التي
علاها الشيب
ويرفع في وجهك قبضته الصلدة مهدداً
يا يوم الثأر
حيث تعرض ابنتك الحبيبة نفسها
عاهرة
ضعيفة
على قارعة الطريق
هو هو ثأرنا
نرثه جيلاً بعد جيل!

فالروح اليهودية أورثت أفراد مجتمعها حقداً مزمناً لهدم المجتمعات الأخرى وتفكيك الروابط العائلية فيها والانتماء، وهي لم تحد يوماً لا في القديم ولا في الحديث من الأعصر عن هدفها من منطلقات عدّة دينية وسياسية وعسكرية تتضح تباعاً، وعملت بصمت أحياناً ومن خلف ستار أو بصخب أحياناً أخرى وبشكل ظاهر على تأجيج الفتن والحروب أو ساعدت ووجهت الأقطار ذات الوجود اليهودي نحو الانهدامية والزوال.

إن النظر إلى ألفي سنة ما قبل التاريخ المدون وما بعده بما حوت من

تغييرات سياسية وجغرافية وعسكرية يظهر أن للروح اليهودية الأثر البين في الحفاظ على الذات اليهودية كما هي عليه دون تغيير على مستوى الفكر والشخصية والتعامل والنظرة إلى الآخرين، حتى أن اليهودي الذي عاش ما قبل المسيح وما بعده من قرون إلى عصرنا الحالي لا يكاد يختلف بحال في الصفات المشتركة فالغش والخداع والرياء والكيد والتضليل والحقد والكره والتآمر والخيانة صفات لايزال اليهودي يعيشها أو عاشها إن في الحبشة أيام الصليبية الأولى أو في الجزيرة العربية أيام الدعوة الإسلامية أو في الفتح العربي للأندلس أو في الثورة الفرنسية والصناعية ونهضة القرن العشرين.

هذه الصفات تعود للنظم التي وضعتها الروح اليهودية كأقانيم شرّعتها وشرعنتها واستعملتها لتدمير حضارات الأمم الأخرى والمسيحية منها بالأخص «لما كانت مؤسسات الأمميين الرئيسية هي صميم البناء الاجتماعي، لذا فإنّ علينا كيهود أن ندمّر هذه المؤسسات»[1].

ولقد ساعدت مراحل تاريخية معينة تلك الروح على البروز والاتساع واستغلال الفرص، ولم يكن ذلك ليتأتى لها لو لم تقم منذ بدء نشوء اليهودية كوجود قومي وديني بوضع أسس تحرّكها للسيطرة مستغلة تراكم السنين في بلورة أهدافها تبعاً لمتطلبات حاجتها مستعملة الخداع والتزوير في الحقائق التاريخية والتي لم تكن معروفة قبل عصرنا لأسباب عدّة متعلقة بمستوى القدرات والفهم لدى المجتمعات القائمة فيها، إضافة إلى تزوير ديني بلغ معها شوْاً يصعب معه معرفة الأصل الحقيقي الذي وردت عليه رسالة نبي الله موسى عليه السلام، لأنّ من جملة أهداف الروح كان خلق حالة دينية يهودية تكون نواة الوجود اليهودي كله من جهة ومعيناً لهذا الوجود على مناوأة الأديان الأخرى من جهة ثانية «لقد ظلّ الوجود اليهودي طيلة ألفي سنة يشبّع بهدف

(١) كتاب أنتم أيها الأميون، تأليف موريس صموئيل طبعة نيويورك ١٩٢٤.

ذي حدّين، تدمير الحضارة المسيحية، وإقامة إسرائيل لحكم العالم»[1].

وفي عام ١٨٩٧ تمّ إنشاء منظمتين يهوديتين مهمتهما إظهار وتنفيذ أفكار الروح اليهودية وخلق المقومات المساعدة لتدمير المجتمعات المسيحية ثم إقامة إسرائيل لحكم العالم بشكل متواز، وأما المنظمتان فهما[2]:

أولاً: الجمعية الاشتراكية لتدمير الحكومات والأديان.

ثانياً: المنظمة الصهوينية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل.

لقد حجب نجاح المنظمة الثانية بإنشاء دولة إسرائيل وقيامها الأضواء عن المنظمة الأولى والتي أرادت الروح اليهودية لها منذ البدء أن تكون سريّة إلى أقصى الحدود يصعب اتباع أثرها أو منهجية أعمالها ومنع الكثيرون من الإتيان على ذكرها وذكر عملها «الفوق العادة» كما يوصف يهوديا، كما أن السيطرة اليهودية الإعلامية محت أي ذكرٍ لها لاحقاً.

وقد وردت آثار يتيمة لوجود هذه المنظمة من خلال عقدها ولمرتين فقط مؤتمري كوبنهاجن[3] وكالزباد[4] حيث تم فيهما «درس الأهداف والمخططات لعمل تلك المنظمة ونقلها إلى السريّة».

وفي عام ١٩٥١، لمّح أحد قادة هذه المنظمة إلى طبيعة عملها حين أقدم ولسبب مجهول على التصريح «بأنّ فكرة هرتزل عن إخضاع الأقليات يجب أن تتحول إلى حقيقة في أيامنا هذه، ويجب أن تكون من أهم مشاريعنا للسنوات القادمة، وعلينا إقامة مجالس للجماعة اليهودية(؟) تتطور إلى جماعات أشبه بالكهيلا العضوية، ان علينا أن نحقق الأحلام، بإخضاع الأقليات وقيادتها لخدمة روح البقاء اليهودي» هذا الكلام للدكتور ماكس

---

(١) كتاب الأخوة الزائفة، تأليف جاك تني عضو مجلس الشيوخ الأميركي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أوراق المنظمة الصهيونية العالمية لعام ١٩١٨.

(٤) المصدر السابق.

نوسبادم لا يمكن النظر إليه ببراءة أو تهاون في ظلّ اندفاع الأقليّات العرقية نحو الحديث والبحث عن استقلاليتها وبالأخص في الأقطار العربية فنوسبادم لم يقله لمجرد القول أو للمصادفة.

لقد استطاعت الروح اليهودية بما جبلت عليه من مكرٍ ودهاء السيطرة على الكثير من القادة ورجال السياسة في الدول حتى تحوّل معظمهم شاء أم أبى ونتيجة أسباب متعددة خيوطها في يد تلك الروح، تحوّل هؤلاء إلى أداة وأبواق لخدمة أهداف الروح اليهودية، كما وأن مسألة تمييع الارتباط الخلقي والعائلي والوطني أدّيا إلى عكس المفاهيم تباعاً متلازمة في ذلك مع وتائر زمنية مما أحدث تشويشاً في مفهوم الفرد لما يدور حوله، وتمّ دفعه كي يخضع للتوجيه الهادف للإيمان بما أريد له أن يؤمن به، حتى بات ذلك معه جزئاً لا يتجزأ من شخصيته وتكاوينها، بحيث أن البحث في القضاء على هذه المفاهيم يتطلب أجيالاً عدّة وربما القضاء على الفرد نفسه، ومن المنطلق عينه يمكن (ولأسباب أخرى سوف ترد) فهم تقبل المجتمع والفرد المسيحي لمسألة إبراء اليهود من دم المسيح رغم وجود الإنجيل والإصحاحات المثبتة والداعمة والمؤيدة لما قام به اليهود في مسألة الصلب ودورهم، لقد أصبح ردّ الفعل المسيحي على مسألة الإبراء هذه لا مبالاة نتيجة عوامل عدة مورست ولسنوات على العقل المسيحي الديني والاجتماعي وصولاً به إلى هذه المرحلة.

ولقد أصبحت مسألة الصلب الماثلة في صور ومجسمات الصليب في الأديرة والكنائس عادية الفعل كأمرٍ مضى مشكوك فيه، وهو أمرٌ طبيعي يدخل في ردّ الفعل اللامبالي بعد عملية التدمير الممرحل منذ ثورة أو حركة مارتن لوثر وحتى عصرنا، أي تدمير فكرة الحدث (الصلب) من أصلها «نحن اليهود، نحن المدمرون، وسنبقى المدمرين إلى الأبد مهما فعلتم، لأننا نريد عالماً لنا، عالماً إلهياً ليس بوسعكم صنعه»[1].

---

(١) كتاب أنتم أيها الأمميون.

ولم تكن الروح اليهودية قادرة على تحقيق حلم إنشاء دولة إسرائيل لو لم تقم عبر تاريخها الطويل المليء بالمؤامرات والدسائس، بإنشاء قواعد دعم لتحركها نحو هدفها، ومن ذلك إنشاء المنظمات الدينية المؤيدة والمعارضة على حدّ سواء وإنشاء الأحزاب المؤيدة والمعارضة أيضاً والمساعدة على قيام أشباه دول ومقاطعات ضمن الدولة الواحدة وخلق دويلات بهدف زعزعة البنى وتهيئة الظروف التي تسهل لها لاحقاً فرض قراراتها وأوامرها، ومن ذلك مسألة قيام الأمم المتحدة، فالتاريخ الموضوع الموجّه يذكر أن فكرة قيام أمم متحدة برزت خلال لقاء الرئيس الأميركي روزفلت والسوڤياتي ستالين إبان الحرب العالمية الثانية في مؤتمر طهران عام ١٩٤٤.

وما لم يذكره ذلك التاريخ أن فكرة إنشاء أمم متحدة يعود إلى توصية قدمها المؤتمر الطارىء اليهودي العالمي الذي عقد عام ١٩٤٢ داعياً دول الحلفاء «لإقامة نظام عالمي جديد».

والفضل الأول في إقناع الرئيس روزفلت بتبني ذلك الطرح يعود إلى «الجرهس» عضو جهاز التجسس السوڤياتي في حكومة الولايات المتحدة والذي أصبح في ما بعد أول أمين عام للمنظمة عند إنشائها، في ظلّ الدعم الذي تلقاه من «هاري ديكستر وايت» المعين من قبل روزفلت مديراً لصندوق دعم الأمم المتحدة.

وهاري وايت هو الأمين التنفيذي لمؤتمر «دومبارتون أوكس» الذي انعقد في سان فرنسيسكو للبحث في عملية إنشاء أمم متحدة وأشرف بنفسه على ترشيح خمسماية عضو لوظائف في هيئاتها. ولدى انتهاء مؤتمر طهران وتبني مسألة قيام أمم متحدة، عمدت الإدارة السياسية للمؤتمر اليهودي العالمي ومعهد الشؤون اليهودية إلى صياغة مقترحات شمولية حول الموضوع وتبني هاري وايت عملية تقديم تلك المقترحات بشموليتها في مؤتمر دمبارتن أوكس.

أمّا الدكتور موريس فقد استعمل ما لديه من أساليب مع مسؤولي الدول داعياً لخلق ميثاق وقوانين حول الأقليّات في ميثاق الأمم المنوي إنشاؤه، مشيراً إلى ضرورة أن تكون مؤهلات الدول المنتسبة أو المنوي انتسابها للهيئة مرتبطة بحسن معاملتها لليهود المقيمين فيها، وأن على مجلس الأمن والجمعية تحديد مدى قبول تلك الدولة أو عدمه من خلال قوانينها المستعملة تجاه اليهود.

ولم يكتف المؤتمر بذلك بل سارع وعبر اتصالاته مع واشنطن إلى ترشيح ممثلين له أعضاء في المؤتمر اليهودي الأميركي واللجنة اليهودية الأميركية ولجنة العمال اليهود ليكونوا موظفين ومستشارين ضمن الوفد الأميركي وبموافقة وزارة الخارجية الأميركية على ذلك أثناء حضور الوفد لمؤتمر سان فرنسيسكو والمعقود لاستكمال دراسة إنشاء جمعية أمم متحدة ووضع بنود تأسيسها كما وعمد المؤتمر (اليهودي) إلى إرسال مذكرة رسمية تم توزيعها على الأعضاء المجتمعين وجاء فيها «ان الحرب العالمية الثانية لم تبدأ عندما هاجمت ألمانيا بولندا وإنما بدأت فعلاً عندما سنّت ألمانيا تشريعات معادية لليهود(؟!) مطالباً المؤتمر بإلغاء عبارة «تشجيع احترام الحقوق الإنسانية» الواردة في مسودة الإنشاء واستبدالها بعبارة «حماية حقوق الإنسان» (المشهورة).

وشدّد المؤتمر اليهودي على أن «توكل إلى محكمة العدل الدولية معالجة الحالات التي تخرق فيها الحقوق والواجبات والحريات الإنسانية، و«مساعدة الشعب اليهودي للإقامة بحرية في فلسطين نظراً لأهميتها على الوجود اليهودي كلّه ومستقبله»(؟!).

وبتاريخ ١٠ أيار ١٩٤٥ قدمت اللجنة المشتركة للمؤتمر اليهودي مذكرة جديدة للمجتمعين ورد بها:

أولاً: إعلان ميثاق حقوق الإنسان عالمياً.

ثانياً: استعادة يهود أوروبا لجميع حقوقهم فوراً.

ثالثاً: المعاقبة على الجرائم التي ارتكبتها دول المحور.

رابعاً: تحريم المعاهدات السامية سياسية كانت أم قومية أو دولية.

خامساً: إغاثة وتوطين اليهود من قِبل الأمم المتحدة.

سادساً: إلغاء الجنسية.

سابعاً: تعويض اليهود عن أحداث الحرب وخسائرهم.

ثامناً: دعم الحكومات والوكالات التي تعمل لإعادة توطين اليهود.

تاسعاً: فتح أبواب فلسطين دون قيد أو شرط للهجرة اليهودية.

عاشراً: اعتراف الأمم المتحدة بعدالة المطالب اليهودية.

ولقد قبلت هذه المقترحات من قبل الهيئة التأسيسية باستثناء بند وحيد تم إسقاطه ويتعلّق «بفرض وحماية حقوق الإنسان اليهودي» غير أن المستشارين اليهود داخل الوفد الأميركي استعاضوا عن ذلك فوراً عبر إدخال بند في المادة الثانية الفقرة السابعة من الميثاق وينص على أنه «لا يحق لشيء في الميثاق أن يخول الأمم المتحدة التدخل في الشؤون التي هي ضمن اختصاص التشريع المحلي للدول، أو أن يطلب من الأعضاء أن تخضع هذه الأمور للتسوية مع استثناء الإجراءات التي يقررها مجلس الأمن ضد التهديد بخرق السلام والأعمال العدوانية»(!!!).

وفي عام ١٩٤٦ تأسست لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة وتم تعيين الدكتور يعقوب روبنسون أحد أعضاء المؤتمر اليهودي كمستشار خاص للجنة التأسيسية وخلال انعقاد تلك اللجنة بين ٩ و٢٩ حزيران عام ١٩٤٧ قدّم روبنسون مذكرة صاغها المؤتمر اليهودي وتطالب «بالمساواة أمام القانون لكل السكان في الدول الأعضاء في هيئة الأمم بحيث يمكن للأشخاص والجماعات تخطي حكوماتها والتقدم بشكوى مباشرة إلى لجنة حقوق

الإنسان»(!!) أو بمعنى آخر انّ لأيّ يهودي الادعاء أو تخطي الدولة المتواجد بها وإقامة شكواه بشكل مباشر، ثم عمد كل من الدكتور كوبوتيزكي والدكتور ماركوس وبتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٤٨ إلى تقديم مذكرة جديدة للجنة حقوق الإنسان في هيئة الأمم مستغلين وجود البند المذكور أعلاه والذي قدمه روبنسون حيث جاء في مذكرة كوبتيزكي وماركوس أنه «على الدول الأعضاء أن تلتزم بحلّ المنظمات التي تشنّ حملات إرهابية على اليهود في فلسطين وأن تعمد إلى إيقاف عمليات الإبادة الجماعية لليهود هناك والتي يقوم بها العرب» و«طرد ومعاقبة المتهمين بالقتل الجماعي لليهود في تلك المنطقة».

وبتاريخ ٦ نيسان ١٩٤٨ مثل ماركوس أمام لجنة «أدهول» التابعة للمجلس الاقتصادي في الأمم المتحدة والمجتمع في بحيرة «النجاح» حيث طالب «بحرمان حق الدفاع عن النفس(!!) وحق الدفاع الوطني(!!) عن الأشخاص الذين يقومون بعمليات إبادة ضد اليهود في فلسطين».

ولإكتمال الصورة والهدف والوسيلة الذين تعتمدهما الروح اليهودية للسيطرة نتابع مسألة إنشاء «الجمعية العامة للأمم المتحدة» حيث نجد بياناً بأسماء موظّفيها في عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ومما جاء فيه:

١ ـ الدكتور بلوك (يهودي): رئيس قسم التسلّح والتنفيذ.

٢ ـ أنطوان جولدت (يهودي): المدير العام لإدارة الشؤون الاقتصادية.

٣ ـ انسغر روزنبرغ (يهودي): مستشار خاص لإدارة الشؤون الاقتصادية.

٤ ـ دايڤد ونتراوب (يهودي): مدير قسم التوازن الاقتصادي والتنمية للدول.

٥ ـ كارل لاكمان (يهودي): المستشار المالي الأول.

٦ ـ هنري لانغلر (يهودي): الأمين العام المساعد لإدارة الشؤون الاجتماعية.

٧ ـ د. ليون شينغ (يهودي): عن قسم المخدرات.

٨ ـ د. شوليب (يهودي): مديراً مساعداً لقسم حقوق الإنسان(!!؟).

٩ ـ ويست شاف (يهودي): عن قسم التحليل والأبحاث الرئيسية.

١٠ ـ بينامين كوهين (يهودي): الأمين العام المساعد لإدارة المعلومات العامة.

١١ ـ بنوات ليفي (يهودي): مدير المعلومات المرئية والأشرطة.

١٢ ـ د. إيڤان كيرنو (يهودي): الأمين العام المساعد المسؤول عن الإدارة القانونية.

١٣ ـ مارك شرايبر (يهودي): مستشاراً قانونياً.

١٤ ـ ساند بيرغ (يهودي): مستشاراً قانونياً للقانون الدولي(!!).

١٥ ـ دايڤد زابودسكي (يهودي): مدير قسم الطباعة (!!).

١٦ ـ جورج رابينغتش (يهودي): مدير الترجمة(!!)[١].

يقول ونستون تشرشل في مذكراته صفحة ٢٩٣ الجزء الثاني: «لا يستطيع إلاّ القليلون مِنّا لوم اليهود على آرائهم العنيفة المتطرفة، وليس في مكنة شعب عانى خطر الإبادة الكليّة لوجوده القومي أن يكون عاقلاً ومنطقياً(!!) وإني أتطلع بإعجاب إلى ما تمّ إنجازه من عمل في بناء دولة تقبل هذا العدد الكبير من اليهود من جميع أطراف المعمورة».

لم يكن تشرشل وحده من هذا الرأي، ولم تكن الأمم المتحدة وحدها يهودية التوجّه مما ساعد على تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ ثم إزالة وجودها القومي أمام اليهودية الزاحفة، فلقد استطاعت الروح اليهودية إحكام سيطرتها بالرغم من كل الدلائل والإشارات الواضحة عن أهدافها على غرار قصيدة

---

(١) وثائق عن الأمم المتحدة.

مدينة القتل للشاعر اليهودي نحمان بياليك (١٩٠٥) والتي جاء فيها:

لم يتوسلون إليّ الآن
فليرفعوا قبضتهم ضدي وليطلبوا ردّ إهاناتهم
رد إهانة كل الأجيال من البداية إلى النهاية
وليفجروا السماء بذكرى ملكوتي بقبضتهم

ويتابع إكمال الصورة في قصيدة أخرى بعنوان: «بصير ههريجا» أو مدينة الذبح فيقول:

ملعون من يقول انتقم
إن انتقاماً كهذا هو ثأر طفلٍ صغير
انتقامنا
لم يخلقه الشيطان بعد
يجعل الدم يغور إلى الأعماق
ويشق طريقه إلى القيعان المظلمة

وإن لم يكن القادة أمثال تشرشل يفهمون معنى الانتقام اليهودي فإنّ الروح اليهودية كانت تفهم وتعي، أن تولّد الحقد في الذات اليهودية يعشعش لأجيال وأجيال، ويتوارث كما الإيمان، حتى أن س.جونين رئيس إدارة إعداد الجيش الإسرائيلي (تساحال) وقف وبتباهٍ أمام الصحفيين ليعلن «إنّ أقصى ما يهمني هو أن يعيش شعب إسرائيل قروناً بصرف النظر عن عيش أو موت الشعوب الأخرى»[١]، ولم يقل الشعوب العربية تحديداً بل شمل كلامه العالم وشعوبه، فكيف أمكن للروح اليهودية تحقيق ما آلت إليه؟!

---

(١) كتاب غزو بلا سلاح، تأليف فلاديمير بيغون.

الفصل الثاني

الروح اليهودية نشوء وانبعاث

تشرح دائرة المعارف اليهودية تفسيرها للقول الرباني في الفقرة ٣١ من الآية ٣٤ لحزقيال النبي والتي جاء فيها: «أنتم يا قطيعي، قطيع مرعاي، أنتم أيها الأدميون» بأنّ هذا القول يعني اليهود وحدهم، وتوضح دائرة المعارف أنه «ولفهم معنى الآية يجب الأخذ بمصدرها عن نظام إلهي»(!!) يحدّد أنّ الأمميين غير اليهود «مستثنون من الصفة الآدمية» ومن «القوانين الموسوية العامة»[١]. وهو أمرٌ لا يحتاج إلى شرحٍ وإيضاح.

وأما «المشنا»[٢]، فتنص على أنه «إذا ادّعى أممي على إسرائيلي يصدر الحكم لصالح المدَّعى عليه ويعطى تعويضاً كاملاً»، كما وأن التلمود يظهر بعداً آخر للمسألة حين يقول: «انه إن اعتدى ثور إسرائيلي على ثور كنعاني (أممي) فلا يجب التعرّض له بقصاص» وحتى «أنه إذا نطح ثور يهودي ثوراً وثنياً يتحمّل الوثني كل الخسارة (باباكاما) وإذا قتل يهودي وثنياً فلا يعاقب (عبودا زارا) وأنه يمكن قتل أم جاااريتس (غير اليهودي) دون عقاب حتى في يوم الغفران» ثم إن إسحاق النبي أوصى ابنه يعقوب[٣] بقوله له: «أن لا يأخذ

---

(١) مجموعة قوانين التلمود.

(٢) تسمية قوانين التلمود.

(٣) المجموعة الكاملة، خطب ومقالات. ت.هيرتزل.

زوجة من بنات كنعان»[1]، لأنّ ذلك بحسب التعاليم والتي أوضحها هرتزل لاحقاً: «فإنّ الزيجات المختلطة تبعث على التقزز والغثيان»[2].

منذ مراحل التكوين اليهودي الأول، تحركت الروح اليهودية وإن ضمن دوائر أقلّ اتساعاً نتيجة العوامل المسيطرة في ذاك الوقت، تحركت لإيجاد معايير تساعد على خلق فكرة التفوق اليهودي وترسيخ ذلك في العقلية اليهودية وما حولها من بعد، ثم استنبطت مما حولها قوانين ونظماً بدائية تم تطويرها لاحقاً في ظروف زمنية أخرى وأعطيت صفات التتابع والتتالي لإبراز تكاملها وتواصلها من خلال تبويبها في ما سمي لاحقاً بالعهد القديم.

ولقد ثبت من خلال المكتشفات الحديثة أن العهد القديم كتب أثناء حكم يوشيا ملك يهوذا (٦٣٨ ـ ٦٠٨ق.م) وحتى أيام قورش الأخميني الذي أعاد اليهود من سبي بابل إلى فلسطين حوالي عام ٥٣٩ ق.م ثم إن آخر ما دوّن منه كان أوائل القرن السادس بعد الميلاد[3]، وهو ما سمح للروح اليهودية إدخال ما يمكن إدخاله لخدمة أهدافها دون العودة إلى تعاليم موسى عليه السلام إلاّ في ما ندر.

ولسوف نرى أن الشك وعدم المصداقية يغلب على المزاعم التي أورد فيها اليهود عن دورهم في بدء الخليقة ومسار التاريخ من خلال أحاديث وروايات العهد القديم والتي يعود معظمها للنقل «فقد كانت أساطير الجزيرة العربية هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان والتي يرجع عهدها إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد «أي قبل ذكر التوراة لتاريخها بألف عام، ومن المرجّح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ٢٨.

(٢) المجموعة الكاملة، خطب ومقالات، ت.هيرتزل.

(٣) العرب واليهود في التاريخ، تأليف: د.أحمد سوسة الفصل الرابع ص٣٣٨.

وسومرية قديمة كانت منتشرة قبل اليهود في جميع بلاد الشرق»[١]. «وكان اليهود عندها جزءاً متأخراً من الحضارة يعيشون على التجوال والرعي»[٢].

يقول فرويد في هذا الصدد: انه «لم يحدث قط أن اختار الله عابديه» في إشارة سخرية حول ما ورد في العهد القديم وبأكثر من آية عن اختيار الله لشعب (إسرائيل) اليهود كشعب له «إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[٣]، ولأنك «شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك لتكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض»[٤] فتصير أنت جزءاً منه والرب جزءاً منك بحيث «يزمجر الرب من صهيون ويعطي صوته من أورشليم فتنوح مراعي الرعاة وييبس رأس الكرمل»[٥].

يقول أحاد هاعام[٦]: «إن موسى ونبوءاته مفيدة، موسى لم يصبح شخصية حقيقية إلاّ بفضل حاجة سياسية ملحّة(!!) إن كل ما يؤثر بصورة ملحوظة على الحياة هو قوة تاريخية(!!) على الرغم أنه من صنع الخيال»(!!).

ويتابع شرح ما يعنيه فيقول: «أليس سواء بالنسبة للتاريخ ان كانت هذه القوة (موسى) قد عاشت فعلاً في شخص إنسان، أو كانت منذ البداية مجرّد شخصية خيالية، ان إثبات عدم وجود موسى (بمعنى عدم وجود قوة ونبوءة موسى) أو وجوده لا يقدّم أو يؤخّر ولا يؤثر أدنى تأثير على صورة موسى

---

(١) قصة الحضارة، تأليف: وول ديورانت ـ الجزء الثاني ـ المجلد الأول، ص ٣٦٨.
(٢) كتاب الحضارات السامية القديمة، تأليف: سبتينو موسكاني ص٥٣.
(٣) سفر التثنية: إصحاح ٧.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ١٤ و٢.
(٥) سفر عاموس: إصحاح ١.
(٦) أحاد هاعام، أشير جنسبرغ أيديولوجي وأديب يهودي من القرن ١٩.

المثالي التي رسمت(!!) ان وجود موسى بيننا لا تحيطه الشكوك، ان روح شعبنا جسدت في شخصية موسى أفضل ما في جوهرها».

لم يكن موسى إلاّ وسيلة للروح اليهودية التي استغلّت وجوده لخلق هالة القوة حوله بهدف استغلال ذلك بعد غيابه وتبرير وتثبيت قيادتها للشعب اليهودي، ولقد كان أمامها المجال الواسع لتحوير التعاليم السماوية في رسالة نبي الله وإعادة صياغتها في قالبٍ يحفظ لها ما تريده من غايات وتوجيهات هادفة متصلة بمسألتي السلطة والقيادة.

وهي ومن خلال إبراز شخصية موسى بأكثر مما هي عليه في الواقع إن على مستوى علاقته بالرب أو على مستوى القيادة العسكرية والسياسية للشعب اليهودي أعطت زخماً لقيادتها المستقبلية وفرضت الطاعة العمياء باعتبارها وريثة وصايا موسى عليه السلام، ثم دعمت ذلك وأثبتته بوصايا إلهية خلقتها وطورتها تباعاً وأدخلتها وعلى لسان موسى في صلب العهد القديم.

ففي البدء وكما أشرنا لم يكن الإله الذي حمل موسى رسالته ليعين الروح اليهودية نظراً لصفاء التعاليم الإلهية ونقائها وروحانيتها ولذا فإنّ الروح وتباعاً في مراحل زمنية عملت على إيجاد إله خاص لها، لا ينازعها عليه غيرها من الشعوب الأخرى، ولا يميل هو إلى تلك الشعوب، إله ملتزم بالخيارات اليهودية فقط وحاجات الشعب اليهودي وحده.

وانطلق مبدأ وجود ذلك الإله من مبدأ وجود الشعب اليهودي «واجعل مسكني في وسطكم وأسير بينكم وأكون لكم إلهاً وأنتم لي شعباً»[1]، يحارب معهم وعنهم «فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم»[2] ويقضي على أعدائكم

---

(١) سفر لاووين: إصحاح ٢٦.
(٢) سفر: زكريا: إصحاح ١٤.

«ويسقط أعداءكم أمامكم بالسيف»[١] يشاركهم القداسة «أصيركم اسماً وتسبيحة في شعوب الأرض كلها»[٢] ليصبح معها ملكاً لليهود «ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن وإلى الأبد»[٣].

ولم يتمّ اختيار اسم للرب في المرحلة الأولى، فالروح أرادت له أن يحمل اسمها وصفاتها «فقال موسى لله(!!) ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى «أهيه الذي أهيه[٤]، وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم»[٥].

تمّ تحديد اسم يهوه كرب لليهود، وكان على الروح أن توضح سبب عدم معرفة إبراهيم وإسحق ويعقوب اسم الرب رغم نبوتهما وأفضليتهما التاريخية في قيام القومية اليهودية، وكان على الروح أن تجد تبريراً ولما لم تجد لجأت إلى الرب الجديد لتقول عن لسانه: «وأما اسمي يهوه فلم أعرف عندهم»[٦] ولم يوضح العهد القديم كيف أن أنبياء ألفي سنة قبل موسى لم يكونوا يعرفون وشعوبهم اليهودية اسم يهوه مع شدّة اقترابهم منه كما تذكر نصوص العهد القديم.

إنّ الادّعاء بعدم معرفة الأنبياء والرسل السابقين لاسم الإله كان البذرة الأولى في إقامة شخصية موسى عليه السلام من جهة والمدماك الأول في عملية

---

(١) سفر لاووين: إصحاح ٢٦.
(٢) سفر صفينا: إصحاح ٣.
(٣) سفر ميخا: إصحاح ٤.
(٤) أهيه بمعنى كان الذي كان وهو الذي يوجد.
(٥) سفر الخروج: إصحاح ٣.
(٦) سفر الخروج: إصحاح ٥.

تزوير التوراة أو العهد القديم التي قامت بها الروح اليهودية.

ولقد كانت رسالتا إبراهيم وموسى عليهما السلام واحدة رغم فارق الزمن (قرن) ولذا عمدت الروح اليهودية إلى خلق فواصل تاريخية نراها غامضة في إصحاحات ومغيبة في إصحاحات أخرى، أو معكوسة ومنحرفة عن الواقع التاريخي والديني للحدث، فسفر التكوين يتحدث عن أن إبراهيم عليه السلام هاجر من أور في جنوب أرض الرافدين (العراق) وصعد من الفرات إلى حران ففلسطين حيث تغرّب فيها ضمن بلاد أبيمالك ملك الفلسطينيين وسكن حرّاء غير أن الثابت تاريخياً ومن خلال المكتشفات الأثرية أن إبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فيما الوجود الفلسطيني كشعب وسلطة ظهر عندما غزا الفلسطينيون فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، فأيهما الأصح وكيف يمكن لإبراهيم أن يعيش وسط الفلسطينيين قبل وجودهم بسبعماية عام؟ ثم إن حركة موسى عليه السلام مع فرعون وخروج اليهود من مصر حفلت بخلط تاريخي أظهر دوراً أكبر من موسى التاريخي والحقيقي.

فاتخاذ الإله يهوه رباً لليهود جاء على مثال آلهة الكنعانيين إلاّ أنه أشدّ وأقوى منهم كما أرادت له الروح اليهودية[1] «الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه»[2].

كان الرب قوياً إذاً وعلى الشعب اليهودي أن يكون مثله قوياً «الرب رجل الحرب»[3] وعلى اليهود أن يكونوا رجال حرب، ليس للشفقة مكان إن أساء أحد إلى يهودي ولو كان طفلاً «ثم صعد من هناك إلى بيت إيل وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له يا أقرع، إصعد يا إقرع، فالتفت إليهم (النبي) ولعنهم باسم الرب، فخرجت

---

(١) قوانين الحرب في التوراة ص٢٨٢.
(٢) سفر آشعيا: إصحاح ٤٢.
(٣) سفر خروج: إصحاح ١٥.

دبّتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولداً»[١].

إنّ تمازج الصفات الإلهية بالفعل البشري وصفاته هدف كما أرادت الروح تقريب الوشائج الخلقية بين الرب يهوه والشعب اليهودي. وجعل الفرد اليهودي شبه إله في تصرفه المتقارب مع تصرّف ربّه، فالرب الذي يقتل الفتية لمجرّد قولهم لنبيّه يا أقرع ليس أبعد من أي فردٍ يهودي في الفعل وردّ الفعل كذلك وفي السياق نفسه ما أورده العهد القديم عن ندم الرب لأنه جعل شاوول ملكاً «ندمت على أني قد جعلت شاوول ملكاً»[٢].

إنّ ذلك كله وسواه مما سيرد في السياق ساعد على خلق شخصية موسى القوية ونراه كيف يقرع الرب ويضعفه إن أراد شرّاً بشعب إسرائيل «وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقونني، إنني أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم، فقال موسى للرب، فيسمع المصريون ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا إنك في وسط هذا الشعب. فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين ـ لأنّ الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم قتلهم في القفر، فقال الرب قد صفحت»[٣].

فالذنب ذنب الرب بحسب العهد القديم لأنه لم يتمكن من إدخال اليهود إلى الأرض الموعودة فيما بقي موسى على عظمته وقوته، هذه القوة والعظمة اللتان كانتا ستنتقلان تلقائياً بعد وفاته إلى خلفه يوشع ومنه إلى الأحبار أي أن العظمة والقوة سوف تكونان أداة بيد الروح اليهودية. ومع أنه لم يكن لموسى دور فعلي في إعداد تلك الصورة عنه بل ان الروح خلقت ذلك كله وبعد موسى ووفاته بأعوام حيث نقلت من لسانه كلاماً لا يصدر عن نبي

(١) سفر ملوك ثاني: إصحاح ٢.
(٢) سفر صموئيل الأول: إصحاح ١٥.
(٣) سفر العدد: إصحاح ١٤.

لربه كقولها: «فقال موسى للرب، استمع أيها السيد لست أنا صاحب الكلام» وقال موسى «استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل»[1] وأيضاً قال موسى للرب: «ألعلي حبلت بهذا الشعب أو لعلي ولدته حتى تقول لي احمله في حضنك»[2].

كان موسى وصياً على الرب، ثم أتت الروح اليهودية لتستلم الوصية، فعمدت إلى بعث الحسّ في الفرد اليهودي نحو مسؤوليتها تلك وتفعيلها، وجعلته بوسائل شتّى يمتلىء ثقة بأنه مختار فعلي من الله، ثم وضعت له شرائع أشبه بالقيود تحدد له المسار، ونسبت ذلك إلى الرب كي تضمن عدم المعارضة «اللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله»[3] وأصبح اليهودي منزّهاً عن الخطأ في الفعل لتمتّعه بحقّ الاختيار الإلهي والفعل الإلهي فيه، كما وأن تجذر تعاليم الروح في الفرد ساعده على الخضوع والاستمرارية ضمن النهج المرسوم له من جيل إلى جيل دون تطور أو تغيير في شخصيته إلاّ الظاهر منها، وكان معينه رغم الأحداث التي مرّ بها إيمانه المطلق بالفوقية وتحقق الرؤيا في المستقبل «هكذا قال الرب، ها أني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي، فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن، ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك»[4]، فالسيطرة على العالم هدف سيتحقق بأمر الرب وسيكون بقية البشر خدماً لليهودي يلحسون غبار رجليه لأنّ تلك الشعوب ليسوا سوى حيوانات خلقها الله لخدمته وهي وإن سيطرت مرّة على مسار التاريخ فإنّ الغلبة في النهاية هي لليهودية على بقية البشر.

---

(1) سفر التكوين: إصحاح ١١.
(2) سفر العدد: إصحاح ١١.
(3) سفر الخروج: إصحاح ٣٢.
(4) سفر اشعيا: إصحاح ٤٩.

لقد تمّ خلق كلمات وضعية في العهد القديم لترسيخ حيوانية البشر الآخرين عن ألوهية اليهودي ومنها كلمة جوي أي الكافر، وعاريل أي القذر وأطلق على الأفراد المسيحيين الغير مختتنين وممزير وتعني ابن زنى للشعوب المختلطة الأنساب، وأكوم أي عبدة النجوم وأبيقورس أي الحقيرين، وبمقابل ذلك تم وضع صفات لإشعار اليهودي بشكل دائم ويومي برفعته، ومنها تسمية شعب الله المختار، والشعب الأزلي (عم عولام) والشعب الأبدي (عم نيشح) والشعب المقدس (عم قاووش).

ولم تكتف الروح بالسيطرة على الفرد اليهودي وتوجيهه وتنمية حوافزه بل راحت تواكب تحرك التاريخ وتستنبط معطيات جديدة من خلال تحركات الأوضاع ثم تنسبها من جديد إلى الرب لتقديسها وإثباتها في الفكر اليهودي إلى الأبد وكما يقول أحاد هاعام: «يمكن تطعيم وإثراء اليهودية بتعاليم جديدة ومثمرة»[1].

وخلال مراحل الشتات اليهودي تمّ إدخال أنماط جديدة من المعتقدات وسمح بتطبيق نظامين عباديين علني لمماشاة الوضع وسرّي للحفاظ على جوهر الديانة «السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا»[2]، وذلك سمح للفرد اليهودي إظهار عكس ما يبطن، حتى ولو أجبر على اعتناق ديانة أخرى كما حصل في فترة الصراع المسيحي فإنه وبسره يواصل تأدية صلواته اليهودية موقناً من الأجر الزائد عند يهوه، وهنا كان لا بدّ له من إيجاد صيغتين للتعامل تتماشيان مع صيغتي العبادة وأصبحت الوسائل المحتقرة لدى الآخرين صفات تعني له ذكاء ومقدرة وفطنة وحسن تبصّر وإدارة وتضليل للآخرين عن سره، واستعادة لحقوقه المسلوبة من قبل الأمميين والتي أوجدها له الرب يهوه، وكما قال أومانيتيه: «هناك قانون غير مكتوب لليهود تصبح وفقه أكثر الأعمال

---

(١) كتاب أحاد هاعام، ص٢٨٢.

(٢) سفر التثنية: إصحاح ٢٩.

حقارة هي مكارم عظيمة طالما كان ذلك يخدم مصلحتهم» لأنّ مصلحتهم كما حددها العهد القديم هي «إلى الأبد يرثون الأرض»[١] والإرث لا يتأتى من الأحياء من شعوب الأرض.

تأصّلت تعاليم الروح في المجتمع والفرد حتى باتت تولد معه في هيئته وأنماط تفكيره وشخصيته وعلاقاته الاجتماعية، وغدا ومن منطلق استعادة الإرث يسعى لقتل الآخرين وبوسائله المتاحة، وفي عهد القوة كان القتل على غرار أيام يوشع بن نون «قتلوا كل ما في المدينة من رجل وطفل وامرأة وشيخ»[٢] أو الأيام الحالية مع موشيه دايان «قتل جريء... حتى بعد المجازر الدموية التي تقومون بها لا شيء يمنعكم من النوم بهدوء كما ينام الطفل»[٣] أو كما قال مناحيم بيغن عقب مجزرة صبرا وشاتيلا: «لماذا هذا الضجيج... مجموعة من الغوييم ذبحت مجموعة أخرى»[٤] فمسألة القتل لدى اليهودي لا دخل لها بما يسمى الضمير أو الإنسانية لأنّ أوامر إلهه يهوه أن يقتل الغوييم أي الحيوانات البشرية كما يفعل ربّه تماماً.

وأما في عهود الضعف والانحطاط اليهودي فقد كانت وسائل أخرى بديلاً لاستقطاع الوقت وانتظار الوعد الإلهي.

لقد استغلّت الروح اليهودية إصحاحات العهد القديم لفرض تعاليمها المدسوسة وجعلها جزءاً من صلب ديانة النبي موسى، ونرى «وقال موسى وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا أولادكم بها ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة لأنها ليست أمراً

---

(١) سفر اشعيا: إصحاح ٦٠.
(٢) سفر يشوع: إصحاح ٦.
(٣) كتاب التساحال، تأليف: جاك بينودي.
(٤) كتاب حرب الألف سنة، تأليف: جوناثان راندل.

باطلاً عليكم بل هي حياتكم»[1]، من هنا يتضح أن استغلال موسى عليه السلام جاء لفرض ما يراد للروح فرضه وبلسانه، فليس من المعقول لليهودي وغيره في أعصر ما قبل التنوير أن يلج متاهة التساؤل عن صدق أو عدم صدق ما ورد في العهد القديم ولم يكن ذلك المتسائل ليمتلك وسائل البحث والتقصي، وعليه فإنّ عوامل الزمن كفلت المصداقية للزيادات والتزوير اللذين تمّ إحداثهما، يقول موسى: «إنّ مصدر قوتنا هو التوراة الكنز الأبدي لشعبنا»[2]، فكيف أمكن لموسى التحدث عن مجمل التوراة وهو لم يكن يمتلك في حينه سوى بضع صحائف دوّن عليها وصايا الله سبحانه، إن إدخال مثل تلك العبارات وعلى لسان موسى لم تكن سوى إضافات وضعتها الروح لاستكمال سيطرتها!

(١) سفر التثنية: إصحاح ٣٢.

(٢) سفر يشوع: إصحاح ١.

الفصل الثالث

التزوير في العهد القديم
أسباب وأهداف

لم يكن ليخفى على الروح اليهودية، بما تمتلك من حنكةٍ ودهاء، أن واقع الشعب اليهودي على مدار التاريخ يعتوره الضعف والجبن والتخاذل وهي صفات خلقت من صلب الوجود اليهودي الواقعية «إلى إيڤيت وجيل وكارين. . . إن معجزة إسرائيل (معجزة؟) الحقيقية هي أن يهوداً تمكنوا أن يصبحوا جنوداً»[1]. فاليهودي وبطبعه مجبول بالعجز في افراديته وبمحاولات القوة في بيئته، ولم تجد الروح اليهودية مناصاً من خلق ادّعاءات تشبع وتقوي روح الاستمرارية في الفرد اليهودي وتماسكه حولها، وبذلك تمّ خلق الفوقية والاختيار الإلهي وهاتان الصفتان كانتا في أساس المشكلة اليهودية ليس مع الآخرين فحسب وإنما بين اليهود أنفسهم كما يظهر التاريخ.

لقد جلب اليهودي على نفسه ويلات وعداوة الآخرين من منطلق عدائه للآخرين وتحقيره العبادي لهم.

وكان من أخطر العوامل تهديداً للوجود اليهودي، نزعته العدوانية

---

(١) من كتاب إسرائيل خطر اقتصادي، دار العلم.

المجبولة في ذاته نتيجة التعاليم المعبّأة داخل الفكر اليهودي وتوارث ذلك من جيل إلى جيل، الحافلة بحبّ التسلّط والكسب والسيطرة والطمع، ونشوة الدم وحكم الغريزة البدائية التي حملها منذ عصر البداوة وحتى هذه الأيام، حتى أن أنبياءه وبلسان العهد القديم، عمّدوا رسالاتهم الربانية بالدم والقتل والذبح «قتلوا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة... حتى البقر والحمير والغنم بحدّ السيف»[1] و«لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية، سقطوا جميعاً بحدّ السيف حتى فنوا»[2].

إنّ المساوىء والمجازر التي أقدم عليها اليهود دفعت الآخرين في مراحل الانتصار عليهم إلى ردّ الكيل بالكيل، كما وأنّ تواصل الصراعات اليهودية اليهودية، واليهودية مع الشعوب الأخرى لأزمان أدّيا إلى إضعاف العنصرين البشري والاقتصادي، خصوصاً وأن الديانة اليهودية لم تكن لتسمح بالاستعانة بمقاتلين من الشعوب الأخرى حفاظاً على مبدأ نقاوة الدم اليهودي باستثناء حالاتٍ تاريخية شاذّة فرضت نفسها ولبعض الوقت.

ومنذ اللحظة الأولى لعبور موسى عليه السلام وقومه من مصر إلى سيناء، عملت الروح اليهودية على خلق حوافز القوة لدى الشعب اليهودي والذي كان في أصل وجوده المصري مستعبداً ومهجناً لأجيال عدة «لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية»[3].

ولكن الروح لم تستطع تحقيق غايتها مع ذلك الجيل الذي اعتاد الإنحناء والمذلة، فكان أن تحججت لدى الأجيال اللاحقة بأن «الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر»[4] رغم محاولات موسى

---

(١) سفر يشوع: إصحاح ٦.
(٢) سفر يشوع: إصحاح ٨.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ١٤.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ١٣.

تشجيعهم «لا تخافوا الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون»[1]، وعليه فلم يكن أمام الروح تلك سوى خلق معارك وهمية للدلالة على التوجّه العسكري منذ اللحظة الأولى ورغم الضعف اليهودي، فكان أن تمّ خلق معركة، رڤيديم الوهمية.

يقول النص في العهد القديم: إنّ معركة رڤيديم حصلت بعد ثلاثة أشهر فقط من عبور اليهود إلى سيناء ومع العمالقة، وجاء في الرواية الأولى: «فقال موسى ليشوع(؟!) إنتخب لنا رجلاً واخرج وحارب عماليق(؟!) وغداً أقف أنا على رأس التلة وعصا الله في يدي. . . وكان إذا رفع موسى يده أنّ إسرائيل تغلّب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب، فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه، فهزم يشوع(؟!) عماليق وقومه بحدّ السيف، فبنى موسى مذبحاً ودعا اسمه يهوه نسى»[2].

وأما الرواية الثانية ومن العهد القديم نفسه فتقول: «ثم كلّم الرب موسى قائلاً أرسلوا رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان. . . فذهبوا. . . ورجعوا بعد أربعين يوماً وقالوا. . . قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقّاً أنها تفيض لبناً وعسلاً غير أنّ الشعب الساكن في الأرض كثير والمدن حصينة. . . وقد رأينا بني عناق هناك، العمالقة ساكنون في الجنوب» «فبكى الشعب وتذمر على موسى وهارون وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر»[3].

فأي النصين صادق وأيهما كاذب؟

من الملاحظ أن معركة رڤيديم لم ترد في سفر يشوع والذي كان بحسب النص الأول قائداً للمعركة فكيف أغفل معركة كانت بقيادته ولم يأت على

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ١٤.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ١٧.
(٣) سفر العدد: إصحاح ١٣ و١٤.

ذكرها في سفره؟ وكما وأنّ هناك نصوصاً أخرى في العهد القديم تصف تلك المرحلة دون الحديث عن أي معركة «ورأت أعينكم ما فعلت في مصر وأقمتم في (البرية) القفر أياماً كثيرة ثم أتيت بكم إلى أرض الأموريين الساكنين في عبر الأردن»[١] وهنا لم يتحدث الرب عن معركة رفيديم وكان أولى به الحديث عنها لإثبات مساعدته لليهود فيها وكما فعل في مصر، ذلك طبعاً لو أنها حصلت فعلاً، ويقودنا ذلك للبحث في التزوير الديني الواسع في العهد القديم[٢].

---

(١) سفر يشوع: إصحاح ٢٤ فقرة ٦.

(٢) من كتاب إسرائيل خطر اقتصادي، دار العلم.

القسم الأول

التزوير في المعتقد الإلهي

من خلال مقارنة عابرة بين تعاليم الديانة اليهودية الواردة خلال نصوص العهد القديم وتعاليم الديانات الأخرى المسيحية والإسلامية يمكن نبش صيغ تحدد تعاليم نبيّ الله موسى وتطابقها مع تعاليم عيسى عليه السلام ورسول الله محمد ﷺ.

ونلاحظ أنّ تطابق الصفات في جوهرها لا تختلف إلاّ في اللفظ وتركيب الجمل وصياغة العبارات، فالمحتوى والهدف وروح التعاليم واحدة لأنها إلهية المصدر، غير أنّ تعاليم الألسن وتباعد الألفاظ والتعابير المستعملة في وسائل كتابة وقراءة الأديان أو الرسالات الثلاث أدّيا ومع الوقت إلى سوء الفهم.

ولقد مرّ على اللغات العربية والسريانية والعبرانية تحوّلات وتطورات واندماج واتّساع في النطق وفي الحركة اللفظية والكتابية مع أنّ «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوباً سادت لغة واحدة، ولهذا كان السوريون والبابليون والعبريّون والعرب شعباً واحداً يتكلمون لغة مشتركة هي اللغة السامية»[١].

---

(١) شلوستر ص ١٦١.

ولقد كان المعجم السامي حينها يشتمل على الكثير من الجذور الثلاثية التي تشترك في حرفين أصليين بمعنى واحد متقارب، ففي العبرية نجد كلمات مثل، فرد (فصل) وفرم (مزق) وفرس (شق) وفرق (نزع) وفرش (ميز) وكلّها أفعال تشترك بحرفين أصليين هما (فر) تتطور استعمالها لتغدو جذراً ثلاثياً على غرار ما حصل في اللغة العربية حين تمّ جمع حرفي ا ب على اباء (أفعال) ودم على دماء (فعال) ويد على أيد (أفعل)[1].

وببروز استثناءات لفظية أعطت صيغة الحرف الواحد على غرار كلمة فو (فم) في العربية والتي اعتبرت من البعض حرفاً واحداً[2]، وحرف (ش) أي شاة في الأوجاريتية والعبرية وكذلك حرف (ج) في الأوجاريتية أيضاً، فإنّ العناصر الإشارية للضمائر وبعض أحرف التوكيد والجرّ والكاف واللام ومن والظرفين، تعتبر كلّها من أقدم اللغات عامة، ويعتقد بعض علماء اللغة أنّ جموع التكسير ليست مشتقة في الأصل من أسماء مفردة وإنما تمّ وضعها أصلاً في صيغ مفردة للدلالة على مسمّيات كليّة[3]، على غرار أن تكون فعول جمعاً لفعل وبحور لبحر، وملوك لملك، لأنّه ليس لها أساس صوتي أو شكلي ثابت نستطيع به اشتقاق جمع التكسير في المفرد[4].

أمّا في العبرية والسريانية فنجد آثاراً قليلة من جموع التكسير علماً أنهما من اللغات السامية الشمالية، أي أننا نجد مفرداً من أسماء الجموع يختلف لفظها عن حركتها مثال قريا (ضم وسكون) في السريانية جمع قريتا (بسكون فكسرة طويلة) ومثال حمرا (بإمالة فسكون مفتوحة طويلة) جمع حمارا (بسكون الحاء) أي حمار[5].

---

(١) نولدكه ص ١٠٩، بروكلمان ص ٣٣١.

(٢) برجشترسر ص٧.

(٣) بارت ص ٤١٧.

(٤) كتاب النحو الحبشي، بارت فقرة ١٣٥.

(٥) بروكلمان ص ٤٢٧.

لذا فإننا نجد بقايا ذلك في العبرية وخاصة في جموع الأسماء السيجولية (الأسماء الساكنة العين) والتي تتميز بفتح العين بعد سكونها في المفرد إن أضيف إليها نهايات الجمع السالم مثال: ملاكيم (سكون الميم) جمع ملك، وسفاريم (سكون السين) جمع سفر، وقداشيم (تحريك القاف) جمع قدش.

وأما أسماء الجموع التي لا مفرد لها من لفظها يختلف عنها فهي أسماء جموع محضة، ومن أمثال ذلك في العبرية باقار (بقر) عوف (طير) بري (ثمر) صون (غنم) ركش (جياد) رما (دود) بهيما بهائم) دمعا (دموع) مجموع الأسماء السيجولية العبرية هي جموع تكسير تتميز بفتح العين بعد سكونها في المفرد ومما نجده في أصلها الآرامي على غرار كلمة حمرا (حمير) وقريا (قرى) كما وأنّ نهايات الجمع السالم تضاف باطراد إلى جموع الأسماء السيجولية العبرية على مثال الاسم الظاهر قريس (بضم فسكون ففتح فسكون) وتفسير ذلك أنه عائد لغلبة استعمال الجمع السالم في العبرية والآرامية، وأدخلت العبرية ما فيها من جموع تكسير في نطاق الجمع السالم، كل ذلك يؤكّد أن خصائص اللغة المسماة اللغة السامية هي واحدة الأصل وتفرعت بعد ذلك من الجزيرة العربية باتجاهات مختلفة تبعاً لواقع الحال الجغرافي من ارتحال الشعوب، ان قرب المفاهيم اللغوية وتقارب معانيها، سمح لليهودية اقتباس الكثير من الأحداث التاريخية والطقوس العبادية للشعوب السامية الأخرى وكذلك العادات الاجتماعية وصياغة ذلك كله في قالبِ العهد القديم ثم ادّعت بعدها أنه الأصل وما عداه هو الفرع.

ويقول العهد القديم[1]: «إنّ نسبة الساميين هي نسبة إلى سام بن نوح وتضم قائمة أبنائه آرام وآشور وعبر! أي الآراميين والآشوريين والعبرانيين، ولذا فإنّ استعمال كلمة الشعوب السامية أطلت في البدء على تلك الشعوب التي كانت تسكن في قلب الجزيرة العربية وامتدادها نحو أرض الرافدين.

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٠.

ومنها انطلقت في هجرات فرضتها عوامل اقتصاديات الصحراء والسعي من القبائل البدوية للبحث عن الماء والمرعى والمناطق الخصبة، وخلال هجراتها هذه كانت تجتاح البلاد المحاذية لها لتفرض ما أمكن لها من اللغة والعادات.

إنّ العوامل الحضارية القائمة حينها وبمحدوديتها فرضت على الغالب والمغلوب معاً الاقتباس عن الآخر كل من جهته تحت مظلة العيش والبقاء والاستمرارية والاتساع، وأدّى ذلك بالطبع إلى انتقال العادات والتقاليد وبنسب تقل أو تكثر بحسب الوضع القائم.

وبسبب قرابة اللغة من جهة وسلاسة فهم التقاليد اللينة الأساليب والغير معقدة في الأداء نظراً لصغر الحجم والفرضيات فيها، في بيئة جغرافية لم تكن تضم أو تعرف حينها سوى قارات ثلاث هي آسيا وإفريقيا وأوروبا تكوّن منها العالم القديم بحسب نظرة أبنائه إليه، فإنّ أعماق الجزيرة العربية شهدت أول انطلاقة لسيل المهاجرين الرعاة السامیي الأصل، باتجاه المناطق الأكثر استقراراً وأدّى ذلك إلى نشوء اتصالات مع مجتمعات قائمة ومستقرة، ولم يتم ذلك بالسلم وبهدوء بأحايين كثيرة فروح البداوة وبتفاوت بين قبيلة وأخرى فرضت أسلوب التعامل والتعاطي مع تلك المجتمعات فنحن نرى مثلاً أن البابليين والآشوريين تركوا معظم أساليب حياتهم البدوية وأنماط التعامل فيها لمصلحة الأنماط التعاملية في القبائل التي غزوها وأخذوا ذلك منهم، فيما بقي العرب والعبريون وضمن نسب وأنساق متفاوتة محتفظين وبإصرار على أثر العداء القديم للعادات الجديدة إن على مستوى اللغة والكتابة ونظام الحكم العشائري أو سوى ذلك، ولكن بعض الأنماط المتعلقة بمسائل العبادة والدين تغلغلت بقوة بين المهاجرين وفرضت نفسها من منطلق حاجة تلك الشعوب لمثل هذه العبادات.

ويقول العهد القديم إن أول هجرة يهودية جرت مع أبرام (إبراهيم) الذي (بحسب العهد القديم) كان يقطن بلاد الرافدين (أور الكلدانيين) وكان

صاحب مواشٍ كثيرة[١] وتحت ضغط الحاجة إلى المرعى قرر الهجرة إلى أرض كنعان ومصر لأنه «كان هناك جوع في الأرض»[٢].

ولم يكن لدى العهد القديم مسوغات تاريخية يسوقها لتحديد أسباب وجود ابرام في بلاد الرافدين من جهة ولا الكيفية التي حصل بها على الدلائل والبيّنات ليستقي منها معلوماته حول أرض كنعان ومصر، واستكمالاً للسياق السابق فإنّ العبرانيين وخلال ترحالهم الزمني مع ابرام اقتبسوا الكثير من المكتسبات والعادات الدينية للشعوب الأخرى ثم طوروها لاحقاً وبتتابع زمني معين ونسبوها بعد ذلك إلى الرب يهوه وعلى لسان موسى عليه السلام، وعليه فإنّ استخلاص حقيقة رسالة موسى وجوهرها الأصلي الذي نزلت به وحيّاً عليه يتطلب في المرحلة الأولى إيجاد ثوابت دينية، ثم تفنيد ما بقي بعد ذلك في العهد القديم وإظهار كذبه وزيفه والدسّ فيه، مع عدم إغفال شأن اللغة ودورها في عملية النقل والتحوير!

ونستخلص بعضاً من التعاليم الحقة من خلال سفر التثنية، علماً أن بقية الأسفار دمجتها أو حورتها أو حرفتها عن القصد الأول، فقد ورد تحذير من مثل ذلك وعلى لسان نبي الله موسى عليه السلام: «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم»[٣] مع أن كتبة العهد القديم أرادوا من ذكر هذه الآية غير ما أراد موسى عليه السلام، لحاجتهم من خلالها إلى مسألتي التقيد والاتباع لدى اليهود لتعاليمهم المدسوسة الأخرى.

وأوضح سفر التثنية أن شريعة موسى التي وضعها أمام بني إسرائيل هي فرائض وأحكام إلهية ألقاها موسى على شعبه في «عبر الأردن» وهذه التعاليم لم تكتب في البدء (ألقاها موسى) بل تمّ تلقينها للحفظة والذاكرين غيباً[٤] مما

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٣.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ١٢.
(٣) سفر التثنية: إصحاح ٤.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ١.

سهّل لاحقاً مسألة إدخال ما تمّ إدخاله عليها، ومن بعض هذه التعاليم نجد:

١ ـ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً (عدم عبادة الأصنام).

٢ ـ لا تنطق باسم الرب باطلاً.

٣ ـ أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب.

٤ ـ لا تسرق، لا تقتل، لا تزن، لا تشته امرأة قريبك (لها معنيان هنا وتتعلق بالقريب اليهودي في شروحات لاحقة) ولا ما يملك.

٥ ـ الرب إله واحد «إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربّ واحد»[١].

٦ ـ العمل الصالح «إعمل الصالح والحسن في عيني إلهك»[٢].

٧ ـ الرب إله أمين يحفظ العهد ويمنّ بالإحسان (تمّ إدخال حفظ العهد مع اليهود).

٨ ـ أحبب الغريب (أحبّوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر).

٩ ـ الطاعة والاحترام للأهل، ومساعدة الأرملة واليتيم وابن السبيل.

هذه الخلاصات على قلّتها تمّ جوجلتها من لبّ إصحاحات سفر التثنية وهي تظهر الكمال في الرسالة الإلهية لموسى عليه السلام، إلاّ أنها وكما سنرى أحيطت وفي إصحاحات السفر نفسه بتأويلات يهودية أبعدتها عن روحانيتها وهمّشتها وقزّمت أدائها لتصبّ في خانة الشعب اليهودي وحده ففي السفر نفسه نجد «لا يدخل عموني أو مؤابي في جماعة الرب» فأين هي مساعدة الغريب؟ و«لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم» فأي عمل صالح هذا إذاً؟ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك (أي المدينة) فاضرب جميع ذكورها بحدّ

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ٦.
(٢) سفر التثنية: إصحاح ٦.

السيف(؟!) أو «لا يدخل مخصي أو مجبوب في جماعة الرب»(؟!) و«للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك (اليهودي) لا نقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك» فكيف يمكن بحال تفسير تعاليم موسى الإلهية بهذا المثل من التفسير؟

لم تكن اليهودية بحال تعاليم مجرّدة وإنما نظاماً متكاملاً وقائماً مذ تعامله الديني إلى الأخلاق والحقوق المدنية والواجبات الدينية والدنيوية معاً وأثّر على الحوافز اليهودية إلى الأبد، على مثال حداء الأم اليهودية لطفلها في القرن العشرين والذي تقوله لذاك الطفل كي ينام «آتو تو تو تو توخا اراڤيم يموتوا» أي «دع العرب يموتون»!

لقد تأثّرت الشرائع اليهودية بمحيطها ان قبل الهجرة من خلال اقتباسها أساطير الجزيرة العربية وسبكها في التاريخ اليهودي أو بعد ذلك في بابل ومصر، «لقد تمّ اقتباس قصص الخلق والغواية والطوفان والتي كانت معروفة في تلك البلاد قبل اليهودية بنحو ثلاثة آلاف سنة، ومن المؤكد أن غالبية التعاليم اليهودية أخذت من مصادرها السومرية والسامية حيث كانت منتشرة في بلاد الشرق»[(١)]. وتُظهر نصوص إحافرية مكتشفة حديثاً أن الكثير من النصوص المصرية والآشورية والبابلية والحثية القديمة تمّ إدخالها في العهد القديم، فقوانين موسى المضافة لا تختلف عن شرائع حمورابي (كما سنرى لاحقاً) إلاّ بالأسلوب، وأمثال سليمان ليست إلاّ امتداداً لتعاليم امنحوتب، كذلك سفر الخروج والذي هو نسخة متقاربة عن أوراق برى ويستكار[(٢)] رغم البعد الزمني الفاصل بينهما، ومن المؤكّد وفي حال الرجوع إلى أصل الأسماء ومن ثم تداولها العبري وباللغة العبرية ان أسماء ابرام ويعقوب ويوسف وأورشليم عبرية التداول كنعانية الأصل ومنذ قرون قبل اليهودية وانتشارها

---

(١) قصة الحضارة، لديورانت.

(٢) كتاب اليهودية، تأليف بيليكي ص٦٩.

ومن ثم على يد المصريين ومن خلال استعبادهم لليهود تم انتشار تلك الأسماء وتداولها[1].

إن مدينة أورشليم على سبيل المثال اسم كنعاني، سميت من قبلهم في البدء «بيروشالم» أو يروشالم، وشالم اسم إله كنعاني، ثم نقل اليهود تلك التسمية إلى شاليم بسبب اللفظ كما أشرنا واسموها مدينة الله، ثم مدينة داوود، ثم مدينة يهوذا، واريئيل ومن ثم القدش (قدس)[2]! ويثبت بروكلمان ذلك وبالنص فيقول: «إنّ ملك أورشلم قبل أيام إبراهيم بزمن قليل كان يدعى ملكي صادق ومعناه بلغتهم ملك شالم أي الكاهن لله العلي، وكان ذلك الملك مؤمناً بالله سبحانه» ويتابع بروكلمان إن «الملك عبدي هيبا (خيبا) حكم بعد ملكي صادق» حيث ورد اسمه في وثائق تل العمارنة المكتشفة وذلك في ستّ رسائل موجّهة من قبل عبدي هيبا إلى ملك مصر امنحوتب الرابع الذي تولّى العرش عام ١٣٧٥ق.م أي بعد إبراهيم (ابرام) بستماية عام، ويقول في تلك الرسائل: «إنّ الملك عبدي خيبا يطلب العون من امنحوتب لصدّ هجمات أهل البادية العبيرو» (وبعودة إلى اللفظ السامي نجد أنه العبرانيين حديثاً) ـ وورد في رسالة ثانية الهبيرو ـ «الذين كانوا يغيرون على مملكته».

هذه الرسائل الست ـ والتي لم يعرف صاحبها معاداة السامية ـ تظهر أن اليهود كانوا يغيرون على مملكة أورشليم (فلسطين) من الجزيرة العربية وهم بدو رحل، مما يؤكد مسألة التزوير والذي ستتضح دوافعه وأثاره تباعاً.

فلقد بدأ الأصل في التزوير أولاً في الألوهية ثم انتقل بعدها إلى مراحل أخرى تاريخية واجتماعية، ولقد كان اليهود في البدء يعبدون الصخور والماشية والأفاعي كما أشارت أسفار الآيات في الإصحاح ٣٢، وبقدر

---

(١) بروكلمان.

(٢) المصدر السابق.

اقترابهم من حضارة أرض الرافدين الغنية بالتعاليم الدينية والعادات الاجتماعية بحسب مفهوم تلك الأعصر ونُظمها فإنّ العبرانيين فوجئوا في البدء بتلك الحضارة والنظم، فالسومريون وهم شعب غير سامي وقد اختلط بهم الشعب العبراني البدوي، كانوا قد بلغوا من الحضارة مبلغاً سامياً، وراحوا يلقنونها للعبرانيين بما فيها من أفكار كونية وأساطير دينية والتي كانت متغلغلة حتى في أبسط أمور العيش، فالآلهة السامية بعبريتها هي آلهة سومرية عدلت أفعالها والحاجة إليها ثم تمّ دمجها مع أفعال وحاجة الآلهة البابلية والآشورية ليمتزج ذلك كله ضمن أنساق زمنية وفواصل تاريخية متباعدة بما حفلت من حركات عسكرية وسياسية ونسبت بعد ذلك إلى يهوه.

لقد كان الأكدي (الآكادي) وافر الآلهة وخصائصها من نوع مماثل لخصائص الإنسان وأدائه البشري، وذلك أثّر على شخصية يهوه تأثيراً بالغاً بحيث أصبح الرب اليهودي شبه إنسان «كان الرب ماشياً(!!) في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله(!!) لآدم وقال له أين أنت(!!)»[1] وأيضاً «فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك؟ فقال لا أعلم أحارسٌ أنا لأخي»[2] فالصفة البشرية هنا أدخلت على الصفة الإلهية ليس من منطلق كتابي بحت (كما حاول بعض اليهود التخفيف من المسألة ووقعها) وإنما في صلب الأداء والتعامل من منطلق النظرة والمفهوم لهذا الإله، وتبعاً لتطورات النقل الممرحل عن الأديان الأخرى السائدة في ذلك الزمن.

لقد كان مجال التشابه بين يهوه والآلهة الأخرى دلالة على صدق عملية الاقتباس اليهودي لإلههم عن الآلهة لدى الشعوب الأخرى، والتي لم تكن تملك ما لليهودية من مدوّنات حديثة مقارنة بالمدوّنات القديمة لدى تلك

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ٣.

(٢) سفر التكوين: إصحاح ٤.

الشعوب ووسائل الاتصال وعقمه في ما بينها باستثناء النقل الشفهي مما سمح لليهود بالادّعاء والسيطرة زمناً قبل أن يتمّ الاكتشاف أو كشف سرّ تلك الآلهة وتلك الأديان والتي تسبق الدين اليهودي بآلاف الأعوام في أعصرنا الحديثة، مما أكّد أنّ الإله يهوه ليس إلاّ نسخة متطورة لآلهة الشعوب الأخرى.

فالإله «ادد» إله المطر والعاصفة، كذلك الإله «نسكو» إله النار وهذان الإلهان قوتان مدمرتان، كما أنّ الأول ربّ الينابيع والمطر والطوفان أي إله خير، فإنّ الثاني محارب وهو سيد البرق والعواصف، صلب وشجاع وتظهر محفورة مكتشفة الإله ادد مرتدياً ثوباً قصيراً وعلى جانبي رأسه قرنان يمسك بسلاح البرق بيده اليسرى (والذي اعتبره أهل الرافدين إلههم هدد) وكانت عبادة ادد أو هدد الآرامي منتشرة في سوريا القديمة ولاسيما لدى الآراميين المقيمين في حلب ودمشق ولبنان وسمأل وأوجاريت[1]، ولقد ظهر تأثير هذين الإلهين على الديانة اليهودية بشكل واضح ولا يحتمل التأويل، ففي العهد القديم جاء «وظهر له ملاك الرب بلهيب من نار وسط عليقة»[2] وهي صورة مطابقة تماماً للإله نسكو و«الرب رجل الحرب»[3] (الإله ادد) و«بريح أنفك تراكمت المياه»[4] (الرب ادد) و«فقال الرب لموسى ها أنا آتي إليك في ظلام السحاب»[5] (صورة عن الإله ادد) و«أخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله... فوقفوا في الأسفل (الجبل) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار»[6] (صفة بشرية في الإله نسكو) وصعد دخانه كدخان الآتون» وكذلك «وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله» (تم

---

(١) أ. دورم ص ٩٦.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٣.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ١٥.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ١٥.
(٥) سفر الخروج: إصحاح ١٩.
(٦) سفر الخروج: إصحاح ١٩.

دمج فعل الإلهين معاً ادد ونسكو) فـ«سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً (الإله ادد) وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل (الإله نسكو)»[١].

لقد كانت عبادة الإله نسكو تتضمن طقوساً بينها تقديم القرابين ليحرقها بناره ويحول البخور إلى دخان تستطيبه أنوف بقية الإله[٢]، وعليه فقد أدخله اليهود كصفة وفعل للإله يهوه لتطهير الذنوب، فبالإضافة إلى الذبح أمام الآلهة الذي اقتبسه اليهود[٣] فإنّ صيغة المحرّقات التي كانت تقدم للإله نسكوكي يحرقها دمجت في صلب ديانة يهوه دون تعديل، والقرابين التي كانت تقدم لنسكو الإله ارتضاء له كي يحرقها فيمنع غضبه عن الشعب، أخذها اليهود ثم وضعوا لها أسساً وقواعد وأنماطاً وأدخلوها في الصلب العبادي لديانتهم مع الإله يهوه وأوجدوا لها تعاليم خاصة بعملية الحرق وأداء القربان «وصنع خشب المحرقة من خشب السنط»[٤] وهو التطور الوحيد الذي أدخله اليهود على تلك المسألة.

وكانت الشعوب الأخرى تقدم لنسكو قرابينها للحرق من الخراف والبقر والأنعام الأخرى وكذلك فعل اليهود وعلى لسان موسى عليه السلام نفسه «ودعا الرب موسى وكلّمه من خيمة الاجتماع... وقال الرب... ويذبح العجل أمام الرب ويقرّب بنو هرون الكهنة الدم ويرشون الدم على المذبح مستديراً... ويرتب بنو هرون القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح وأما الأحشاء والأكارع فتغسل بالماء ويوقد الكاهن على المذبح محرّقة وقود رائحة سرور للرب»[٥]، فبقدر ما تكون

(١) سفر الخروج: إصحاح ٤٠.
(٢) أ. دورم صفحة ٥٧.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٣٤.
(٤) سفر لاووين: إصحاح ١.
(٥) سفر لاووين: إصحاح ١.

مسرّة الإله نسكو من القرابين على المحرّقة ليرضى عن شعبه، كان اليهود يقرّبون ليهوه قرابين على محرّقة وقود سرور له، ويتابع العهد القديم «وكلّم الرب موسى قائلاً... إذا أخطأت نفس سهواً(!!) في شيء... يقرّب عن خطيئته ثور ابن بقر صحيح (لا يقبله معطوب) للرب... ويصب (دمه) إلى أسفل مذبح المحرقة»[١]، ولقد غدا لكلِ ذنب نوع محرّقته، فهو إما تيس أو غنم أو طير بحسب حجم الخطية «وكلّم الرب موسى قائلاً... إذا أخطأ أحد... أو حلف كذباً... يأتي إلى الرب بذبيحة لائمة(!!) فيكفّر عنه... فيصفح الرب عنه في الشيء من كل ما فعله مذنباً به»[٢].

ولقد بلغ بالروح اليهودية أن تجعل موسى عليه السلام أداة لإدخال ما تريد من عبادات في ذلك الزمن إما للتضخيم في العبادة اليهودية عن العبادات الأخرى أو للتوثيق كدلالة على صدق ديانتها عن الديانات الباقية، ولا يجب أن يغيب عن البال هنا مسألة الكمّ والحجم الفكري لإنسان ذلك العصر والذي كانت تبهره وتجذبه الخوارق والأعمال الكبيرة وحتى الأساطير الموضوعة والمتداولة وعليه فإنّ تضخيم حجم قرابين يهوه ومحرقاته قامت للدلالة اليهودية على كبر يهوه وتفوّقه على جميع الآلهة في ذلك العصر «ثم قدم ثور الخطية... فذبحه موسى وأخذ الدم وجعله على قرون المذبح بإصبعه.. (كذلك) قال موسى لهرون خذ لك عجلاً ابن بقر وكبش محرقة... وكلّم بني إسرائيل قائلاً خذوا تيساً من المعز لذبيحة خطية وعجلاً وخروفاً حوليين وثوراً وكبشاً لمحرقة فيتراءى لكم مجد الرب... ثم ناولوه المحرقة فقطعها فأوقدها على المذبح»[٣].

لم يكن الإله ادد والإله نسكو إلاّ معبودين لفئة معيّنة، وإذا وجد اليهود

---

(١) سفر لاووين: إصحاح ٤.
(٢) سفر لاووين: إصحاح ٦.
(٣) سفر لاووين: إصحاح ٩.

معادلات متفوقة لإلههم يهوه عليه عمدوا للآلهة الأخرى يقتبسون منها ويزايدون عليها تعظيماً لإلههم عنها، فالرب تموز كان إله الخصب والنبات مورست عبادته في بابل بحسب ما أشار سفر حزقيال الإصحاح الثامن «فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز»، وبالعودة إلى أصل النص نجد أنه وباعتبار كلمة بيت الرب أي أورشليم فإنّ حزقيال يشير هنا إلى عبادة اليهود للإله تموز في معبد أورشليم، ولقد كان يحتفل بالبكاء على تموز كل عام ويعرف باسم أدونيس بالعبرية والفينقية، والإله أوزيريس بالديانة المصرية والإله أتيس في الفريجية حيث اندمج مع الإله مين إله القمر في تلك العبادة، أما أصل الاسم فهو سومري كان يعرف فيها أولاً باسم دمور زي ـ أبزو أي ابن الإله ابسو الحق ثم اختصر تبعاً للتداول اللغوي في حينه فأصبح دمو ـ زي ثم تموز ابن الأرض ـ وقد اشتمل التقويم السنوي السومري على شهر خاص به (الإله دموزي) وأصبح لفظه بعد ذلك دؤوزد أو دوزد في التقويم الآكادي (الآشوري والبابلي) وجاء العبرانيون فحرّفوه إلى تموز كما كان يلفظه أبناء وأهل منطقة الرافدين فيرفدون أمامه كلمة السيد، ولذا لاحظنا كيف أن موسى يلفظ دائماً «إسمع أيها السيد الرب» أو «إسمع أيها السيد» الخ. . . . «فقال موسى للرب إسمع أيها السيد»[١] و«استمع أيها السيد»[٢]، وعرف تموز أيضاً باسم الراعي، وسيد الرعي[٣].

إلاّ أن الإله مردوك (مردك) كان أعظم الآلهة طرأ وأوسعها انتشاراً عبادياً، وكان له من النفوذ ما جعل معبده في بابل مقرّاً لاحتفالات دائمة، فلقد كان الإله مردوك يسير على رأس الجيوش فينتصر على أعدائه ويذبحهم

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٤.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٤.
(٣) دورم ص ١١٥.

وهي صفات اقتبسها اليهود فوراً لإلههم العظيم يهوه «لأنّ الرب إلهكم هو المحارب عنكم»[١].

ولقد تركت لنا نقوش حمورابي وصفاً لذاك الإله وكيف وصل إلى عظمة مكانته بين الآلهة الأخرى وجاء في تلك النقوش «ان أنم (إله السماء) وانليل (إله الأرض) قررا لمردوك الابن البكر للإله أنكر (آيا إله الماء) السيادة على الناس جميعاً (نفس فعل الإله يهوه لاحقاً)، ومن قصيدة خلق الكون (انوما ايلش) اللوحة الرابعة س ١٤ يقول:

«لقد أعطيناك الملك على العالم بأسره» (وقد تم اقتباس ذلك لاحقاً للإله يهوه).

وفي اللوحة السادسة من نفس القصيدة نجد أنه «هو السيد الذي أحيا بتعويزته الطاهرة الآلهة الموتى، والذي أهلك بتعويذته الأشرار جميعاً ولقد أطلق على مردوك خمسون صفة إلهية فأصبح أقرب إلى صيغة التوحيد وصفاته حوله[٢]. ويمثله في السماء كوكب المشتري واسمه عند تمامه نيبر (أو معبر) من أسمائه الخمسين، وتقول اللوحة السابعة من قصيدة الخلق «ليمسك نيبر بمعابر السماء والأرض، وعلى الذين يعجزون عن العبور في السماء والأرض أن يسألوه دائماً» وقد أظهرته الحفائر الحديثة في صورة له لبس فيها تاجاً عالياً أسطوانياً محلّى بالزهور، يبرز منه الريش وله لحية وشعره مرسل إلى خلف رأسه (وهو النسق الذي أتبع في الصفات اليهودية لاحقاً) وتقوم على حراسته «أفعى لها رأس ذو قرنين وذنب عقرب، وبرثنا أسد من أمام ومخلبا نسر من خلف وعندما فتح ملوك آشور أرض بابل عبدوه حتى أعصر الدولة البابلية المتأخرة[٣] ومن هناك حمله اليهود إلى صلب ديانتهم.

---

(١) سفر يشوع: إصحاح ٢٣.
(٢) دورم ص ١٤٣.
(٣) هايدل ص ٦٠.

إننا عندما نطّلع على صورة يهوه على عرشه كما أوردها العهد القديم نجد أنه لا يختلف بشيء عن صورة مردك المكتشفة علماً أن فارق الزمن بين مردك ويهوه يقاس بأكثر من ألفي سنة لصالح الأول، وعليه فقد أخذ اليهود صفات شخصيته وعبادتها ليدخلوها في صلب شخصية وعبادة يهوه مع تفخيم وتضخيم أكثر ابتغاء إحداث الأثر والتأثير اللازمين.

يقول العهد القديم عن عرش الرب يهوه: «وركب الرب على كروب (كروبيم) وطار ورفرف على أجنحة الريح»[1]، ويتابع في رؤيا حزقيال ومن بابل مكان عبادة مردك «كان الرب يجلس على عرش تحمله أربعة مخلوقات (كروبيم) (أو حيوت بالعبرية) لكل منها أربعة أوجه، وجه إنسان (للمقارنة العودة إلى صورة مردوك) ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل منها أربعة أجنحة تحتها أيدي إنسان» (فصفة الإله يهوه هنا أقوى من مردوك وتتفوق عليه لأنّ مردوك يحمل وجه إنسان وتحرسه أفعى وذنب عقرب وبرثني أسد ونسر، فيما يهوه يحميه وجوه أسد ونسر وثور ووجه إنسان).

ويتابع حزقيال: «ونظرت إلى المخلوقات فإذا عجلة، واحدة على الأرض وأطرها... ملأى عيوناً حواليها... وإذا سارت المخلوقات سارت العجلات وكل كروب له أربعة أوجه... وجه ثور ووجه إنسان ووجه أسد ووجه نسر».

ويتابع العهد القديم لإضفاء هالة الربوبية على يهوه فيقول: إنّ وظائف الكروبيم ست، حمل الرب، وحراسته، وحراسة تابوت العهد، وحراسة هيكل الرب، وحراسة شجرة الحياة (فطرد الرب الإنسان، وأقام في شرق جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة[2]).

---

(١) سفر ملوك أول: إصحاح ٦.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ٣.

إن عدنا قليلاً إلى المكتشفات حول الإله مردوك نجد الكثير من الصور المحفورة للشجرة المقدسة شجرة الحياة، والكائنات الجنية تحرسها (وهو ما نقله اليهود حرفياً إلى صفة عرش يهوه) كذلك وهناك الشجرة البابلية المقدسة وهي مزيج من نخل ونبات مخروطي يحفّ بها من اليمين والشمال جنيان لهما رأس إنسان أو نسر (وهو ما أشار إليه وبنفس الصورة المنقولة النبي حزقيال عن عرش يهوه) يمدان أيديهما إلى ثمرة على الشجرة[1]، كذلك نجد في بعض زخارف هيكل سليمان وهيكل أورشليم نخيلاً مشابهاً لنفس التصوير البابلي ويظهره لنا سفر حزقيال حين يقول: «فبين كل كروب وكروب نخلة داخل الهيكل» أي أن النخلة الواحدة يحفّ بها كروبان بنفس صيغة النخلة البابلية المكتشفة أثرياً والتي تظهر الشجرة البابلية المقدسة يحفّ بها جنيان ولكل كروب وجه إنسان نحو نخلة ووجه شبل نحو النخلة الثانية أو من الناحية الثانية، نقلها حزقيال من رؤياه لها في بابل ثم أدخلتها الروح في صلب ديانتها حول يهوه ودوّنته في أورشليم دون خشية اكتشاف الأمر في ذلك الزمن.

وأمّا فكرة حمل يهوه في السماء على عربة (لها أربع عجلات بحسب حزقيال) فتعود إلى اعتقاد اليهود بأنّ يهوه كالإله ادد (هدد) إله العاصفة والريح والبرق والرعد المصاحبين لهما، ثم إن مسألة الخلاف حول عدد الكروبيم الحاملين عرش الرب يهوه بين إصحاح وآخر عائد للكتبة والعوامل الشخصية في النقل والتفخيم فصموئيل الثاني (سفر) تحدّث عن الكروب كطائر محض «الكروب يحمل يهوه»[2] أما حزقيال فعدد أنها أربعة بحسب الصورة البابلية. وكلمة كروب أصلها كارب أو كريب[3] وليس جروبس

(١) يرمياس ص ١٩٥.
(٢) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٢٢.
(٣) تسمرن ص ٤٩.

اليونانية، وكارب طائفة من الكائنات الجنية التي كانت تحرس معابد بابل ومعناها الآكادي صلّى وبارك بحيث نجد متقارباً لها في العربية والعبرية على غرار كرب «برك» أو بركة أو بارك، وذلك يعيدنا إلى أن الكلمة نقلت من بابل إلى «العهد القديم».

يقول سفر أخنوخ الذي يعتبر عند اليهود أنه سفر منحول، ان «الكروبيم والراقيم والأفنيم كلها تسبح لله وتحرس عرشه»[1] وهو وصف مطابق للتعاليم السماوية الأخرى وعليه فقد رفضه اليهود لأنه متعارض مع وصفهم التفخيمي لعرش الرب يهوه، يقول لوذر ص ٢٩١: «إنّ عيد الفصح من بقايا الدين السامي القديم التي حفظها وتقبلها دين يهوه وأبقى عليها» وبالسياق نفسه تمّ أخذ الديانات الأخرى والحفاظ عليها ودمجها وتطويرها في عبادة الرب يهوه «فالعبريون كانوا بدواً عبدة للقمر، يستنزلون بركته على ماشيتهم ويبعدون الأرواح الشريرة عن البيت برش الدم (وهو ما فعله موسى عليه السلام بحسب زعم الروح اليهودية لاحقاً في المحرّقات للرب) والأعشاب المرة، مثلهم في ذلك مثل الشعوب الأخرى، فاليونانيون (ووضع أوراق الغار) والإغريق (ووضع الثوم لطرد الشياطين) ملامح عبادات أدخلها اليهود في دين يهوه كذبيحة للفصح يحتفلون بها مستهل الربيع أي موسم نتاج الماشية[2] (في تأصل البداوة في العادات) فلما انتقلوا إلى كنعان وجدوا عيداً هناك يحتفل به للحصاد فأخذوه أيضاً وأصبح عندهم أساساً لعيد الفطير ولقد تمّ ربط ذلك كله في عملية دجل وتزوير لإدخالها في صلب المعتقدات اليهودية كأمرٍ من الرب وخلقوا حول ذلك شعائر وعبادات على اعتبار أن العيدين يرتبطان بقصة خروج اليهود من مصر وأمر الرب بإحيائهما بمناسبة ذلك.

لقد فسّرت بعض أحكام العيدين تفسيرات لها دلالاتها وأبعادها على

---

(١) أخنوخ، وثائق ٧١.

(٢) سميث ص ٤٦٥.

الحركة في الروح اليهودية وانتشار سلطتها، فمسألة وضع الدم على الباب والتي وردت على لسان الرب لليهود كي يعرف منازلهم عن منازل المصريين فلا يخربها[1] ويقتلهم خطأً، هي مسألة أقدم من وجود اليهود نفسه ليس في مصر وإنما لما قبل ذلك بآلاف السنين لدى الشعوب الوثنية.

وأمّا مسألة ربط قصة الخروج بعيد الفطير فإنّ موسى نفسه لم يشر إليه كما وأن اليهود حملوه عن الكنعانيين بعد خروجهم من مصر بسنوات، يقول موسى لفرعون: «أطلق شعبي إسرائيل. . . فقالا له. . . لنذهب مسيرة ثلاثة أيام في الصحراء ونذبح للرب إلهنا لئلا يصيبنا بالوباء»[2]، ومن خلال هذه الصورة نجد أنّ اليهود طلبوا من موسى الخروج من مصر لفعل عبادي قديم وهو تقديم أضحية للرب (ذبيحة) أي على نسق تقديم ذبيحة إلهية للآلهة القديمة (مردوك والقمر) وليس لأضحية فطير وإنما عودة كاملة للوثنية المتغلغلة في نفوسهم إبان البداوة.

كذلك نجد ومن خلال العهد القديم نفسه أن لا أثر لوجود عبادة وشعائر عبادية تتعلق بيوم التكفير أو وجوده ولا بذبائح الخطية مما يؤكد دخول هذه الشعائر لاحقاً في صلب العهد القديم ولأنّ إصحاح نحميا الثامن يخلو من ذلك كلّه بحيث أنه يذكر أن «عزرا تلا التوراة للشعب في اليوم الأول من الشهر السابع» علماً أن العهد القديم حدد في إصحاح آخر أن العيد هو في اليوم العاشر من الشهر السابع وليس في اليوم الأول كما أكّد عزرا.

فيوم هكبور أو هيكبوريم أو التكفير (صوم ربا = الصوم الكبير) كان يحتفل به بحسب العرف اليهودي في العاشر من الشهر السابع والذي كان في الأصل أول الشهور السنوية العبرية في الخريف، ثم أخذ العبريون التقويم البابلي إبان أسرهم إلى بابل وأسموه «تشري» نقلاً عن الاسم البابلي الأصلي

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ١٢.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٥.

«تشريت» فجعلوه الشهر السابع من شهور سنتهم حيث يقومون محرقاتهم للتكفير عن الذنوب أمام الرب فيحضرون تيسين الأول يحرّق في معبد الرب والثاني يرسل في البرية إلى عزازيل[1].

وعزازيل شيطان يعتقد بنو إسرائيل أنه يسكن في الصحراء منذ أيام بداوتهم في الجزيرة وحتى عصرنا الحالي، غير أنهم طوروا هذه المسألة بجعلها أمراً إلهياً يأمر به الرب لـ«يرسلون التيس إلى عزازيل في الصحراء كي يأخذه مع خطاياهم ويرحل»[2].

وهنا تم دمج الخرافة والمعتقدات الوثنية ثم جعلت أمراً إلهياً «وأما التيس الذي وقعت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيّاً أمام الرب ليرسله إلى عزازيل في البرية»[3].

من هنا نجد أن الصفات المقتبسة لعبادة الإله يهوه ثم نقلها عن الأديان الأخرى بشكلٍ يصعب حصره في أبواب ضيقة من هذه الدراسة وللدلالة فإنّ أفعال تلك الآلهة لا أسماءها هي التي تمت سرقتها وإدخالها كفعلٍ للرب يهوه، وما الإله أسكو، والإله انليل (سيد الريح) والإله انكا (إله الماء) والإله آيا (إله السحر) الذي يصطفي محبيه[4]، والإله سين والذي يعتقد أن اليهود اشتقوا اسم سيناء منه، والإله شمش والذي أقام له اليهود قرية لاتزال تحمل اسمه حتى عصرنا (قرية شمش) سوى آلهة دمجت قدراتها وقواها وأفعالها وما إلى ذلك على يد الروح اليهودية كصفات للإله أو للرب يهوه.

ولقد وردت أنشودة في رسائل عسقلان المكتشفة في حفائر تلك العمارنة تمجّد الإله شمش فتقول:

---

(١) سفر لاووين: إصحاحات ٥، ٧، ١٠، ١٤، ٢٧.

(٢) جاستر ١٣٨، أوسترلي ١١٣.

(٣) سفر لاووين: إصحاح ٢٩ و٣٤.

(٤) دورم ص ٣١.

ايه يا شمش يا ملك السماء والأرض
يا من توجه كل شيء من عل ومن سافل
يا نور البلاد. . . .

كذلك وردت قصيدة سومرية قديمة مقاربة للسياق وتقول:

بلغت غاية العمر ومضيت إلى ما ورائها
وتلفت حولي فإذا شر فوق شر
ضيقي يزداد والعدل لا أراه
ولكن لم أفكر أنا نفسي إلاّ في الصلاة والتضرّع
وكان التضرّع ديدني وتقديم القرابين؟ عادتي

ـ ومن خلال مقارنتنا لهذه القصيدة مع سفر أيوب إصحاح ٣٠ نجد:

أصرخ إليك فلا تستجيب لي
صرت قاسياً عليّ، بقوة يدك تضطهدني
ترفضني إلى الريح
حينما رجوت الخير جاء الشر
وحينما انتظرت النور أتى الظلام
روحي تلفت أيامي انطفأت إنما القبور لي

إن إيجاد مكامن التزوير المدخلة في إصحاحات العهد القديم بينة ولا تحتاج إلاّ إلى إظهارها كونها غلّفت وصقلت مع الزمن حتى مراحل نسخ وكتابة العهد غير أنها بقيت تنضح بالوثنية والأثنية المغلفة بستار الانتساب لقول الرب ونرى «وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان(!!) عورة أبيه وأخبر أخويه، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء(!!) وسترا عورة أبيهما، ولم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره

وعلم(؟) ما فعل ابنه قال «ملعون كنعان(؟) عبد العبيد يكون لأخوته» ومبارك الرب إله سام[1]!

فالرواية القصصية لفعل حام نحو أبيه اعتبرت مع الزمن من المسلّمات مع عدم الانتباه إلى هدف الروح اليهودية من وضع الرواية هذه، لقد تمّ تناقل هذه الرواية عن العهد القديم ليس بين العبرانيين وحدهم وإنما بين الشعوب الأخرى والتي لم تكن تملك إمكانيات تسمح لها بمعرفة الغاية والهدف والقصة الحقيقية لهذا الحدث.

فسكر نوح عليه السلام بحسب العهد القديم وتعرّيه خصال يمكن اتباعها اجتماعياً طالما أن نبيّاً قام بها، ثم إن خلق الطبقية والعبودية جاء بأمر إلهي لأنّ حام ضحك على عورة أبيه فكان على نسله أن يدفع الثمن أبد الدهر، ثم ليصبحوا عبيداً لأبناء سام ويافث، ثم إظهار غيرة سام على أبيه للدلالة على سموّ نسل سام وسبب حبّ الرب لهم واختيارهم كشعبٍ له، لقد كانت صبيانية الرواية هنا متوافقة مع الحالة العقلية والمستوى الفكري البشري في أعصر وضع العهد القديم ولذا مرّت وثبتت وترسّخت كأمرٍ وقع فعلاً مع العلم أن العهد القديم نفسه أخطأ في نقل أكثر من حالة مشابهة لفعل حام ولم يعقّب عليها بل حور نتائجها باتجاه مصالحه والمذهل أن أحداً ما لم يقم بمقارنة الفعل أو النتيجة من تلك الروايات أو الهدف الكامن خلفها، وأسباب السكوت اليهودي عن بعضها وتفعيل البعض الآخر يقول العهد القديم: «وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في الأرض أن رأوبين (ابن النبي يعقوب جدّ اليهود) ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل»[2].

فزنى رأوبين مع زوجة أبيه وعلى مسمع شعب إسرائيل ذكر بشكل عرضي أي دون تعليق من قبل الروح اليهودية كما فعلت مع حام وأن الربّ

(١) سفر التكوين: إصحاح ٩.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ٣٥.

فرض عليه عقاباً علماً أن زنى رأوبين أشدّ وقعاً من نظرة حام، وأمّا سبب ذكر الروح اليهودية لفعل رأوبين ولو بشكل مختصر فيعود إلى مسألة الطبقية داخل المجتمع اليهودي نفسه كما سنرى لاحقاً.

ويتابع العهد القديم: «ونظرها يهوذا وحسبها زانية (زوجة ابنه ثامار) فمال إليها على الطريق، وقال هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته (بحسب ما برر العهد القديم) ودخل عليها فحبلت منه»[١]، ففعل يهوذا ورأوبين لا يقاس بفعل حام الذي نظر إلى عورة أبيه بحسب الادّعاء اليهودي وكان نصيبه غضب الرب والعبودية لنسله فيما لم يغضب ذاك الرب لفعل الزنى من يهوذا ورأوبين، وهو الذي يقول في العهد القديم: «لا يتخذ رجل امرأة أبيه»[٢].

لقد فرضت الروح اليهودية إيقاع رواياتها الخاصة على التاريخ حتى أنّ الكثير مما زوّر بهتاناً عن الأنبياء أضحى أمراً واقعاً أخذت به الشعوب الأخرى ولم تعترض عليه حتى أيامنا هذه بما في ذلك اتّباع الديانة المسيحية (باستثناء بعض البحاثة في العصر الحالي والنصف الثاني من القرن الماضي).

إنّ الروح اليهودية جعلت المجتمع اليهودي شبيهاً بالحلقات الدائرية تتمحور كلها حولها لأنها تحمل تعاليم موسى ثم تبدأ الحلقات تدرجها واتساعها كدائرة محيطة بالحلقة القلب أي الروح، وبقدر ما تكون تلك الحلقة قريبة يكون ذكرها طيباً وسمعتها حسنة على مستوى علاقتها بالرب الذي تمثّله الروح اليهودية هنا وبالعكس، ولقد أوجدت الروح اثني عشر فرعاً لها هم أسباط إسرائيل وبذا تكون الحلقات الدائرية اثنتي عشرة، لها مرتباتها الاجتماعية وأدوارها التاريخية والدينية، كما وأنه كان بينها فواصل طبقية أوجدتها الروح اليهودية من خلال رواياتها وإدخال أمر الرب كحكم يصدر

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ٣٨.
(٢) سفر التثنية: إصحاح ٢٢.

قراراته بشأن الأحداث الواردة في تلك الروايات المزورة لخلق مبدأ القيادة والتسلسل الطبقي والاجتماعي.

ولتوضيح الصورة نعود إلى العهد القديم فنجد: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه... وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل إلينا كعادة كل الأرض... هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً... فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة[1] ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم (لوط) باضطجاعهما ولا بقيامهما، ثم قامت الصغيرة واضطجعت معه، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت الابنة البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم (فالمؤابيون أولاد زنى) والصغيرة ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم[2] (وبنو عمون أولاد زنى)، وعليه فلا أحقية لأبناء مؤاب أو لبني عمون بمستوى أحقية أولاد يعقوب من الاختيار الإلهي وما يترتب عليه ذلك من مستوى اجتماعي وديني وسياسي (قيادي)، من هنا وأنه بعد اختيار اسم الرب يهوه وجعله كامل الصفات عن الآلهة الأخرى (من مثلك يا رب بين الآلهة)[3] فإنّ مكان سكنه وتواجده يجب أن يكون في الدائرة القلب والتي هي أبناء يعقوب «واجتمع هناك ببني إسرائيل فيقدس مجدي... واسكن في وسط إسرائيل وأكون لهم إلهاً فيعلمون أني أنا الرب»[4].

إنّ مسألة إسكان الرب في وسط شعب إسرائيل لم تكن مجازية أو معنوية أو استعمالية فقط، ولكن حاجة اليهود لإله في وسطهم على نسق وجود الآلهة الأخرى في وسط شعوبها على شكل أصنام أو غيرها، وضع

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٩.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ١٩.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ١٤.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ٢٩.

فرضية أن يكون مسكن الرب في وسط الشعب اليهود، ولقد حاولوا في البدء إيجاد إله صنمي لهم «فقال يعقوب لكل بيته اعزلوا الآلهة الغريبة (أصنام الآلهة الغريبة عن يهوه الرب) فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم»[١] ثم حاولوا مع هرون «قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا»[٢] ثم ها هو الرب يهوه نفسه يتذلل لموسى كي يصدقه بنو إسرائيل أنه إله فعلاً «لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب»[٣] كما وأنّ الرب يكرر دائماً وفي كل عبارة عن لسانه في العهد القديم: «أنا الرب. . . وأنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»، كأنما هدف الروح اليهودية تحديد ربوبية يهوه على نسل هؤلاء فقط وتفضيله لهم.

إنّ مسألة إقامة الرب في وسط شعب إسرائيل كان لإعطاء الدلالة على محبته وحاجته لهم من جهة وللقضاء على نزعة الآلهة الأخرى التي أخذ اليهود يعبدونها بعد موسى (بعل فغور إله مؤاب[٤]) ولذلك راح الكهنة وعقب كل حدثٍ مأساوي لليهود يظهرونه كغضب من الرب على الشعب اليهودي لأنه يعبد الآلهة الأخرى.

ما هي صفات الرب يهوه بعد سكنه وسط الشعب اليهودي؟! إنها صفات يهودية محضة، ليتقارب معهم بأداء الفعل وليتابعوا بعده بأداء سياق عمله وأفعاله فهو إنسان خائف على وجوده كرب «وقال الرب هوذا شعبٌ واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون عمله(؟!) هلم ننزل ونبلبل هناك ألسنتهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض»[٥] ويجادل لإثبات ربوبيته «فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ٣٥.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٣٢.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٤.
(٤) سفر العدد: إصحاح ٢٥.
(٥) سفر التكوين: إصحاح ١١.

سارة، فأنكرت سارة قائلة لم أضحك لأنها خافت فقال (الرب) لا بل ضحكت»[١].

ويشرع لليهودية مسألة سرقة الشعوب الأخرى من منطلق استرداد ما خلقه الرب لهم واستغلّه الآخرون بزعم ذاك الرب «فلمّا رأى الرب... قال لهم (لليهود)... فيكون أنكم حين تمضون (من مصر) لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين»[٢].

ويستمر إدخال الصفات اليهودية في عمل الرب يهوه لشرعنتها من قبل الروح داخل العهد القديم «لأني أنا الرب إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء من الجيل الثالث والرابع»[٣]، فالرب إن أخطأ الوالد عاقب ابن ابن ابنه أيضاً وعليه فإنّ على الأب أن يطيع الروح اليهودية الممثلة للرب حتى لا يعاقب على تمرّده أحفاد أحفاده أيضاً.

ومع الوقت أصبح الرب يهوه مجرّد يهودي صرف يستهويه ذبح التيوس والثيران «فتذبح الثور أمام الرب عند خيمة الاجتماع»[٤] و«توقد الكبش محرقة للرب رائحة سرور ووقود هو للرب»[٥] و«تقدّم ثور خطية كل يوم»[٦] و«خروفان، خروف في الصباح وخروف في العشية»[٧] وحذار أن «لا يظهروا أمامي فارغين (من الهدية)»[٨]، وعلى الهدية أن تكون دسمة «فقال موسى

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٨.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٣.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٢٠.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ٢٩.
(٥) سفر الخروج: إصحاح ٢٩.
(٦) سفر الخروج: إصحاح ٢٩.
(٧) سفر الخروج: إصحاح ٢٩.
(٨) سفر الخروج: إصحاح ٣٤.

خذوا تقدمة للرب ذهباً وفضة ونحاساً واسمانجوني وأرجواناً»[١] وعلى اليهود مراعاة التوقيت «قرباني طعامي مع وقائدي تحرصون أن تقرّبوه لي في وقته»[٢].

ولقد كان الرب يهوه يكره الضعاف من الكائنات أو المشوهين ولا يرضى لأحد منهم أن يتقدم منه «وكلّم الرب موسى قائلاً . . . إذا كان رجل فيه عيب فلا يتقدم ليقرّب خبز إلهه لأنّ كل رجل فيه عيب لا يتقدم، لا رجل أعمى(؟!) ولا رجل أعرج ولا أفطس(؟!) ولا زوائدي ولا أحدب ولا أكشم ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصى إلى المذبح لا يقترب لأنّ فيه عيباً» كي لا «يدّنس مقدسي أنا الرب مقدسهم»[٣].

ويتابع الرب يهوه شروطه «وكلم الرب موسى قائلاً . . . كل إنسان قرب قربانه محرقة فللرضا يكون ذكراً صحيحاً(؟!) كل ما كان فيه عيب (من البقر والغنم) لا تقرّبوه لأنه لا يكون للرضا عنكم» ويكمل «وإذا قرّب إنسان ذبيحة سلامة للرب من البقر أو الأغنام يجب أن تكون صحيحة، كل عيب لا يكون فيها لا الأعمى والمكسور والمجروح والأحدب والأكلف هذه لا تقرّبوها للرب، فيها عيب لا يرضى عنكم»[٤].

وأخيراً تبلغ الروح الهدف من مثل هذه الطلبات الإلهية، وتبين عنصريتها كاملة دون مواربة وعلى لسان الرب هذه المرة أيضاً «وكلّم الرب موسى قائلاً . . . إنفوا من المحلة كل أبرص وكل ذي سيل وكل متنجس بميْت لكي لا ينجسوا حيث أنا ساكن»[٥]، فالعنصرية اليهودية أرادت أن تظهر

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٣٥.
(٢) سفر العدد: إصحاح ٢٨.
(٣) سفر لاويين: إصحاح ٢١.
(٤) سفر لاويين: إصحاح ٢٢.
(٥) سفر العدد: إصحاح ٥.

نقاوة الدم اليهودي ورفعة مكانته على الشعوب الأخرى إن من حيث أداؤه العبادي أو من حيث تعامله الإلهي أو من حيث معدنه البشري المميز.

ومهما يكن فإنّ بعض ما هدفت إليه الروح يصعب فهمه وإن حاول المرء ذلك من مثال ما ورد عن لسان الرب يهوه في العهد القديم «وقال الرب لموسى... لا تصعد بدرج على مذبحي كي لا تنكشف عورتك عليه»[١] (والآية لا تحتاج إلى تعليق).

أحاط اليهود بالرب يهوه وجعلوه شيئاً خاصاً بهم، بشري الصفات وثني العبادة، كائناً خليطاً من آلهة الآخرين في قالب يحمل اسم الرب يهوه حتى أنّ الروح اليهودية ومن منطلق إظهار قوتها الموازية لقوة الرب جعلت يعقوب يصارعه ويكاد يتغلّب عليه إبرازاً لمراحل وجودها اللاحق في وسط الشعب اليهودي واستكمال السيطرة عليه يقول العهد القديم: «إنّ يعقوب صارع الرب فأعياه»[٢]، وان موسى أنّبه مرات «فرجع موسى إلى الرب وقال... لماذا أسأت إلى هذا الشعب»[٣] و«لماذا أخرجتهم (من مصر) بخبث... فندم الرب»[٤]، وكان في غضبه يشتم ويسب «فحمي غضب الرب عليهما (هرون ومريم) ومضى فإذا مريم برصاء... فصرخ موسى إلى الرب قائلاً اللهم اشفها(!!)... فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقاً في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام»[٥].

لم يكتف اليهود بسرقة الشعائر العبادية وحدها، لا بل سرقوا صيغاً وتعابير لفظية كانت متداولة وعلى نطاق واسع يتم استعمالها للدلالة أو الإشارة قبل وجودهم بزمن لا يقلّ عن ألفي عام.

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٢٠.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ٣٢.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٥.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ٣٢.
(٥) سفر العدد: إصحاح ١٢.

ولإيضاح الموضوع لا بدّ لنا من العودة إلى نصّ سنوسرت الأول (خپر ـ كا رع) ملك مصر إلى تابعه الهارب سنوحي المقيم في الشام، ولقد جاء في النص الرسالة التالية[1]: «حورس الإله الحي، تحرسه حيتان الآلهتان الاثنتان (تم نقل الصيغة للرب يهوه)... هذا هو أمر ملكي إلى التابع سنوحي، اسمع، لقد طوحت بك الأقدار إلى البلاد الأجنبية من قدم إلى ريثنو (يعتقد أنها الجولان) ما الذي فعلته حتى ينالك عقاب من أجله... عد إلى مصر... إذ لا شك أنك آخذ في الاتجاه نحو الشيخوخة، تذكر، اليوم الذي تنقل فيه إلى القبر... سينظم لك موكب جنائزي... ويكون هناك تابوت للمومياء مصنوع من الذهب... وستحمل على زلاجة تجرّها الثيران، يتقدمك المغنون وترقص رقصة «المو» أمام مدخل قبرك وتتم عندها «مراسيم إعداد مائدة قربان لك ويقدم القربان على الأعمدة المعدّة لذلك»[2] فالقربان والمذبح للمحرقات لم تكن فكرة عبادية يهودية بحال كما نرى!

وردّ سنوحي بجواب على الأمر الملكي «...باسم السلام... أيها الإله الطيب ملك الأرضين... ان هذا الهرب لم يكن له في قلبي مكان... لست أدري ما الذي أصابني... لم يكن قد تملكني خوف إذ لم يركض أحد خلفي (للمطاردة) ولم أسمع كلمة مهينة قط و«لم يبصق أحد في وجهي».

لقد كان بين سنوسرت وسنوحي ومن ثم موسى أعوام طوال ولكن اليهود وقد عاشوا في مصر حملوا معهم العادات والتقاليد ونسبوها إلى الرب يهوه، فعربة الثيران أوردها حزقيال بعد ذلك في سفر رؤياه كما ادّعى والقربان عادة مصرية للعبادة مع أعمدة معدّة أي مذبح، كذلك عبارة «بصق أحد في وجهي» ألفاظ متداولة لها معانيها ودلالتها استعملها اليهود في عبارات الرب يهوه للدلالة على غضبه.

---

(١) من نصّ سنوحي.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٢٤.

ولم تتوقف عملية الاقتباس والتزوير عند حدٍّ معين، بحيث تحوّل الرب يهوه شبيهاً «بالانثروبومورفيه» الإغريقية المساوية لحركة البشر والآلهة معاً وتخضع للأحكام الآدمية الأخلاقية[1].

والتي وضعت لكل موقف إله يتمّ استدعاؤه عند الحاجة بالقرابين فيظهر إما في هيئة انسيابية على شكلِ طيور أو على شكل «شرارات متطايرة من القرابين» (كما وصف اليهود ربهم يهوه) وهو ما أظهره نشيد كاليماخوس وهوميروس أيضاً في إظهار قدوم الرب «كغيوم حول الجبل» و«دوي الرعد» بحسب الإلياذة والتي أظهرت الرب بامتياز خاص مع بعض الأبطال تغلب فيهم التفكير على صعوبة التوفيق بين الاعتقاد في التدخل الإلهي المباشر والدائم المحسوس في شؤون البشر دون أن يرى، وبين اتخاذ ذلك الإله هيئة ومواصفات عقلانية الإنسان وهكذا، فإنّ الروح اليهودية أوجدت حلاًّ لها بين هذه المعتقدات المنتشرة، إذ أصبح من السهل والمعتاد بالنسبة للإله يهوه أن يتدخل في شؤون البشر ومعايشتهم مع بقاء صفة الألوهية النظرية فيه على غرار النظرة الإغريقية تلك، يقول العهد القديم «ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل. . . ولكن الرب لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل (لم يسلّم عليهم أو يمسّهم) فرأوا الله وأكلوا وشربوا»[2].

فالروح اليهودية هنا عملت على التوفيق بين بشرية الأداء الإلهي لتسهيل أعمالها وأدائها في السيطرة وبين ألوهية المقام وعلوّه (لم يمدّ يده) غير أنها وفي موضع حاجتها جعلت الرب يمدّ يده ويطعم ويأكل «وظهر له الرب عند بلوطات ممرا. . . فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون. . فأخذ زبداً

(١) كتاب آلهة الإغريق، غوثري ص ١٤٨.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٢٤.

ولبناً. . . وإذ كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا»[١] وتظهر حاجة الروح اليهودية إلى إضفاء الصفة البشرية على الرب يهوه في أكثر من موقع «أتى الله بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك»[٢] و«كما قال (موسى) ناداه الله. . . موسى موسى»[٣] و«فأرى الدم ولا أضربكم»[٤]، أو موقفه مع ابيمالك زعيم الفلسطينيين[٥]، أو مع لابان[٦] أو مع معاناة الشعب اليهودي[٧] وسماعه أنينهم[٨]، وكذلك كتابته للوحي الحجر بإصبعه[٩] وصنعه لراية موسى والحية عليها[١٠]، وبناء النجمة[١١] وخصامه لميكال ابنة شاوول[١٢] كلها خصال تعاملية معتادة تندرج في سياق النظرة البشرية لآلهتها في تلك الأزمنة ولم يختلف اليهود عن سواهم إلاّ في استغلال هذه العادات إن على مستوى إلباسها للربّ يهوه لتفضيله على الآلهة الأخرى، أو على مستوى السيطرة اللاحقة للروح اليهودية.

وبعودة إلى رسالة سنوحي التي مرّت المرسلة من سنوسرت الأول، نجد ما يؤكّد هذه المقولة، فقد ورد في العهد القديم وصف لنقل تابوت الرب على يد داوود ما يلي: «وجمع داوود المنتخبين في إسرائيل، وقام داوود

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٨.
(٢) سفر العدد: إصحاح ٢٢.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٣.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ١٢.
(٥) سفر التكوين: إصحاح ٢٠.
(٦) سفر التكوين: إصحاح ٢.
(٧) سفر التكوين: إصحاح ٢.
(٨) سفر الخروج: إصحاح ٦.
(٩) سفر الخروج: إصحاح ٣٢.
(١٠) سفر العدد: إصحاح ٢١.
(١١) سفر الخروج: إصحاح ٣٣.
(١٢) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٦.

وجميع الشعب معه ليصعدوا من بعلة يهوذا بتابوت الله الذي يدعى عليه بالاسم رب الجنود الجالس على الكروبيم... فأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة... وكان اخيو يسير أمام التابوت... وداوود وكل بيت إسرائيل يلعبون (يرقصون) أمام الرب بكل أنواع الآلات... وأصعد داوود محرقات أمام الرب وذبائح سلامه»[(١)]، وهو وصف منقول وبالكامل عمّا كان يحصل في مصر إبان تواجد اليهود فيها، وأظهرته رسالة سنوسرت الأول المنقوشة في خمس برديات وسبع عشرة فخارية تمّ اكتشافها عام ١٩٠٩ وثبتت كتابتها أو نقشها عام ٢٠٠٠ ق.م أي قبل داوود بثمانماية عام أو أكثر بحسب الأثريين[(٢)]، وتقول بالإضافة لما ذكرناه: «تذكر يا هذا اليوم الذي تنقل فيه إلى القبر، عندها تطيب وتلف على يد تايث (آلهة النسج) وسينظم موكب جنائزي لك يوم إدخالك القبر، فيكون هناك تابوت مصنوع لك من الذهب، وستحمل على زلاجة تجرّها ثيران (عربة) يتقدمك المغنّون، ويتمّ إعداد مائدة القربان لك».

فالرموز العبادية هنا والتي كانت متداولة في مصر وشعائرها، تمّ نقلها كشعائر يهودية يقوم بها داوود وأنبياء بني إسرائيل وملوكهم في الأزمنة اللاحقة، حتى ليكاد يمكن القول إن معظم العبادات المصرية دخلت بكاملها في الديانة اليهودية مع أولئك الأنبياء والملوك.

لقد ظهرت أول دعوة شبه توحيدية معروفة مع اخناتون الذي خلف والده امنحوتب الثالث على عرش مصر، وقد توفي امنحوتب عام ١٣٨٠ق.م فيما توفي اخناتون عام ١٣٦٢ق.م وظهر داوود عام ١٠٢٠ق.م بفارق ثلاثماية سنة هي الزمن الفاصل بين عهد يوسف عليه السلام وخروج موسى عليه السلام مع اليهود من مصر (أربعماية سنة).

---

(١) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٦.

(٢) بريتشارد، ص ١٨.

وفي عام ١٢٨٨ق.م صدرت أول إشارة لوجود اليهود في مصر عندما عاد رعمسيس الثاني من بلاد الشام وجلب معه الأسرى اليهود منها[١].

وتبيّن النصوص المكتشفة لقصائد وترانيم أخناتون والتي جاء فيها «ألا ما أكثر أعمالك (الرب) الخافية علينا أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك»[٢] تبين تشابهاً مثيراً للدهشة إن عدنا للعهد القديم وللمزمور الرابع بعد المائة لداوود والذي يقول فيه «ما أعظم أعمالك يا رب كلّها بحكمة صنعت» كذلك نجد الوصف عينه في سفر إشعيا[٣]، فالاقتباس هنا متشابه وملفت للنظر والتساؤل خصوصاً أن اليهود عايشوا عهد اخناتون في مصر!

لقد كانت الحركة اليهودية التاريخية تخضع للمدّ والجزر فتارة من بلاد الرافدين إلى مصر وفلسطين وطوراً من مصر إلى فلسطين فبلاد الرافدين لذلك يمكن فهم كيفية صياغة الأفكار الدينية التي كانت قائمة بين الأقطار الثلاثة وسبكها في قالب اسمه الرب يهوه.

وبالعودة إلى بلاد الرافدين، نجد هناك شرائع لحمورابي كتبت أو حفرت بالأصح قبل اليهودية بآلاف السنين ومع ذلك دخلت في نصوص العهد القديم وبكاملها مع مراعاة التغيير اللغوي عليها والذي أشرنا إليه سابقاً.

يقول حمورابي في خاتمة قوانينه المنقوشة أسفل المسلة التي تحمل قوانينه ما يأتي:

إنها، قوانين العدالة التي وضعها حمورابي الملك المجتهد وأقام

---

(١) قصة الحضارة، ديورانت ص ١٨١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

بواسطتها للبلاد قيادة رشيدة وحكومة عادلة أنا حمورابي الملك الكامل.

لم أكن مهملاً لذوي الرؤوس السود[١]!

إنّ أول الصفات المشتركة هي نصب المسلات والتي كانت رمزاً لحفظ التعاليم الدينية، وقد ورد في العهد القديم «يوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتكلّسها بالكلس وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس (أي التوراة)»[٢].

فالرب يهوه هنا أخذ طريقة حمورابي ونقلها اليهود بعد حمورابي بستماية عام تقريباً لينسبوها إلى أنفسهم وعلى لسان الرب لهم، وتابع العهد القديم «واطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[٣].

يقول التاريخ: إنّ الأكديين اسم جامع للبابليين والآشوريين بعدهم والحيثيين في فترات تاريخية لاحقة، والدولة السامية A.GA.DE التي بناها سرجون بالقرب من كيش (تل الأحيمر) وسبر (تل أبو حبة) لتكون مقراً لدولته في الجزء الشمالي من أرض بابل حوالي عام ٢٣٥٠ق.م بعدما قضى على سلطان السومريين في جنوب أرض الرافدين، وتقول الأساطير في الأحافير المكتشفة في التليين المذكورين (الأحيمر وأبو حبة): إنّ سرجون مؤسس الدولة الأكادية أي دولة الرؤوس السود والتي ساندت حمورابي «تُرك وهو طفل رضيع على مياه نهر ولكنه (أي سرجون) أنقذ بمعجزة ثم عمل بستانياً لدى الملك قبل أن يستولي على الحكم ويؤسس دولته الأكادية ثم يستولي على بابل ولقد وردت قصة سرجون هذه عام ٢٣٥٠ق.م كما أشرنا ثم جاءت

---

(١) الرؤوس السود اسم للأكاديين.

(٢) سفر التثنية: إصحاح ٢٧.

(٣) سفر الخروج: إصحاح ٣٣.

قصة النبي موسى عليه السلام بعد ذلك بألف وثلاثماية عام بشكل مشابه في كثير من التفاصيل لقصة سرجون!

ويتابع حمورابي خاتمته فيقول:

لم أكن مهملاً لذوي الرؤوس السود
الذين أهداهم لي انليل (الإله)
وسلمني مردوخ (مردل) رعايتهم
ولم أضع يدي في حضني (أتقاعس)
وفتشت لهم عن مواقع السعادة
ووسعت المراعي (احتلال أراضٍ جديدة)
وأرسلت إليهم النور(؟!)
وقضيت على الأعداء في الأعلى والأسفل!

نعود إلى العهد القديم، وقد ورد فيه ما نصّه عن الرب يهوه «لكي يطرد من أمامك شعوب كثيرة (احتلال أراضٍ جديدة) ويأتي بك ويعطيك أرضهم نصيباً. . . فتردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل[1] (قضيت على الأعداء في الأعلى والأسفل)!».

ويتابع حمورابي:

يتواصل ظلي المعطاء على مدينتي
وضممت إلى صدري سكان البلاد
أهتمّ بهم بسلام
وأصونهم بصميم معرفتي
لذلك كلّه كتبت عباراتي الطيبة على مسلتي التذكارية فأنا والدٌ حقيقي لهم.

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٣٤.

لقد اختار حمورابي سكّان مدينة ليقيم بينهم ويحميهم ويصونهم ويحارب عنهم وكذلك وصف الرب يهوه بأنه اختار شعبه ليقيم بينهم ويحميهم بالصيغة نفسها والأسلوب اللذين ذكرهما حمورابي عن نفسه.

ولقد كان عمل الرب يهوه بحسب ما ورد في العهد القديم صورة مطابقة لعمل حمورابي مع شعبه، فالرب وسع أرزاق اليهود وأراضيهم[١] وملّكهم[٢] وحارب عنهم[٣] وصانهم[٤] وبلغ عطاؤه لليهود مداه[٥] وتدخل حتى في أدق تفاصيل الحياة معهم[٦].

يقول فرويد: «لم يحدث قطّ أن اختار إله عابديه» وحتى حمورابي اعتبر نفسه والداً لشعبه غير أنّ الروح اليهودية سعت لأوسع من ذلك وأشمل عندما أخذت تعاليم حمورابي كاملة دون نقصان كما سنرى ودمجتها مع تعاليم موسى عليه السلام في تزوير فائق الخداع والتضليل!

يقول الإصحاح العشرون من سفر الخروج:

١ ـ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، أي لا تعبد الأصنام، غير أن روحانية الآية أزيحت تحت صفة الغيرة الإلهية «أنا الرب أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء».

٢ ـ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً.

٣ ـ «أكرم أباك وأمك لتطول أيامك على الأرض» وزيد عليها «التي يعطيك الرب إلهك» وهنا تم دمج الهدف الديني بالتطلع السياسي للسيطرة.

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ١٢.
(٢) سفر العدد: إصحاح ٣٣.
(٣) سفر التثنية: إصحاح ٣.
(٤) سفر يشوع: إصحاح ٦.
(٥) سفر يشوع: إصحاح ٦.
(٦) سفر الخروج: إصحاحات ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦ إلى ٣٢.

٤ ـ لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته امرأة قريبك، ففي الشطر الأول جاء الوحي روحانياً صافياً وأما إدخال مسألة قريبك في الشطر الثاني فهي لتحديد أنّ هذه الصفات تنطبق على القريب فقط أي اليهود وما عدا ذلك فلك الحق أن تسرقه وتقتله الخ. . .

٥ ـ إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم والسابعة يخرج حرّاً وتمّ تحديد الحرية للعبد العبراني فقط.

٦ ـ لا تضايق الغريب لأنكم كنتم غرباء في مصر[1]، وبنفس الآية نجد «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض»[2]، والصعوبة هنا في فهم كيفية تطابق الآيتين في التنفيذ وأيّهما الأصح وكيف تم خلق تركيبتهما هذه بما يقودنا للبحث في مسألة تزوير رسالة موسى عليه السلام!

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٢٣.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٣٤.

القسم الثاني

التزوير الرسالي

كانت رسالة نبي الله موسى عليه السلام جليّة القصد، واضحة المعالم والأهداف إلهية الوحي والإعداد «ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً، ملعون الإنسان الذي يستخف بأمّه وأبيه، ملعون من يضلّ الأعمى، ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة، ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس آمين»[1] وهذه هي الوصايا الحقيقية لموسى عليه السلام.

ويقول العهد القديم: «إنّ وصايا موسى كتبت على لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله»[2]. وبذلك يكون من الجلي أن حجم هذه الوصايا محدودة وقليلة وتفي الغرض منها بحيث تم وضعها على لوحي حجر لا يحتمل حجمهما التأويل لحاجة حملهما وتداولهما!

غير أنّ الروح اليهودية ومن منطلق غاياتها نسبت إلى موسى بما لم يأته فعدت الأسفار الخمسة بمحتوياتها الطويلة من الوصايا التي حملها موسى عليه السلام إلاّ أن البحاثة[3] أثبتوا أنّ الأسفار الخمسة كتبت بعد موسى

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ٢٧.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٣٢.
(٣) يوليوس فلهاوزن الألماني.

بزمن طويل ولقرون، كذلك فإنّ كتاب يشوع يدخل في نفس السياق، ولقد استدلّ أولئك البحاثة بالخلافات الموجودة بين إصحاح وآخر في الأسفار ان على مستوى اسم الله أو الصيغة القصصية، وفروق اللغة والأسلوب بحيث تم تحديد أربعة مصادر أساسية حول كتابة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى وهي:

أولاً: المصدر اليهودي: ألّف حوالي عام ٨٥٠ق.م إبان مملكة يهوذا وسمي بذلك لأنه استعمل اسم العلم يهوه، بينما استعمل اسم الإله الوهيم في مصادر أخرى من الإصحاحات.

ثانياً: المصدرالألوهيمي: ألّف حوالي ٧٧٠ق.م في المملكة الشمالية ثم تمّ دمج المصدرين في مجموعة واحدة عام ٦٥٠ق.م.

ثالثاً: المصدر التثنية: ألّف في زمن الملك يوشيا هو ملك يهوذا عام ٦٢٠ق.م وكان تأليفه لإقامة إصلاح ديني في عهده.

رابعاً: المصدر الكهنوتي: ويرجع إلى زمن عزرا حيث تمّ دمج الإصحاحات السابقة مع التأليف بما يعرف بالأسفار الخمسة[١].

وبالرغم من أن بعض البحاثة المستجدين[٢] فصلوا مراحل تأليف الكتاب المقدس (العهد القديم) إلى مرحلتين فقد توصلوا لنفس النتائج تقريباً وهو أنّ مسألة نسب الأسفار الخمسة إلى موسى مشكوك بصحتها دينياً وتاريخياً.

لقد حوت الأسفار الخمسة أسماء رمزية كانت متداولة بين الأمم على غرار آدم (الرجل) وحواء (المرأة) وأما ما يثير الشك فهي تلك الأسماء التي أطلقت على أبناء نوح والتي كانت موجودة قبل نوح عليه السلام كأسماء للبلدان

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انجنل وايسفلت ونوت وفون راد.

اقتبسها اليهود وأسموها أو أطلقوها على أبناء نوح تحت الصيغة الإلهية مثال أرام (اسم سورية) ومدين (صحراء الأردن) وعزرائيم (مصر) وكنعان (فلسطين) وإيلام (العجم) وآشور... وإن عدنا إلى نصوص العهد القديم قليلاً نجد «أن نهراً كان يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس (أنهر) اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب واسم الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، والنهر الثالث حداقل، وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع الفرات[(١)]. وبمراجعة للوضع الجغرافي نجد أنّ أسماء هذه الأنهر الواردة في العهد القديم على أنها أنهار عدن ما هي إلاّ أسماء لأنهر لاتزال موجودة حالياً في تركيا والعراق.

وأمّا أصل اقتباس أسماء هذه الأنهر في التزوير فيعود إلى أنّ بعض الكتبة (السوفير) الذين دوّنوا العهد القديم كانوا يعتبرون أنّ منطقة أربخيش وتسمى الآن «البك» بين أرمينيا وكردستان هي جنة عدن والمنشأ الأول للعبرانيين فهم أبناء أرفكش[(٢)] وهو ما يظهره العهد القديم[(٣)] ويظهر نقيض ذلك في الإشارة إلى أن بابل هي منشأ العبرانيين الأول[(٤)].

لقد أثبتت الأحافير المكتشفة والرسائل والحقائق التاريخية أن أصل اليهود كان في أور (العراق) في مراحل زمنية تلت هجرتهم الأولى من البادية في الجزيرة العربية.

وكلمة عبرانيين في أصلها من «عبر» بحسب البحاثة اليهود[(٥)]، أي الذين عبروا نهر الفرات (وأشرنا إلى تقارب اللغة).

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ٢.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ٢.
(٣) سفر التكوين: إصحاح ١٠.
(٤) سفر التكوين: إصحاح ١١.
(٥) كتاب اليهودية للحاخام ايزيدور أبشتاين.

وتؤكد الموسوعة اليهودية أن هؤلاء الكتبة «أعادوا وضع كتابة التاريخ اليهودي (في العهد القديم) من وجهة النظر الفريسية، وأن الشريعة اليهودية نشأت في بابل حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد ليس إلاّ»[١] أي بعد قرون من موسى عليه السلام.

ولقد أرادت الروح اليهودية بعد سبي بابل إحياء تعاليم موسى وصياغتها بقالب جديد مساعد ومعين ومن بابل كانت النواة التي جعلت من أصل رسالة موسى المحدودة كتاباً حمل ضرورات سياسية واجتماعية[٢] تهدف لجمع كلمة اليهود خلف الروح اليهودية وأهدافها، ولقد جعلت هذه التعاليم (الجديدة) بما حفلت به من أخطاء ومساوىء نتيجة عشوائيية النقل عن الشعوب الأخرى والمستوى العلمي والفكري للكتبة، جعلت العهد القديم صورة صادقة (وبهذه الناحية فقط) للانحطاط الفكري والحضري لليهود ونرى:

إنّ رجلاً يدعى «نابال» رفض دفع خوة لداوود وطرد رسله إليه قائلاً: «قد كثر اليوم العبيد الذين يقحصون(!!) كل واحد أمام سيده» وردّ داوود مهدداً «هكذا يصنع الله لأعداء داوود، وهكذا يزيد إن أبقيت من كل ما له إلى ضوء الصباح بائلاً بحائط(!!)»[٣].

وتم استعمال الصيغة نفسها في موضع آخر (بائل بحائط) على لسان النبي أخيا لامرأة ابيا بن يربعام «لذلك ها أنذا (الرب يهوه) جالب شرّاً على بيت يربعام وأقطع ليربعام كل بائل بحائط(!!) وأنزع آخر بيت يربعام كما ينزع البعر(!!)»[٤].

---

(١) د. آرثر روبن.
(٢) كتاب صياغة التاريخ اليهودي، البروفسور اليهودي رفكن.
(٣) سفر صموئيل الأول: إصحاح ٢٥.
(٤) سفر الملوك الأول: إصحاح ١٤.

ثم إنه لما حاصر سنحاريب ملك آشور أورشليم وأرسل رسلاً لمفاوضة حزقيا ملك إسرائيل فإنّ العهد القديم أورد الحادثة كما يلي: «قال الرسول: إنّ سيدي أرسلني لأتكلم بهذا الكلام... أليس إلى الرجال الجالسين على السور (في أورشليم) ليأكلوا عذرتهم(!!) ويشربوا بولهم(!!) معكم»[١].

وحين غضب الرب يهوه على منسى «وتكلم الرب... وقال.. وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن(!!) يمسحه ويقلبه على وجهه»[٢].

وأمّا النبي إشعيا فيقول على لسان الرب: «من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ومد يده فضربه وصارت جثثهم كالزبل(!!) في الأزقة»[٣] أو قوله: «هكذا يسوق ملك آشور سبي مصر.. عراة حفاة مكشوفي الأستاه(!!)»[٤].

أما ما ورد عن لسان حزقيال النبي حول قصة أهولة وأختها أهوليبة[٥] فيصعب نقله لما فيه من بذاءة وفاحش القول، ونأخذ بالقليل مما ورد عن لسان الرب يهوه «أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني العاهرة(!!) (في ترجمة ثانية الساحرة) ونسل الفاسق والزانية بمن تسخرون(!!) وعلى من تفغرون الفم(!!) وتدلعون اللسان(!!)»[٦] في إشارة إلى سخرية اليهود منه، ثم يتابع الرب يهوه فيقول: «أنا المتكلم بالبر العظيم... دستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي... فرشّ عصيرهم على ثيابي(!!) فلطخت كل ملابسي(؟!)»[٧].

---

(١) سفر الملوك الثاني: إصحاح ١٨.
(٢) سفر الملوك الثاني: إصحاح ٢١.
(٣) سفر إشعيا: إصحاح ٥.
(٤) سفر إشعيا: إصحاح ٢٠.
(٥) سفر حزقيال: إصحاح ٢٣.
(٦) سفر إشعيا: إصحاح ٥٧.
(٧) سفر إشعيا: إصحاح ٦٣.

إنّ استعمال الألفاظ السوقية في كلام الرب يعود إما إلى ضعف الكتابة لدى النقلة عن لسان المدراش[1] أو أنّ الاستعمال عائد للحالة الاجتماعية والثقافية السوقية في ذلك الوقت غير أن الأرجح أن الهدف من ذلك كان مقصوداً من الكتبة لإضعاف الرسالة المسيحية بين أتباعها لذا فإنّ المسيح عليه السلام كان يردد دائماً «الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون».

لقد حوّل «السوفير (الكتبة) تعاليم موسى بأكثر من اتجاه وهدف يصعب حصر مراميها ضمن نطاق معين ظاهر أو خفي، ففي البعض كان الهدف توثيق الترابط الاجتماعي لدى اليهود بسبب الأوضاع العسكرية المحيطة بهم، فيما أنّ البعض الثاني حمل تطلعات مستقبلية آنية أو بعيدة وعمل لها، والثالث أراد إعادة خلق النظم اليهودية كنظام مركز سيلون[2]، وهو نظام أخذ من مجلس الأمفكتيون اليوناني[3]، ومجالس الأمفكتيون مجالس مرتبطة بالمعاهد الدينية والمعابد والإشراف على إدارتها، وكان يشترك فيها أقوام من بلاد اليونان القديمة يتّحدون في إطار ديني سياسي، وذلك المجلس في أقدم صورة المنحوتة يمثل اثنتي عشرة قبيلة أي نفس العدد الذي اقتبسه اليهود لاحقاً[4] مما يؤكد أن اليهود لم يستنبطوا ولم يتلقوا عبر الوحي الذي يدّعونه عن الرب، أيّاً من الأشائر الدينية التي أدخلوها في العهد القديم كنظم من صلب الاختيار الإلهي لهم، ولكنهم نقلوها عن الشعوب الأخرى والتي كانت تتداولها كمنهج لحياتها الاجتماعية.

بالإضافة إلى أن الكتبة ومن منطلق تعظيم دور القادة اليهود لخلق الهالة (قوة مقدسة) حولهم وحياتهم، عمدوا إلى اختلاق واختلاس شخصيات

---

(١) المدراش: التعليم اليهودي الشفهي، مدراش حلقة ومدراشد حاجاواه.
(٢) مقر تابوت العهد في خربة سيلون، نوت ص ٩٢.
(٣) أولبرايت، ص٢٢٨.
(٤) نوت، القسم الأول من كتاب إسرائيل.

تاريخية أو مرّت عبر التاريخ من قبل وإلباس قادة اليهود صفاتهم وأعمالهم، ومن ذلك ما أورده العهد القديم عن رسالة موسى عليه السلام «لا يكن لك آلهة أمامي» فإنّ الكتبة لم يستطيعوا إيجاد الصورة التي لموسى بشخص سليمان، لأنّ المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي لعصر سليمان وحكمه أوجب مظاهر متسعة من الثراء والأبهة والجاه لإحداث الرفعة والسموّ المطلوبين لسليمان بين الحكام الآخرين، وعليه فإنّ الرب سمح له ببناء الأصنام ولو في بيت الرب «في تلك الليلة تراءى الله لسليمان»[1] فقرر سليمان بناء بيت للرب يكون «عظيماً لأنه إلهنا أعظم من جميع الآلهة»[2] فالمراد هنا إظهار عظمة الرب يهوه على الآلهة الأخرى وعظمة باني بيته سليمان، وكان بعد انتهاء البيت أن «نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والمذبح»[3] ولأنّ ما ذبحه سليمان أمام الرب يهوه بلغ «اثنين وعشرين ألفاً من البقر... ومائة وعشرين ألفاً من الغنم»[4] فإنّ ذلك يعدّ أعظم ما قدّم لرب من قرابين في ذاك العصر.

ويورد العهد القديم وصف بيت الرب فيقول: «باب يحف به من الجانبين عمودان من النحاس، وقاعة أمامية... تشتمل على مذبح البخور والمائدة التي عليها خبز الوجه المخصص لأكل الإله» ولكن سليمان لم يتوقف عند ذلك الحدّ بل انه «أقام لزوجاته مذابح لإلَهة أخرى كانت تعبدها تلك الزوجات»[5].

«إنّ تصرّف سليمان وشعب إسرائيل نحو الرب يهوه وحبّهم لنبيّه كان مثال حبّ عمال مصر للأهرامات»[6]، فهم لم يكتفوا باستعارة هياكل طيبة

---

(١) سفر اخبار الأيام الثاني: إصحاح ١.
(٢) سفر اخبار الأيام الثاني: إصحاح ١.
(٣) سفر اخبار الأيام الثاني: إصحاح ٧.
(٤) سفر اخبار الأيام الثاني: إصحاح ٧.
(٥) قصة الحضارة، ديورانت.
(٦) المصدر السابق.

ونينوى الوثنية وبابل لإقامة بيت الرب على نمطها وإنما استعاروا أيضاً المهندسين والصنّاع (الوثنيين) من صيدا مع المواد اللازمة للبناء»[1] ولقد أظهرت الحفريات اللاحقة قرب حائط المبكى وجود صناعة فنية إضافة إلى صور النخيل والكروبيم كانت في بيت الرب يهوه، نقلت بصورتها الكاملة عن تصاوير بابل كما أوردها نص سفر حزقيال[2].

وتبين أن الكروبين المنحوتين من خشب الزيتون في هيكل سليمان قام بإعدادهما فنانون أجانب[3]، وحلّل العهد القديم المسألة بأن قفز عن تعاليم الرب في رسالة موسى وضرورة أن لا يمس الوثني مقدس الرب، حلل العهد القديم ذلك كله لأنّ سليمان احتاج إلى مظهرية الفعل ببناء بيت الرب للتأثير على الشعوب الأخرى ذات المستوى الفكري المحدود التي تبهرها الظواهر وخوارق الطبيعة وكان الهدف اجتذاب تلك الشعوب نحو السيطرة اليهودية عليها وتسييرها في فلك سليمان.

وتقول رسالة موسى «مذبح من تراب تصنع لي»[4] غير أن سليمان جعل مذبح الرب من الذهب والفضة، فهما أشدّ وقعاً وأثراً تفخيمياً على مشاهديه.

وتتابع تعاليم موسى عليه السلام «من ضرب إنسان فمات يقتل مثلاً»[5] ومطّ الكتبة الآية وأوجدو مبررات «إذا أخطأت نفس في شيء من جميع مناهي الرب... يقرب عن خطيته ثوراً ابن بقر»[6] ولو قام بذلك جميع إسرائيل[7]

---

(١) المصدر السابق.
(٢) سفر حزقيال: إصحاح ٩.
(٣) برنولت، ص ٢١١.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ٢٠.
(٥) سفر الخروج: إصحاح ٢٠.
(٦) سفر لاوين: إصحاح ٤.
(٧) سفر لاوين: إصحاح ٤.

وأكملت مبرراتها لبقية التعاليم والسماح بفعلها[1] على لسان الرب يهوه، وبذلك أمكن للفرد اليهودي فعل الخطيء من قتل وسرقة ثم التوبة بذبح تيس، وبمعنى أدقّ تحوّل عملية القتل والسرقة لديه إلى عادية الفعل لسهولة التخلص من الإثم والعقاب، مما سهّل له لاحقاً قتل الآخرين دون ندم أو عذاب ضمير إن وجد.

فقد قال موسى: «لا تقتل البريء ولا البارّ»[2]، وذلك لم يكن يتناسب مع تطلع الروح اليهودية نحو السيطرة وامتلاك أراضي الآخرين واستعبادهم ولم تتكلف لنقض هذه الآية إلاّ أن تنسب للرب يهوه آية أخرى تفقد الأولى مبدأ وجودها كله «وكلّم الرب موسى قائلاً. . . انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين. . . فقال موسى للشعب جردوا منكم رجالاً للجند ليجعلوا نقمة الرب على المديانيين. . . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم. . . فخرج موسى لاستقبالهم وسخط على وكلاء الجيش وقال لهم هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة اقتلوها»[3] فأين هي التعاليم بعدم قتل البريء إذاً، ثم إنّ موسى نفسه عند قتله للمصري هرب إلى مدين والتجأ إليها خائفاً فأمّنوه، وكان ذلك ردّ الجميل!

ويتابع موسى تعاليمه «وكلّم الرب موسى وهرون في أرض مصر قائلاً. . . هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور (أبيب= شهر الخروج من مصر) في العاشر من هذا الشهر تأخذون حملاً بحسب بيوت الآباء. . . وفي اليوم الرابع عشر تذبحونه بين العشائين وتأخذون من الدم وتجعلونه على القائمتين والقبة العليا. . . ويأكلون اللحم مشوياً بالنار مع فطير. . . فهو فصح

(١) سفر لاوين: إصحاح ٦.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٢٣.
(٣) سفر العدد: إصحاح ٣١.

للرب»[1] ويضيف «ويكون الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. . .الخ» . . .فقال موسى لجميع شيوخ إسرائيل. . . خذوا غنماً بحسب أسركم واذبحوا للفصح وخذوا حزمة زوفا(!!) واغمسوها في الدم ومسوا القبة العليا والقائمتين بالدم[2].

يقول درايفر[3]: «إنّ الآيات التي تتناول الفصح في العهد القديم ترجع إلى حوالي ٦٥٠ق.م أي من المصدر الألوهيمي ولا علاقة لموسى بها.

وأمّا إيسفلت فيعتبر أن مسألة الفصح تعود إلى المصدر الغير كهنوتي فيما يعود عيد الفطر إلى زمن عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد.

وإن عدنا إلى أصل النص نجد جملة من الشوائب وهي معظمها زيادات وتزوير، فاليهود كانوا في مصر عبيداً فإن حسبنا أن كل بيت منهم ذبح خروفاً واحداً لوصل عدد الخراف المذبوحة إلى رقم كبير جداً فمن أين للعبيد اليهود مثل ذلك، وإن اعتبرنا أن اليهود كانوا في مصر أغنياء بعكس ما أورد التاريخ والعهد القديم أيضاً فما حاجتهم للهرب من مصر.

ثم لقد ورد سابقاً ان اليهود طلبوا من فرعون أن يسمح لهم بالخروج من مصر لثلاثة أيام كي يذبحوا لربهم، فكيف يمكن جمع ذلك كله؟ وكيف أغفلت بقية الإصحاحات «طلب موسى أن تأخذ حزمة زوفا وتغمس في الدم»، فلم تتحدث الإصحاحات الأخرى لا عن الزوفا ولا عن غيرها ونعود إلى سفر التثنية[4] ونتابع «إحفظ شهر أبيب[5] واعمل فصحاً للرب إلهك. . . تذبح بقراً وغنماً (في الإصحاحات السابقة حدّد الأضحية بجمل سليم). . في

(١) فروغ ٢١.
(٢) فروغ ٢١.
(٣) س. درايفر.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ١٦.
(٥) سمي في أصله البابلي شهر نيسان.

المكان الذي يختاره الرب (في الإصحاحات السابقة حدد عتبة البيت)... وتطبخ وتأكل...» وفي الإصحاحات السابقة حدد الشواء دون الطبخ.

لقد اتفقت الإصحاحات على تسمية الفصح واختلفت مع التثنية على المدة (في الإصحاح الأول ثمانية وفي الإصحاح الثاني سبعة) كذلك الخلاف على مكان الذبح ونوعه وكيفية إعداده وأكله: جاء في الإصحاح الأول «لا تأكلوا منه نيئاً أو مطبوخاً بالماء بل مشوياً بالنار أو على النار» وفي الثاني «وتطبخ وتأكل» وكما يبدو فإنّ الرب يهوه أبلغ كل طرفٍ بما يشتهيه للأكل!

لقد أحدث الملك يوشياهو[1] حدثاً جديداً وذلك عندما أمر «جميع الشعب قائلاً اعملوا فصحاً للرب إلهكم كما هو مكتوب في سفر العهد هذا (أي سفر التثنية)، وتمّ ذلك في السنة الثامنة عشرة لحكمة أي عام ٦٢٣ق.م (فأين كان موسى عليه السلام؟) في معبد أورشليم ولم يكن ملوك يهوذا أو إسرائيل قد عملوه قبله» فكيف ذلك؟

يقول العهد القديم إنّ الرب أمر موسى بعمل الفصح في مصر ثم يقول في مكان آخر بأنّ ملوك يهوذا أو إسرائيل لم يعملوه من قبل فأين الحقيقة إذاً؟

وأين موسى وتعاليمه من كل ذلك؟

لقد كانت عملية سلق الأضحية تتطلب كسر عظامها لوضعها في القدور وهي تمت أي عملية السلق كتطور حضاري في عهدي القضاة وصموئيل أي بعد انتقال العبريين إلى كنعان، والسلق وكسر العظام لا تتفق بحال مع ما أورده الإصحاح الأول بعدم كسر العظام وشي اللحم دون قطع رأسه أو أكارعه[2].

وأمّا الفصح فهو احتفال ليلي يقع بين الغروب والشروق في ليلة هي

---

(١) سفر ملوك الثاني: إصحاح ٢٣.

(٢) سفر الخروج: إصحاح ١٢.

الأقرب للاعتدال الربيعي عندما يتساوى الليل بالنهار وله علاقة بالقمر وعبادته لأنه يكون فيه بدراً[(١)]، وقد كان سائداً وقبل اليهود أن يعمد رعاة ومالكو الماشية إلى ذبح باكورة إنتاجهم من الماشية وكان يتم اختيار الذبيحة ذكراً لأنّ الأنثى مورد التولّد للقطيع ونمائه، وكانت الأضحية تقدم إلى إله القمر حين يكون البدر في أوج مجده[(٢)]، ثم تقام وليمة قربان، واقتبس اليهود ذلك كلّه وسرقوه وجعلوه أمراً من الرب يهوه وجزءاً من ديانتهم حتى اليوم.

وأمّا القرابين فهي طعام الله (لحم الوهيم)[(٣)] يشاركه بها شعبه كطعام عهد وميثاق بينه وبينهم وهي فكرة أدخلها اليهود لاستكمال القصد والغاية من مسألة علاقتهم بالرب، غير أنّ ما كان يحدث فعلاً هو أنّ المضحّين يستعجلون الأكل قبل أفول القمر[(٤)] ثم يحرقون ما بقي منه لأنه طعام مقدس[(٥)]، ثم كان يؤكل معه فطير لأن الاختمار ضرب من الفساد يصيب الفطير إن ترك أو عادة إن خبز الرعاة كان دون خمير بسبب الترحال[(٦)] وكان يؤكل مع ذلك كلّه أعشاب مرة لطرد الأرواح مع الإشارة إلى أن العشب المرّ هو نبات صحراوي ولذا لقّب جدّ امرء القيس بآكل المرار وكذلك تلطيخ البيت بدم الذبيحة كعادة وثنية انتشرت قبل اليهود لدى الشعوب القديمة[(٧)].

يتضح إذاً أنّ ما أورده العهد القديم حول هذه المسائل ليست إلاّ سرقة عن الشعوب الأخرى، حفظت في العهد القديم كأثر يهودي وزالت لدى الباقين لعدم وجود كتب ورسائل لديهم في تلك الأثناء، غير أن الاكتشافات

---

(١) مولتون، ص ٦٨٩.
(٢) روبنسون، ص ١٣٠.
(٣) سفر لاوين: إصحاح ٢١.
(٤) أوسترلي روبنسون، ص ١٣١.
(٥) بتتسنجر ٣٥٩٩.
(٦) موسكاني.
(٧) لودز.

والأبحاث الحديثة أعادت الأمور إلى أصلها، فالعبريون كانوا قبل موسى وأثناء البداوة يعبدون كما غيرهم من الشعوب المعاصرة لهم، القمر ويستنزلون بركته على قطعانهم عبر الأضحية له[١]، وحملوا ذلك حتى ما بعد عهد موسى إلى مرحلة تدوين الكتاب المقدس (التوراة) فجعلوه من صلب عبادة الرب ورسالة موسى وهو منها براء.

ولقد اعتبروا أنه إن جاز تقديم الأضاحي وإقامة العيد للقمر فإنه يجوز ذلك للرب يهوه[٢] وأقاموا فصحهم بنفس التاريخ الذي كانوا يقيمونه قبل موسى[٣]. ثم إنهم ولدى وصولهم إلى كنعان وجدوا هناك عيداً يحتفل به الكنعانيون أول الحصاد فجعلوه أساس عيد الفطير لديهم[٤] (اليهود) ثم عظموه بربطه بقصة الخروج من مصر، مع أنه أقدم من تاريخ الخروج اليهودي من مصر، يقول جاستر: «إنّ الإسرائيليين أخذوا هذا التقليد البدائي وربطوه بديانتهم وخروجهم من مصر فكان عيد الفصح لديهم ويستمر تزوير العهد القديم وتعاليم موسى «وتعمل عيد الأسابيع للرب إلهك حسب ما تستطيع يدك... سبعة أسابيع... من ابتداء المنجل في العيدان تبدأ الحساب... وتفرح أمام الرب إلهك»[٥].

وعيد الأسابيع المدرج في النظام السبتي للأعياد العبرية[٦] يدعى شابوعوت[٧] أو عيد الحصاد (قاصير)[٨] أو يوم البواكير

---

(١) برتولت، ص ١٣٧.
(٢) لودز، ص ٢٩١.
(٣) سميث، ص ٤٦٥.
(٤) نبتسنجر ٣٥٨٩.
(٥) سفر التثنية: إصحاح ١٦.
(٦) بيرفز، ص ٤١٨.
(٧) سفر الخروج: إصحاح ٣٤ وسفر التثنية: إصحاح ١٦.
(٨) سفر الخروج: إصحاح ٢٣.

(بكوريم)[١] أي نهاية حصاد الغلال وعيد الفطير هو بداية حصاد الغلال وكان يفصل بين العيدين سبعة أسابيع أي فترة الحصاد وفيها حصاد الشعير أولاً بسبب نضجه وحصاد الحنطة بعده بأسبوعين ولأن الاحتفال بهما يتم في مكان الحصاد أي الحقول، غير أنّ السوفير (الكتبة) جعلوا موعد العيد وصول بني إسرائيل إلى جبل سيناء في الشهر الثالث لخروجهم من مصر[٢] في وقت لم يكن اليهود فيه يقومون بأي زرع وبأي حصاد بسبب ترحالهم الدائم، وعليه فلم يكن هناك أساس لإقامة مثل هذين العيدين في زمن موسى عليه السلام، وأدخلا لاحقاً وعلى لسانه عليه السلام.

ونتابع «وكلّم الرب موسى قائلاً. . . في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب. . . تأخذون لأنفسكم في اليوم الأول ثمر أشجار بديعة وسعف نخل(!!) وأغصاناً كثيفة(!!)»[٣]، ومن خلال النص نجد أن موسى تلقى هذه الآية في برية سيناء ولم يخبرنا العهد القديم كيف أمكن لليهود وسط الصحراء إحضار ثمار أشجار بديعة وسعف نخل؟ غير أنه من الثابت تاريخياً أن المظال كناية عن خيمة من أوراق الشجر يقيم فيها جامعو المحاصيل من الشعوب، وبالأخص جامعو محصول العنب في البساتين وتصنع من سعف النخيل[٤] وأغصان الأشجار الكثيفة كما اعتاد أهل مصر، وكان من مظاهر هذا الاحتفال رقص النساء بين الكروم[٥]، ثم يأوي المحتفلون بالعيد إلى المظال لتقيهم حرارة الشمس أو برودة الليل، فمن أين تأتي ذلك لليهود في الصحراء كي يأمرهم الرب بإقامة عيد المظال؟!

---

(١) سفر العدد: إصحاح ٢٨.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ١٩.
(٣) سفر لاوين: إصحاح ٢٣.
(٤) سفر نحميا: إصحاح ٨.
(٥) سفر قضاة: إصحاح ٢١.

ويتابع العهد القديم «ويكون لكم فريضة أبدية أنكم في الشهر السابع في اليوم العاشر من الشهر تذللون أنفسكم (أي الصوم)[١]، لأنه في هذا اليوم يكفّر عنكم لتطهركم... مرة في السنة»[٢] ويضيف «ويأخذ هرون تيسين... واحد للرب... وواحد لعزازيل... عندما يفرغ من التكفير يقرب التيس الحي (تيس عزازيل) ويُعترَف عليه بكل ذنوب إسرائيل فيحملها إلى عزازيل» وقد أشرنا إلى أن رموز هذه العبادة بابلية الأصل[٣] ولا علاقة لموسى بها من قريب أو بعيد وإنما نسبت إليه لإظهار مصداقيتها.

ويقول العهد القديم: «كتب موسى هذه التوراة(؟!) وسلّمها للكهنة... وعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة إلى تمامها في كتاب(؟!) أمر موسى اللاويين بوضعها في تابوت عهد الرب»[٤] وإن عدنا (ورغم السرد لإظهار الأصل من الزيف) إلى النص السابق لرأينا أن موسى تلقى أمر الرب بنحت لوحين من حجر كتب الرب بإصبعه عليهما الكلمات»[٥] ثم «كتب الرب كلمات العهد الكلمات العشر»[٦]. فأين الحقيقة إذاً، وكيف أمكن لموسى في زمنه وفي تيهه مع بني إسرائيل في صحراء سيناء وعبر الأردن أن يستنبط وسائل تساعده على كتابة ألف ومائتي صفحة هي عداد العهد القديم؟ وأخيراً يناقض العهد القديم نفسه عندما يصل إلى عهد سليمان (أي بعد موسى بقرون) فيقول «وكمل جميع العمل الذي عمله سليمان لبيت الرب... وأدخل أقداد داوود أبيه وجعلها في خزائنه بيت الله... وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب... ولم يكن في التابوت إلاّ

---

(١) سفر أعمال الرسل: إصحاح ٢٧.
(٢) سفر لاوين: إصحاح ١٦.
(٣) جاستر، ص ١٤٠.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ٣١.
(٥) سفر الخروج: إصحاح ٣٤.
(٦) سفر الخروج: إصحاح ٣٤.

اللوحان(!!) اللذان وضعهما موسى في حوريب عند خروجهم من مصر»[١] وعليه فإنّ العهد القديم يحكم على نفسه بنفسه بالكذب والتزوير فموسى لم يقم بكتابة التوراة بحسب ما شهد العهد القديم على ذلك من خلال حديثه عن وجود لوحتي كتابة في تابوت الرب في عهد سليمان عليه السلام!

لم يقف التزوير عند حدود التعاليم الدينية فقط، بل تعدّاها إلى تعاليم أخرى مرتبطة أو تكمل المعنى المراد، وعلى لسان الرب أيضاً، يقول العهد القديم: «إن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسنّاً بسن ويداً بيد...»[٢] و«إذا أراد رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفسه زوجة وإن أبى أبوها يزن له فضة كمهر العذارى[٣]... إذا رأيت ثور عدوّك أو حماره شارداً تردّه إليه[٤]... إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام وإن أنثى فأسبوعين[٥]... لا ترتكب جوراً في القضاء[٦] وإذا زنى رجل مع امرأة قريبة يقتل الزاني والزانية[٧]... وكلّم الرب موسى قائلاً[٨] إذا افتقر أخوك وبيع لك فلا تستعبده وأما عبيدك وإماؤك الذين لك فمن الشعوب الذين حولكم(!!) تستعبدونهم إلى الدهر[٩] (وضح القصد) وتابع «إذا زاغت امرأة رجل واضطجع معها رجل اضطجاع زرع... يقدمها الكاهن أمام الرب وفي يده ماء اللعنة المر... ثم يكتب هذه اللعنات (زنى) في الماء المر

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٥.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٢١.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٢٢.
(٤) سفر الخروج: إصحاح ٢٣.
(٥) سفر لاوين: إصحاح ١٢.
(٦) سفر لاوين: إصحاح ١٩.
(٧) سفر لاوين: إصحاح ٢٠.
(٨) سفر لاوين: إصحاح ٢١.
(٩) سفر لاوين: إصحاح ٢٥.

ويسقي المرأة فإن ورم بطنها تكون زانية، وإن لم يورم تبرأ[1] هكذا تباركون بني إسرائيل.

إنّ ضخامة التزوير الرسالي في العهد القديم تلزمنا العودة إلى المصادر الأصلية التي اعتمد عليها اليهود لصياغة التعاليم المزوّرة ونسب ذلك إلى الرب وموسى، وبين هذه المصادر وكما أشرنا بشكل عابر في البحث الأول نجد أنّ أكثرها نقلاً وعرضة للسرقة هي شرائع حمورابي والتي تمّ إدخالها وبالكامل كشرائع للرب يهوه على لسان موسى وليس لصاحبها الأصلي حمورابي وتقول مواد حمورابي المكتشفة على مسلته ما يلي:

المادة ١ : إذا اتهم رجل رجلاً وأقام دعوى ضده ولم يستطع تقديم البرهان فإنّ عقوبة الرجل المتهم الإعدام.

المادة ٦ : إذا سرق رجل أملاك الإله يعدم.

المادة ٧ : إذا اشترى رجل أو تسلّم أمانة فضة أو ذهب عبداً أو أمة ثوراً أو شاة أو حماراً بدون شهود يكون الرجل لصاً ويعدم.

المادة ٨ : إذا سرق رجل ثوراً أو حماراً أو خنزيراً، فإذا كان يتبع (يعبد) إله يدفع ثلاثين ضعفاً وإن لم يكن لديه ما يسدد به يعدم.

(في العهد القديم: إذا سرق إنسان ثوراً أو حماراً أو شاة يعوّض خمسة أضعافها).

المادة ٢١ : إذا حدث ثقباً (للسرقة) فعقوبة الرجل الإعدام.

المادة ٤٥ : إذا أجر رجل حقلاً لفلّاح وحصل على إيجار حقله ولكن ادد (الإله) أغرق الحقل فيتحمل الفلاح الخسارة.

المادة ٨٨ : إذا دين تاجر ما رجلاً... بفائدة هكذا يحصل التاجر على

---

(١) سفر العدد: إصحاح ٥.

فائدة قدرها ٦٠ كا من الحبوب لكل «كور» واحد أما إذا كان الدين فضة بفائدة فيحصل مقابل كل شاقل فضة ٦/١ شاقل (شاكل؟!).

المادة ١١٧ : إذا كان الرجل مديناً وسلّم جاريته أو عبده مقابل الدين من الفضة فعليها الخدمة طوال ثلاث سنوات في بيت الشاري.

المادة ١٢٧ : إذا أشار رجل بإصبعه إلى انتوم (زوجة إله) أو امرأة رجل دون أن يثبت شيئاً (من خيانتها) فعلى هذا الرجل أن يمثل أمام القضاء.

المادة ١٢٩ : إذا ضبطت امرأة رجل مضطجعة مع رجل آخر يكبل الاثنان ويقذف بهما في النهر.

المادة ١٣١ : إذا اتهمت امرأة من قبل زوجها ولكنها لم تضبط مع رجل آخر فعليها أن تؤدي اليمين أمام الإله وعندها تعود إلى بيتها.

المادة ١٣٧ : إذا صمم رجل أن يهجر شوجيتوم (من العامة)أو ناديتوم (من العبيد) (أو خدمة الكهنة) أنجبت منه أطفالاً فعليه أن يعطي هذه المرأة بائنتها.

المادة ١٧٨ : إذا أراد رجل أن يطلّق امرأته الأولى التي لم تنجب أطفالاً فعليه أن يعطيها فضة تعادل مهرها وأن يسمح لها أيضاً بالحصول على كل ما أتت به من بيت والدها.

المادة ١٥٧ : إذا رجل رقد على صدر أمه يحرق كلاهما.

المادة ١٤٦ : إذا أخذ رجل ناديتوم وأعطت رجلها جارية وولدت هذه الجارية منه طفلاً ولكنها وضعت نفسها في منزلة سيدتها فلا تستطيع سيدتها أن تبيعها ولكن تعرضها بميسم وتصنفها بين العبيد.

المادة ١٦٥ : إذا أهدى رجل ابنه الوريث الذي أحبه حقلاً وحديقة وبيتاً

وكتب له وثيقة بذلك، وإذا مات الوالد واقتسم الأبناء فيما بينهم أملاك البيت الباقية فعليه أن يأخذ ما أعطاه له والده بالإضافة إلى حصة في الأملاك المتبقية.

المادة ١٩٥ : إذا صفع ولد أباه تبتر يده.

المادة ١٩٦ : إذا فقأ عين ابن رجل آخر تفقأ عينه(!!).

المادة ١٩٧ : إذا كسر عظم رجل آخر يكسر عظمه(!!).

المادة ٢٠٠ : إذا أسقط رجل سنّ رجل آخر فعقوبته إسقاط سنّه.

المادة ٢١١ : إذا فقدت ابنة موشكينوم بكارتها بسبب الضرب فعليه أن يزن ٥ شقل من الفضة.

المادة ٢٤٢ : إذا استأجر رجل ماشية لمدة سنة يدفع ٤ كور حبوب أجرة الحيوان.

المادة ٢٤٤ : إذا استأجر رجل ثوراً أو حماراً وافترسه أسد في العراء فعلى صاحبه أن يتحمل الخسارة وحده.

المادة ٢٤٥ : إذا استأجر رجل ثوراً ومات الثور بسبب إهماله أو جلده له فعليه أن يعوّض لصاحبه ثوراً بديلاً.

المادة ٢٤٦ : إذا استأجر رجل ثوراً وكسر حافره أو جرحه عليه أن يعوّض ثوراً بديلاً.

المادة ٢٤٩ : إذا استأجر رجل ثوراً ولكن الإله ضرب وسبب موته فعلى الرجل الذي استأجره أن يقسم بالإله ويترك حرّاً.

المادة ٢٥٠ : إذا نطح ثور بقرينه عند اقتياده في الشارع رجلاً وسبب موته لا يجوز المطالبة بالتعويض قضائياً.

المادة ٢٥١ : إذا عرف ثور بعادة النطح ونطح ابن رجل وسبب موته يدفع ١/ ٢ فيه.

المادة ٢٥٢ : إذا كان هذا (الرجل المنطوح) عبد رجل فعليه أن يدفع ١/٣ فيه.

المادة ٢٥٧ : إذا استأجر رجل حارثاً فعليه أن يعطيه ٨ كور من الحبوب في السنة.

المادة ٢٦٣ : إذا فقد الراعي ثوراً أو نعجة سلّم إليه فعليه أن يعوّض صاحبها ثوراً بثور ونعجة بنعجة.

المادة ٢٦٦ : إذا حلّ بالقطيع غضب الإله أو افترسها أحد فعلى الراعي أن يطهّر نفسه أمام الإله ويتسلّم صاحب القطيع ما هلك منها.

المادة ٢٦٨ : إذا استأجر رجل ثوراً للدراسة فتكون أجرته ٢٠ كا.

المادة ٢٦٩ : إذا استأجر رجل حماراً للدراسة فتكون أجرته ١٠كا من الحبوب.

المادة ٢٧٠ : إذا استأجر عنزة فتكون أجرتها ١ كا من الحبوب[1]!

لقد دخلت شرائع حمورابي صيغ الحياة التعاملية وأضفت عليها صفة القانون الموضوع والمكتوب للتعامل البشري، وكما يبدو ومن خلال نقشها على الحجر فإنّ هذه الشرائع لقيت رواجاً وانتشاراً بعيدين سمح بالتعامل بها.

ولننظر الآن في العهد القديم وما ورد فيه مع مراعاة التطور اللغوي الذي أشرنا إليه:

وقال الرب : «كل إنسان سبَّ أباه أو أمه يقتل، وإذا زنى مع امرأة قريبه فإنه يقتل الزاني والزانية»[2].

(حمورابي المادة ١٢٩).

---

(١) كتاب التشريعات البابلية، تأليف: عبد الحكيم النون.

(٢) سفر لاوين: إصحاح ٢٠.

وقال الرب : «إذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فإنهما يقتلان».

(حمورابي المادتان ١٥٧/١٥٨) ـ لم يطبق ذلك على رأوبين ـ.

وقال الرب : «إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل، ترجمونه ودمه»[١].

والصيغة عليه مأخوذة عن حمورابي المادة ٢ والتي جاء فيها «إذا اتهم رجل بمزاولة السحر عليه أن يذهب إلى النهر ويرمي نفسه فيه (يقتل).

وقال الرب : «من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً لكن الذي لم يتعمّد بل أوقع الله في يده فأنا (الرب) أجعل له مكاناً يهرب إليه»[٢].

وورد في شرائع حمورابي المادة ٢٠٦ أنه «إذا ضرب رجل رجلاً أثناء شجار وجرحه فعلى الرجل أن يقسم أمام الإله أنه لم يضربه عمداً.

وقال الرب : «إذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة وسقط في الفراش فإنه يعوّض عطلته وينفق عليه. . . وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم، وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن»[٣].

(وردت في شرائع حمورابي ضمن المواد ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١).

---

(١) سفر لاوين: إصحاح ٢٠.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ٢١.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٢١.

وقال الرب : «إن أسقط سنّ عبده أو أمته يطلقه حرّاً».

(ومثلها لدى حمورابي في المادة ١٩٨).

وقال الرب : «إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات، يرجم الثور وأما صاحب الثور فيكون بريئاً وإن نطح الثور عبداً يعطى سيده ثلاثون شاقل (شاقل أوردها حمورابي في الأصل اسم عملة أو دراهم في زمنه).

وفي شرائع حمورابي المادة ٢٥٢ ما يلي: «إذا كان هذا (المنطوح) عبداً لرجل فعليه أن يدفع ثلث مينه فضة.

وقال الرب : «إن وجد سارق وهو ينقب فضرب فمات فليس له دم».

وفي حمورابي المادة ٢١ : «إذا أحدث السارق ثقباً فعقوبته الإعدام».

وقال الرب : «إذا رعى إنسان حقلاً أو كرماً وسرّح مواشيه فرعت في حقل غيره فمن أجود حقله يعوّض».

وأورد حمورابي في المادة ٥٧ أنه: «إذا لم يتفق الراعي مع صاحب حقل ورعت أغنامه بدون علم صاحب الحقل فعليه أن يعطي صاحب الحقل زيادة ٢٠ كورا من الحبوب».

وقال الرب : «إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ فسرقت يقوم صاحب البيت (المؤتمن) إلى الله».

وأورد حمورابي في الشرائع المادة ٢٣ : «إذا لم يلق القبض على السارق فعلى صاحب المتاع المسروق أن يسمي حاجياته أمام الإله».

وقال الرب : «إذا أعطى إنسان صاحبه حماراً أو ثوراً أو شاة للحفظ فمات

أو انكسر أو نهب وليس ناظر فيمين الرب عليهما»[١].

وفي شرائع حمورابي المادة ٢٦٦: «إذا حلّ بالقطيع هجوم الإله أو افترسها أسد فعلى الراعي أن يطهّر نفسه (أمام الإله) وعلى صاحب القطيع أن يتسلّم الهالك منها» وردت أيضاً في (لمادة ٢٤٩).

وقال الرب : «إذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفسه زوجة وإن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزن له فضة كمهر العذارى» «وإذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين فيوم يقسم لبنيه يعطي ابنه البكر (أوردها حمورابي ابنه الأحب إليه) نصيب اثنين لأنه له حق البكورية»[٢].

وتابع: «وإذا كان لرجل ابن معاند لا يسمع لقول أبيه يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته»[٣].

وأما حمورابي فقد أورد في المادتين ١٦٨ ـ ١٦٩ أنه «إذا صمم رجل أن يطرد ابنه لسوء مسلكه) فعلى القضاة أن يدرسوا مشكلته!».

وقال الرب : «لا تنظر نور أخيك شارداً أو تتغاضى عنه» أوردها حمورابي ضمن المادة ٢٦١ و٢٦٤.

وقال الرب : «إذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها... ونسب إليها كلاماً وأشاع عنها ردياً.. يأخذ الفتاة أبوها وأمها

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٢٢.
(٢) سفر التثنية: إصحاح ٢١.
(٣) سفر التثنية: إصحاح ٢١.

ويخرجان علامة عذريتها، فيأخذ شيوخ المدينة الرجل ويؤدبونه»[1]. و«إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما إلى باب المدينة وارجموهما حتى يموتا».

وأوردها حمورابي في المادة ١٢٩ و١٣٠ قائلاً: «إذا اغتصب رجل امرأة رجل تسكن في بيت والدها قبل أن تكون ضاجعت رجلاً ورقد على صدرها فتكون عقوبتهما الإعدام».

وقال الرب : إذا وجد رجل قد سرق نفساً من أخوته بني إسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق»[2].

وأوردها حمورابي في المادة ٦و٨ مع تعديل الأخوة الإسرائيلية المضافة يهودياً.

وقال العهد القديم: «إن ساراي امرأة أبرام (إبراهيم) لم تلد وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر... فأخذت ساراي هاجر وأعطتها لإبرام زوجة... فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها... فقالت ساراي ظلمي عليك يقضي الرب بيني وبينك. فقال أبرام هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك... فأذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية وقال لها ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها[3] (أي كوني لها عبدة).

وفي عودة لشرائع حمورابي المادتين ١٤٥ ـ ١٤٦ ورد ما نصّه: «إذا أخذ رجل ناديتوم (امرأة من الطبقة العليا) ولم تنجب له أطفالاً، فأخذ

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ٢٢.
(٢) سفر التثنية: إصحاح ٢٤.
(٣) سفر التكوين: إصحاح ١٦.

شـوجيتـوم (عبـدة) إلـى بيتـه (أي زوجـة) هـذه الشـوجيتـوم لا تتسـاوى مـع الناديتوم[١].

حكم حمورابي بابل عام ١٧٩٢ق.م وحتى عام ١٧٥٠ق.م ونجد أن القوانين التي سنّها مدنية ودينية التعامل تستمد تعاليمها من الإله ادد والذي وبحسب حمورابي «كلّفه وهو الأمير الورع خادم الآلهة ليظهر الحق في البلاد، ويقضي على السوء والشر»[٢].

كما وأن نظم الحياة في التعاليم استمدّت قوتها من الآلهة لوضع أسس لعلاقات اجتماعية وبيئية مع قانون مدني مكتوب هو الأرقى في عصره ان وضعنا وجود ومستوى اجتماعيات الأمة البابلية في حينه.

وعليه فإنّ القانون العبري وبعد حمورابي بألف سنة أخذ تلك التعاليم المتداولة بين الشعوب، فهذب بعضاً منها تبعاً للتقدّم الاجتماعي وأساء للبعض الآخر بتحريفه ليخدم مصالحه، ثم ومن منطلق أنه لم يكن لشرائع حمورابي وجود مكتوب، فإنّ الروح اليهودية روّجت أنها تعاليم الرب يهوه ثم دوّنتها عن لسانه في العهد القديم!

ومن خلال مراجعة منهجية تسلسل الموضوعات في إصحاحات العهد القديم نلحظ تناثراً وتضاداً بين إصحاح وآخر حول نفس الفكرة أو الموضوع وفي الآية الواحدة أحياناً مما يؤكّد أن مسألة وجود الكتاب المقدس (العهد القديم) في بنيته الحالية التي هو عليها أمر مرفوض.

فالنظام الأسري مثلاً وحقوق الميراث والقروض والقوانين الجزائية ان هي إلاّ امتداد لما علق في الذهنية اليهودية مارسته عبر أجيالها[٣] نقلاً عن

(١) ناديتوم سيدة وشوجيتوم عبدة.
(٢) مقدمة قانون حمورابي، عبد الحكيم النون.
(٣) جاستر.

الآخرين، ثم راح واضع كل إصحاحٍ يسهم بمفهومه المعين ولو كان متنافراً مع غيره من الكتبة.

وها هو السيد المسيح يلعنهم قائلاً: «يا أولاد الأفاعي، لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم إنّ الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم»[1].

فالسيد المسيح وقد عايش ادعاءاتهم يرفع عنهم صفة الاختيار الإلهي ويتهمهم بتزوير التاريخ، ويضيف «يا مراؤون، حسناً تنبأ عنكم اشعيا قائلاً يقترب إليّ هذا الشعب (اليهودي) بفمه ويكرمني بشفتيه أما قلبه فمبتعد عني وباطلاً يعبدونني»[2]، وأضاف «كل غرس لم يغرسه أبي يقلع»[3] ثم هتف: «عميان قادة عميان، جيل شرير فاسق»[4].

لقد روجت الروح اليهودية الكثير الكثير حول الاختيار الإلهي، واستعانت لإثبات ذلك وإعطائه صفة الديمومة بالكذب والرياء والتزوير وخلط الحقائق وسرقة حضارات الشعوب الأخرى لتصبح ومع الوقت مثال الرحى الذي تدور حوله الشعوب المسحوقة، بوهم الرفعة اليهودية والاختيار الإلهي واللذين رغم كذبهما استعملا الوقت لخلق المصداقية المطلوبة لهما.

قال لهم المسيح عليه السلام يوماً: ماذا تظنون في المسيح ابن من هو؟ قالوا له: ابن داوود (كما ورد في العهد القديم) فقال لهم: فكيف يدعوه داوود بالروح قائلاً أنت ربي ويقول ربي لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داوود يدعوه ربّاً فكيف يكون الرب ابنه؟ فلم يستطع أحد (من اليهود) أن يجيبه»[5].

---

(١) إنجيل متى: إصحاح ٣.
(٢) إنجيل متى: إصحاح ١٥.
(٣) إنجيل متى: إصحاح ١٥.
(٤) إنجيل متى: إصحاح ١٦.
(٥) إنجيل متى: إصحاح ٢٢.

إنّ خلط الحقائق مهنة اتقنها اليهود ثم آمنوا بها قبل غيرهم على أنها أمر إلهي حصل فعلاً بنظرهم وبنظر الشعوب الدائرة في فلك الإيمان بمقولاتهم على أنها قول الرب، وذلك تماماً ما أرادته الروح من مسألة التزوير لأنه يساعدها في غاياتها وطموحاتها.

وإن عدنا إلى العهد الجديد (الإنجيل) نجد أن بولس الرسول والذي كان يهودياً متطرفاً ومتعمّقاً في الدين العبري قبل أن يؤمن بالمسيح، نراه يقول عن بني قومه: «الذي من جهته (موسى ورسالته) كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به، إذ قد صرتم متباطئي المسامع (اليهود) لأنكم إذا كان ينبغي أن تكونوا معلمين (للفريسيين) لسبب طول الزمان (البعد عن تعاليم موسى الحقيقية) تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله (الكلمات الحقيقية لرسالة موسى عليه السلام) وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي، لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يؤدي إلى طهارة الجسد (ويقصد وثنيتهم رغم ادعائهم أنها من الرب)»[١].

فالرسول بولس المطّلع على التعاليم اليهودية يؤكّد أنها ليست لموسى عليه السلام وأنها مدسوسة ويجزم «أن المعلمين الكذبة الذين يدّسون(!!) بدع هلاك»[٢]، ثم «هم في الطمع يتجرون بأقوال مصطنعة»[٣] وهم «أولاد اللعنة. . . ضلّوا الطريق»[٤].

يختصر بولس في كلماته كل تاريخ العهد القديم أنه «مدسوس وأقواله مصطنعة وليست تعاليم حقيقية. مما دفع يهوذا أخ يعقوب لإظهار «أنه قد دخل خلسة(!!) أُناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة فجّار»[٥] فالويل

---

(١) إنجيل رسالة بولس إلى العبرانيين: إصحاح ٩.

(٢) إنجيل رسالة بطرس الثانية: إصحاح ٢.

(٣) إنجيل رسالة بطرس الثانية: إصحاح ٢.

(٤) إنجيل رسالة بطرس الثانية: إصحاح ٢.

(٥) سفر يهوذا: إصحاح ١.

لهم[1] لأنهم مدمدمون سالكون بحسب شهواتهم يحابون من أجل المنفعة»، ومنفعة الروح اليهودية السيطرة وعليه ومنعاً للتقوّلات ارتأت أن تضيف في التوراة آية تقول: «إعلم أن كلاً من الوصايا والنواهي التي تلقاها موسى قد تلقى معها تفسيرها (من الرب) فكان عند تلقيه الأمر الإلهي يدخل إلى خيمة الميعاد فيتبعه هارون فيعلمه (موسى) الوصية الإلهية وتفسيرها ثم يدخل اليعازر وايتاما ولداه فيعلمهما ثم يدخل الشيوخ فيعلمهم ثم يدخل العامة ثم يرجع موسى فيراجع هارون نفس الدروس للجميع»[2].

بل إن الرابيين (رجال الدين اليهود) تابعوا حبك المسألة فقالوا: إنّ موسى مؤلّف العهد القديم لأنه «بالإضافة إلى القانون المكتوب على ألواح حجر الذي تسلّمه موسى من ربه (قانون توراة شيبكتاب) فإنّ موسى تسلّم القانون الشفوي (توراة شيبيل بيه) وذلك هو السبب في بقاء موسى أربعين يوماً لأنّ الرب كان بقدرته تسليم موسى القانون المكتوب خلال يوم واحد»[3]، فتأخّر موسى إذاً في الجبل لأن الرب كان يعلّمه كل يوم ويدرّسه ويستمع إلى حفظه»؟؟!

والمثير هو تناقض الآيتين، بين أن موسى كان يتلقى الوصية الإلهية في خيمة الاجتماع فيحفظها ثم يحفّظها البقية وبين أنه بقي أربعين يوماً يدرس في الجبل على يد الرب حتى حفظ العهد القديم كله.

مدارات الكذب بالكذب وتغليف التزوير بالتزوير حتى يضيع الفكر البشري في المتاهة والجدل.

وفي عودة إلى الحقيقة والتاريخ فإنّ النص الماصوري[4]، وهو النص

---

(١) سفر يهوذا: إصحاح ١.
(٢) التلمود الجزء الأول ص ٦.
(٣) التلمود، للأب برانايتس.
(٤) كتاب اللغة العربية ومشكلاتها، د. أنيس فريحة.

الرسمي المؤرّخ عام ٨٩٥ والمكتشف في كنيزة (مستودع) المعبد اليهودي في القاهرة فإنه يظهر أن علماء النص الماصوري هم الذين اخترعوا الحركات الصوتية بوضع رموز فوق أو تحت الحرف العبري كي لا يندثر وأسموه بالمسوّرة[١]، وهذا الحرف (الماصوري) دوّن به العهد القديم، وليس موسى عليه السلام، وقد جرى وضع أسفار الشريعة الخمسة المنسوبة إلى موسى في القرن الثامن قبل الميلاد[٢] واستمر فترة على شكليته حتى قام أوريجين عام ٢٣٠ ميلادية بوضع صيغته وشكله الحالي أي النهائية المسماة السبعينية وذلك في قيصرية فلسطين مطلقاً عليه اسم هيكزابيلا وتمّ وضعه بلغتين عبرية ويونانية[٣]. ثم جاء العالم اليهودي سعدية بن يوسف (٨٩٢ ميلادية) ويافث بن علي فترجماه إلى العربية، وعمد مسروب مشتوتس (٤٠٦ ميلادي) إلى ترجمته للغة الأرمنية[٤]، حيث حوفظ خلال الترجمة على محتوياته كما جاءت، وبالطبع فإنّ الترجمات هذه ساعدت على اتساع وانتشار ما فيه من كذب وتزوير لا بل تقبل ما جاء فيه بإيمان كلّي ولدى شعوب منتشرة تتكلّم العبرية واليونانية والسامرائية والسريانية والقبطية واللاتينية بحسب الترجمات[٥] بتراجم تعتبر حديثة خلال القرن الخامس عشر، لما أحدثوه فيه وفي ظلّ فوارق اللغة والمعاني مما خلق معطيات متضاربة كما سنرى مثلاً في الإصحاح الرابع من أخبار الأيام الأول السطر ١٧ من الطبعة المعتمدة لدى الطوائف البروتستانتية حيث نجد بين الجمل فراغات تقدّر بأربع كلمات استعيض عنها باشائر ونقاط «بنو عزره تيرو مرو وعافر ويالون. . . . . وحبلت بمريم وشماي ويشبح ابي يشتموع» فمن حبل بمريم؟ النص الإنكليزي

---

(١) كتاب اللغة العربية ومشكلاتها، د. أنيس فريحة.

(٢) كتاب اللغة العربية ومشكلاتها، د. أنيس فريحة.

(٣) الموسوعة البريطانية، ص ٨٨٩.

(٤) الموسوعة البريطانية، ص ٨٨٩.

(٥) الموسوعة البريطانية، ص ٨٨٩.

البروتستانتي يترك مسألة الحبل بمريم غامضة فيما النص الفرنسي البروتستانتي يضيف من عند كاتبه مكان النقط الفراغ كلمة للإيضاح كما يقصد أو ليتابع وصل النص ببعضه فيقول «وحبلت (زوجة مرد) بمريم» وهنا استعاض بهلالين مكان النقط ووضع زوجة مرد والله وحده يعلم الغاية إلاّ إن كان القصد تقريب الوشائج المسيحية اليهودية أو إضاعة الأثر الحقيقي الذي يمكن للمسيحية أن ترتكز عليه حول مريم عليها السلام.

أمّا النص الكاثوليكي العربي فيقول: «وبنو عزرة وياتر ومارد وعافر ويالون واتخذ مارد (تزوج) بيتة فحبلت بمريم وشماي ويشباح ابي اشتموع» وبيتة في التاريخ هي ابنة الفرعون، فلماذا دخلت في النص وسياق القصة وهي بعيدة عن واقعها؟! لنعد قليلاً إلى اسم الرب يهوه والذي خلق مشكلات مستعصية لتحديد اسمه في الترجمات.

فهو في العبرية تارة يهوه وتارة ادوناي وطوراً ايلوهيم، فالمزمور ١٠٩ لداوود ومن النص الكاثوليكي المعتمد يقول: «قال الرب لسيدي اجلس عن يميني» وأما النص العبري فيقول: «قال يهوه لأدوناي» وأما الترجمة العربية لدى طوائف البروتستانت فتقول في المزمور١١٠: «قال الرب لربي» وذكر مزمور آخر[1] الاسمين معاً، وأما نص الملك جميس الإنكليزي المعتمد ثقة فهو يسمي الرب يهوه «باللورد» واسم غود ايلوهيم[2]، وعليه ان أعدنا ترتيب الأمور قليلاً نجد:

أولاً : الرب ايلوهيم ويهوه شخص واحد (مزمور ١٠٧ كاثوليكي و١٠٨ بروتستانتي).

ثانياً : ادوناي هو يهوه أي السيد (سفر الملوك كاثوليكي وسفر الملوك

---

(١) ١٠٧ لدى الكاثوليك و١٠٨ لدى البروتستانت.

(٢) د. رافائيل.

بروتستانت).

ثالثاً : المزمور ١٠٩ لدى الطائفتين يقول: إنّ يهوه غير ادوناي لأنهما يتحدثان مع بعض.

كيف يمكن حلّ هذه الأحجية؟!

لقد قام اليهود بوضع عدة ترجمات أشهرها ترغوم بابل وترغوم أورشليم وترغوم أورشليم الأدق[١] عبرياً، وعليه فإنّ مسألة النقل عن الأصل اليهودي خضعت للمزاجية وسوء الفهم غالباً، أو لعدم معرفة المعنى الصائب لذا لم يستطع النقلة تصحيح ما ورد فيه أصلاً لأن أصل الكلمة العبرية كانت إما ناقصة أو مرتبكة لا توضح المعنى والقصد الحقيقيين منها وفي أحايين كثيرة غامضة كما يراد لها على مثال ما اعتمده اليهود في تسمية الإصحاحات بأخذ أول كلمة ترد في الإصحاح وتسميته مثلاً:

- سفر العدد واسمه العبري في ال برية وأوّله كلم الله موسى في البرية أو في البرية كلّم الله موسى.
- سفر التثنية (تثنية الاشتراع) اسمه الأصلي ديفاريم أي الكلام وتسميته بسفر التثنية خطأ من المترجمين الذين اقتبسوها من الفصل ١٧ من السفر[٢].

وعلى الرغم من كثرة النقل والترجمة للعهد القديم بعد المسيح فإنّ من المثير للدهشة أن لا يوجد في فلسطين نقش واحد ينسب للمملكة العبرية حيث فشلت الروح اليهودية في تقديم أي أثر حقيقي لعهدي داوود وسليمان عن الكتاب المقدس (العهد القديم) ولهذا افتقدوا دليل الأصالة لوجود حقيقي قائم على غرار ما تركته بقية الشعوب في آسيا من ثوابت. والأكثر إثارة إننا لا نجد لدى الإغريق في تاريخهم المبكر والمدوّن أي شيء عن هذا

---

(١) الموسوعة البريطانية.

(٢) كتاب التوراة، سهيل ديب.

الكتاب المقدس أو عن اليهود كأمة علماً أن الأغريق وعلى رأسهم هوميروس تحدثوا مراراً عن فلسطين ولم يتطرقوا للوجود اليهودي كشعب أو كدين[1]، لأنّ اليهود لم يتجاوزوا حينها أطوار الحضارة السفلية المتصلة بطور التوحش فكيف يمكن لهم كتابة التاريخ إذاً وعبر العهد القديم؟ وهم كشعب أثّروا حينها على الحضارات بمقياس الصفر فلم يعدّوا ضمن الأمم المتحضرة تاريخياً في ذلك الوقت في فلسطين[2].

لم تجد الروح اليهودية في ماضيها ولا واقع حالها عبر مراحل التاريخ ما يثبت فوقيتها وألوهيتها لذا راحت تجمع ما أمكن لها من الأمم الأخرى كي تبتدع منه تاريخاً مزيفاً لكتاب حرّف عن قصده لغاية في نفس يعقوب!

فكيف كان التزوير التاريخي وكيف حصل ذلك.

---

(١) فرنسيس نيوتن، ص ٤٨.

(٢) اليهود في الحضارة، غوستاف لوبون.

القسم الثالث

التزوير التاريخي

لم يكن لليهودية دور تاريخي فاعل ومؤثر على مسار التاريخ في أيّ من مراحل وجودها قبل التيه وبعده والمرحلة الرومانية، باستثناء نتف من السيطرة المحلية اتسع بعضها أيام سليمان مثلاً غير أنه لم يترك أثراً يحتذى.

وبحسب التاريخ اليهودي فإنّ غزو فلسطين بدأ حوالي عام ١٢٢٠ق.م[١] والتي كان يسكنها الفلسطينيون واليبوسيون وقبائل كنعانية والزكاليون وكان الصراع على أشدّه بينهم مما أعان العبرانيين بقيادة يوشع بن نون على احتلال المناطق الجبلية دون أن يتمكن من غزو الساحل الفلسطيني[٢] رغم الإدعاء اليهودي بحصول ذلك.

ولقد استند العهد القديم على تاريخ أشبه بالروايات والأساطير التي ليس لها أساس لتفخيم دور قادته وإعطائهم ما لم يكونوا عليه يوماً ومنهم يشوع والذي «عيّن رقعة من الأرض لقبائل لم تستطع أن تملأها[٣]»، لأنّ دولة اليهود وحتى وهي في أوجّ قوتها العسكرية لم تستطع أن تحتل وتسيطر إلاّ

(١) جفرز، ص ٣٥٤.
(٢) غوستاف لوبون، ص ٣٤.
(٣) جفرز، ص ٤٠.

على مائة وعشرين ميلاً في أطول أطوالها وستين ميلاً في أعرض عرضها وأقلّ من ذلك غالباً[1]، وعليه فإنّ مسألة الحق التاريخي في فلسطين ليست إلاّ تزويراً فاضحاً لتاريخٍ لم يوجد في الأصل وتم بناء هالات حوله.

فالقوة العسكرية اليهودية لم تكن يوماً قوة فاعلة كما يدّعى، ولكنها وفي غمرة التجاذب العسكري القائم في فلسطين راحت تلتهم القرى واحدة واحدة متحدثة عن معارك مدن كما سنرى، وباستثناء معارك هامشية فإنّ اليهود لم يخوضوا حرباً فعلية واسعة اللهم إلاّ إن قيل عن حالتي التمرّد على الرومان حروباً، ولقد وجد المسلمون عقب دخولهم أرض اليهودية (فلسطين) وليس بها يهود كقوة لأنّ حروب فاسبازيان وتيتوس وتراجان وهادريان وهي حروب التمرّد اليهودي لم تترك حجراً من اليهودية لا سياسية ولا عسكرية[2]، كما وأنهم قبل ذلك لم يكن لهم دور مهم مع الدول الأخرى على المستوى الذي تتركه الفتوحات والتوسّع بحيث لم نجد أي أثر يثبت الادّعاء العسكري إذ كيف يعقل لمن احتلّ وحارب وتوسّع أن لا يترك ولو صفحة واحدة محايدة تثبت ذلك كما فعل البابليون والآشوريون واليونان والرومان مثلاً[3].

لقد أغفل العهد القديم وبتعمّد مراحل تاريخية عدّة فلم يأت على ذكرها، لا بل أنه قفز في بعض المراحل عن الزمن لسنوات وعن التاريخ لأحقاب فلم يذكر شيئاً عنها، وكيف يعقل أن من يتحدّث عن بدء الدنيا وعن نهايتها أن يغفل عن ذكر مئات السنين من التاريخ اللهم إلاّ أنه لم يكن له وجود ولذا فقد مرّ على ذكرها مروراً!

من خلال مراجعة للتاريخ في العهد القديم نجد أنه لم يذكر الحدث

---

(١) بيلوك، جفرز ص ٤٢.
(٢) كلرمان جانو.
(٣) ديورانت، قصة الحضارة.

التاريخي في الزمن الفاصل ما بين آدم وابرام على رغم كبر المسافة الزمنية أو القياس وكذلك أغفل الحديث بشكل قاطع عن مرحلة مهمة من تاريخ اليهود أنفسهم وهي الفترة الفاصلة بين عصر يوسف وموسى والمقدّرة تاريخياً بأربعمائة عام في مصر.

من المرجّح أن العهد القديم لم يستطع استغلال هذه الثغرات لحشر الفوقية اليهودية كالادّعاء بنصر عسكري وما إلى ذلك لأنّ اليهود كانوا خلالها عبيداً في مصر وعليه فقد تمّ إغفال كامل المرحلة هذه.

لقد أسهمت ست حضارات في نقل الإنسان القديم من حالة الجمود في الموقع الجغرافي إلى حالة الحركة والانطلاق باتجاه الموقع التاريخي للزمن، وبحسب جيابناتيستا وفيكو وازوالد شبلنجر وغيرهم من المؤرّخين أنه أي الإنسان قام بحركة الاتجاه الحضاري من خلال الحضارة المصرية والسومرية وحضارة المايا والأنديز والحضارة الصينية والحضارة المناوبة (الإفريقية والرومانية).

وبدءاً من نهاية العصر الجليدي قبل عشرة آلاف سنة تقديرياً، بدأت حركة التطوّر المصري والسومري[١]، وأخذت الشعوب القاطنة أطراف ومحيط وادي النيل وحوض الرافدين[٢] المكونة من تكتل بيئوي، مستغلة ارتباط القارات الأسيوية والإفريقية والأوروبية من خلال الجسور الطبيعية فيها، وراحت انساق هجراتها تتسع مع الوقت بحسب الحاجة ومتطلبات الحياة لديها.

وبقدر ما كان نمط العيش لدى الشعوب سبباً لحجم التحرّك، فإنّ معظم تلك الشعوب ترتبط في أصل وجودها بالخط الإيراني (الشرقي) وهو

---

(١) غوردن تشايلد، الشرق الأقدم.
(٢) موسكاني، ص ٥٢.

النمط الوحيد الذي ساد الجزيرة العربية وأطرافها من مناطق فلسطين وسوريا وحوض الفرات[1]، أي قبل دخول النمط الأرمني خلال الألف الثاني قبل الميلاد للمنطقة.

كانت الدولة السومرية في جنوب أرض الرافدين أول دولة أسست كنظام منذ عصر ما قبل التاريخ تاركة أثراً يدلّ على حركتها هذه وبصمات واضحة المعالم لما كانت عليه الدولة خلّفت في الأثريات المكتشفة!

ومع أنها لم تكن دولة بمعناها الكامل، وإنما مجموعة دول يحكمها كهنة، حيث أدّى الصراع والتنافس على السلطة إلى توحّد تلك الدول في الدولة الآكدية السامية عقب احتلالها لمملكة «لوجلز جيزي» حوالي عام ٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ق.م[2].

ولم يكد عام ٢٠٠٠ق.م يطلّ حتى قامت دولة الآموريين باحتلال فلسطين وسوريا وقسماً كبيراً من الأراضي المتصلة بحوض الرافدين، وهي دولة ذكرها العهد القديم[3]، وانبثقت منها الدولة البابلية عام ١٨٣٠ ـ ١٥٣٠ق.م وكان حمورابي سادس ملوكها.

لقد عاش ابرام في زمن المملكة الآمورية والتي لم تعمّر بعده طويلاً ثم ذابت في غمار المدّ البابلي، فكيف أقدم الرب على إعطاء ابرام وعداً بامتلاك أرض الآموريين ضمن الأرض الموعودة لليهود والرب يعلم أن تلك الدولة الآمورية ستزول قريباً؟

ونعود إلى العهد القديم فنجد «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات

---

(١) موسكاني، ص ٣٨.
(٢) حفائر بوتا ـ قائمة الملوك، خورسباد.
(٣) الدولة الآمورية.

القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والآموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»[١]، أي ما مجموعه عشر دول شعوب، وهي دول سامية كما العبرانيين[٢]، ذاك كان وعد الرب لإبراهيم بحسب العهد القديم.

وأمّا بالنسبة للوعد الإلهي ولكن على لسان الرب لموسى فقد جاء كما يلي: «إلى مكان الكنعانيين والحثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[٣] وأغفل وعد الرب بلاد «القنيين والقرزيين والقدمونيين والرفائيين» وأشار العهد القديم إلى زوال بعضها قائلاً: «الأيميون هم أيضاف رفائيين وفي سعير سكن قبلاً الحوريون فطردهم بنو عيسو وأبادوهم والعويّون الساكنون إلى غزة أبادهم الكعتريون من سكان كفتور وسكنوا مكانهم»[٤].

إنّ زوال هؤلاء (دول القرى) أدّى إلى عدم الحديث بشأن أرضهم مع موسى في الوعد الإلهي وبحسب العهد القديم، ولكنه أبقى على ذكر أرض الآموريين بسبب اتّساع مساحتها الجغرافية وامتدادها المتطابق لما يروجه عن الوعد الإلهي بالأرض المقدسة من الفرات إلى النيل.

إلاّ أن المسألة تأخذ بعداً آخر، فالرب يقول لموسى انه لن يعطيه من أرض مؤاب وبني عمون وهي نفس أرض الرفائيين[٥]، مع أنه ذكر في الوعد الإلهي أن أرضهم قد خلّ في مساحة الأرض الموعودة لليهود، وعليه يثبت أن مساحة الأرض ذات الوعد الإلهي كانت خاضعة لمبدأ الحركة الميدانية

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٥.
(٢) موسكاني، حضارات.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ٣.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ٢.
(٥) الدولة الآمورية.

وليس للوعد الإلهي، فهي مع ابرام عشر مناطق لدول، ومع موسى ست مرة وخمسٌ أخرى «أرض الكنعانيين والحثيين والآموريين والحويين واليبوسيين»[١]، وأسقطت أرض الفرزيين من الوعد الإلهي كما أشرنا.

غير أن الوعد مع موسى نفسه تغير من جديد، إذ قال له الرب: «إنكم داخلون أرض كنعان... وهي لكم... من برية صين (شمالي سيناء) على جانب ادوم (غربي بترا) ومن طرف بحر الملح (البحر الميت) إلى الشرق ويدور جنوباً حتى عقبة عقربيم (الجهة الجنوبية للبحر الميت) ثم إلى صين (مجدداً) ومخارجه من جنوب قادش برنبع (صور) إلى حصرادار وعصمون ووادي مصر، ومن البحر الكبير (المتوسط) إلى جبل هور ومدخل حماة إلى صور(شمالي دمشق قرب ربله) ثم زفرون وحصر عينان وشفام وبحر كنارة حتى بحر الملح (من جديد)[٢].

وكما يبدو فإنّ الإله يهوه كان يبدل مساحة الأرض الموعودة كلما أراد، علماً أن كاتب الإصحاح حدد هذه المساحة الشاسعة التي تضم عدة دول إبان حياة موسى بما فيها دولة الفراعنة، حددها بأنها أرض كنعان. وبحسب الدكتور فريد رش فإنّ العهد القديم أوقع نفسه في مأزق لأنّ كلمة كنعان تطلق على أي لفظ سوري فلسطيني لا ينتمي إلى الآرامية، فيما أن قبائل كنعان تألّفت من الفينيقيين والمؤابيين والآدوميين والعمونيين[٣]، فكيف دخلت مصر كأرض كنعانية؟

لقد كان الوعد الأخير لموسى أكبر بأضعاف من وعد الرب الأول فهي تضم بالإضافة إلى مصر، سهول فلسيتا وكامل فينقية وسوريا[٤]، أما أرض

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ١٣.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ٣٤.
(٣) موسكاني، حضارات.
(٤) جفرز، فلسطين إليكم الحقيقة.

كنعان المعروفة تاريخياً فهي أو كانت تضمّ سبعة شعوب دول هي الأموريون (العموريون) والكنعانيون، والحثّيون والجيويون، والفرزغازيون والبرزيون واليبوسيون، وجميعها تقطن غربي الأردن، وأما الحثيون فهم شعب غير سامي[1].

وبمراجعة دقيقة للتاريخ يتبين أن لا علاقة لهذه الأرض المتسعة من الفرات إلى النيل بأي وعد إلهي ويدلّ على ذلك أمران:

الأول: التخبط في الإصحاحات وبينها وعلى لسان الرب يهوه نفسه في حجم ومدى وعدد واتساع الأرض الموعودة ومكانها أيضاً.

الثاني: ان الأرض التي تمّ التركيز عليها كأرض الرب الموعودة هي مساحة مملكة سليمان ولا دخل لموسى عليه السلام ولا لأيّ، غيره دور أو ادّعاء بأنه أمر إلهي[2].

وأمّا وعد الرب مع يعقوب عليه السلام والذي أبلغه إياه وهو نائم في حران فناقض موسى وابرام معاً، يقول الرب: «أنا الرب... الأرض التي أنت مضطجع عليها أُعطيها لك ولنسلك وتمتد (نقطة الارتكاز حرّان) غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً»[3]. وهنا لم يعد الرب يهوه يعرف أسماء الأرض وشاغليها فأعطى ليعقوب أرضاً في الاتجاهات الأربعة كما فعل مرة مع ابرام وبنطاق أضيق[4].

ونعود للحقائق التاريخية لنجد:

إنّ قبائل من البدو الرحّل ممن كانوا يعيشون في شمال الجزيرة العربية

---

(١) الأنسيكلوبدي بريطاني.
(٢) سفر الملوك الأول: إصحاح ٥.
(٣) سفر التكوين: إصحاح ٢٨.
(٤) سفر التكوين: إصحاح ١٢.

أخذوا يضغطون لاختراق أرض الرافدين وسوريا في بداية الألف الثاني ق.م ثم شنّوا غارة على بابل فتصدّى لهم «كداشمان» خرب الأول عام ١٤٥٠ - ١٤٣٥ق.م وقضى على المهاجمين وكانوا يدعون «بالسوتو»، وهم طليعة الشعب الآرامي[١]. إن إغارات هذه القبائل ساعدت الحثيين على غزو بابل في القرن السادس عشر قبل الميلاد، والتي كان من نتائجها انتشار تلك القبائل خارج حدود الجزيرة، وتذكر لوحة درهم أن أشنونا (تل الأسمر) كانت مركز انطلاق هؤلاء من على نهر دجلة الأدنى، وفي نقش ماري لعام ١٧٠٠ق.م ورد لهم ذكر أيضاً، غير أن أول دولتين آراميتين في القرن الثالث عشر ق.م كانتا آرام النهرية على الفرات ورافد الخابور، ودولة «بدم آرام» ومركزها مدينة حران ومعنى اسمها طريق وموقعها في أرض الرافدين[٢].

وأمّا نقش الملك الآشوري «أرك دين ايل» المتضمن انتصاراته على الأخليمو عام ١٣١٩ق.م فيظهر أن الآراميين كانوا جزءاً من هؤلاء الأخليمو.

ولقد برز أول نفوذ فعلي للآراميين عقب اضمحلال الدولة الآشورية إبان العصر الآشوري الوسيط حوالي عام ١٠٠٠ق.م، ففي الشرق غزا الآراميون الجزء الشمالي من أرض الرافدين وأقاموا لهم دولة صغيرة هناك ثم دولاً صغيرة موزعة في مناطق سيطرتهم وكان أهم تلك الدول «بيت اديني» ومركزها جوزانا (تل حلف)، ثم أقام الكلدانيون دولة «بيت ياكيني» على الخليج العربي ويتصلون مع الآراميين بالنسب.

وأما في بلاد الشام فقد أشار نقش لامنحوتب الثالث (عام ١٤٠٣ق.م) عن وجودهم وكذلك نقوش للفرعون مرنبتاح (١٢٢٣ق.م) عند ذكره لمدينة دمشق الآرامية[٣]، إبان الفترة التي شهدت استقرار آرامي الداخل في سهل

(١) حضارة الشرق القديم، د. عبد اللطيف علي.
(٢) حضارة الشرق القديم.
(٣) الآراميون ومملكة دمشق، علي أبو عساف.

الحولة والجولان وعلى ضفاف اليرموك ونهر الزرقاء والبقاع وسلسلة جبال لبنان الشرقية وهناك تمّ تأسيس ممالك وإمارات ومشيخات منها «بيت رحوب»، وقبيلة «طوب» وقبيلة «جشور» في البقاع الغربي من لبنان، وقبيلة «معكة» وقبيلة صوبا التي حاربها داوود واحتلّ أراضيها الواقعة في حدود البقاع وسلسلة جبال لبنان الشرقية ودمشق وحوران وكان من ملوكها هدد عزر بن رحوب[(١)]، ووردت (صوبا) تحت اسم خالكيس في اليونانية وتعرف حالياً باسم عنجر في البقاع الغربي اللبناني.

من خلال مراجعة التاريخ نجد أن الحركة العبرانية كانت تتماشى مع خط حركة الآراميين أي حوالي القرن الثالث عشر وكانتا متجاورتين في حدود منطقة الزرقاء في الأردن وخلال الحرب مع داوود.

ولكن العهد القديم ادّعى أن ابرام أقام في حران، وأن يعقوب تزوج من بناتها فكيف يعقل أن يقيم ابرام بين شعب لم يكن قد وجد بعد وأن يتزوج يعقوب من بناته ثم يأتي الرب فيتحدث عن إعطائه أرض الآراميين لليهود؟ لقد عاش ابرام حوالي عام ٢٠٠٠ق.م تقريباً، وأنشأت حران بحسب الشواهد التاريخية المدوّنة في المكتشفات الأثرية حوالي القرن الثالث عشر تقريباً التي أكّدت أن الموقع الجغرافي لحرّان كان أرض الرافدين ومن ثم تمّ قلب الحقائق التاريخية وخلط أحداثها لتتماشى مع الأهداف اليهودية.

ويتضح أن تقارب الحركة اليهودية إبان خروجها من مصر واتساع حركة المدّ العسكري الآرامي وتناقل اسم حرّان كمركز تجاري وسطي بين طرق الحضارات حينها، جعل واضعي العهد القديم لاحقاً يقتبسون الأحداث دون رقيب أو سجل يغاير ادّعاءاتهم ولولا المكتشفات الأثرية الحديثة لبقيت الرواية اليهودية بما فيها من كذب هي الرواية الحقيقة لمجرى ذلك التاريخ

---

(١) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٨.

والذي في حقيقة أحداثه شهد حركتين يهودية وآرامية[1] بعد زمن ابرام بقرون وبذلك سقطت مصداقية الوعد الإلهي هذه الناحية أيضاً.

وإن عدنا إلى اتّباع مسألة روحية الوعد لأنّ الأمر إلهي كما يقال، فإنّ ذلك بعيد عن الواقع هو الآخر بدليل أنه حدد ومن خلال العهد القديم أن «ابرام كان ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حرّان»[2] وتأكيده «أن تارح والد ابرام مات في حرّان»[3]، فابرام خرج من حرّان ووالده توفي فيها ولم تكن حرّان قد أقيمت بعد، فأين مصداقية روحية الوعد إذاً؟

يقول العهد القديم انه «حدث في أيام «إمرافل» ملك شنعار و«أريوك» ملك الاسار «وكدر لعومر» ملك عيلام وتدعال ملك جوييم، ان هؤلاء صنعوا حرباً مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة وشمئير ملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر، جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى عمق السديم الذي هو البحر الميت، وقد استعبدوا الكدر لعومر اثنتي عشرة سنة ثم عصوا عليه في السنة الثالثة عشرة... وفي السنة الرابعة عشرة أتى «لكدر لعومر» والملوك الذين معه وخربوا الرفائيين(!!) في عشتروت قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم والحوريين في سعير إلى بطحة فاران ثم رجعوا إلى عين مشغاط التي هي قادش وضربوا الآموريين الساكنين في حصون تامار... فأتى من نجا وأخبر ابرام العبراني عند بلوطات ممر الآموري... فتبعهم إلى دان بخدمه (ثلاثماية وثمانية عشر من الرعيان) وكسرهم وتبعهم إلى صوبة دمشق (عنجر)[4].

ومن خلال النصّ نجد أنّ حلفاً ضم أربعة ملوك حارب حلفاً آخر ضم

---

(١) قصة الحضارة، ديورانت.

(٢) سفر التكوين: إصحاح ١١.

(٣) سفر التكوين: إصحاح ١١.

(٤) سفر التكوين: إصحاح ١٤.

خمسة ملوك وانتصر عليهم ثم جاء ابرام مع خدمه وحارب الملوك الأربعة وكسرهم بحسب العهد القديم وذلك كذب وتزوير تاريخي آخر.

فالملوك الأربعة ليسوا ملوكاً إلاّ من تسمية العهد القديم لهم بالملوك لتعظيم دور ابرام اليهودي في حربه معهم هذا إن حصلت فعلاً حرب له معهم لأنّ لا أثر تاريخياً لذلك.

والجغرافيا الحديثة والقديمة أظهرت أن مملكة شنعار ومملكة الآسار ليستا إلاّ قريتين في الجليل، وكذلك عيلام كانت قرية في شمال فلسطين القديمة، ولم تكن جوييم وسدوم وعمورة إلاّ قرى في الأردن، ثم ادمة وصبويم وبالع (صوغر) معظمها قرى سكن بها الرفائيون والزوزيون والايميون والحوريون، أما شكيم وبلوطة مورة فهما السامرة حالياً، فكيف يمكن لهذه القرى على صغر حجمها أن يكون لها ملوك؟

وبعودة إلى النص نجد «أن ابرام حاربهم وكسرهم إلى صوبة دمشق».

وأشرنا سابقاً إلى أن صوبة هي عنجر الحالية وكانت مملكة في البقاع وأطراف حوران.

وأما دمشق فيخبرنا عنها تحوتمس الثالث (١٤٩٠ق.م) في وثائقه أنه غزات م س ق خلال حكمه الثالث والثلاثين، ويقول امنحوتب الثالث أنه غزات م ش ق(١). وفي العهد القديم وردت مرة تحت اسم دارمسق(٢)، غير أن نصوص اللعن (٢٠٥٢ق.م) سمتها آفوم/آبوم(٣) بحسب حدود الترجمة للكلمة.

وآفوم أو آبوم ورد ذكرها في حفريات تل العمارنة حيث حدد موقعها

---

(١) الحوليات السورية، بشير زهدي.
(٢) سفر الأخبار الثاني: إصحاح ١٦.
(٣) حضارة الشرق.

التقريبي بين فلسطين ونهر الزرقاء واليرموك وحوران، وكانت مملكتها جنوب مملكة قادش وقطنة حمص ويستدلّ على ذلك من خلال حفائر تلّ العمارنة أثناء الحديث عن «كومدي» التي هي كامد اللوز حالياً مشيراً إلى أنها مدينة في آفة.

وفي وصف موكب عروس ابنة الملك الحثّي «موفاتلي» عند نقلها إلى مصر للزواج من رعمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ق.م) يشير إلى أن موكب العروس سار من «خاتوشا» عاصمة الحثيين حتى مدينة أيو (أو آقوي اللغة) ومن آيو إلى مصر[1]، وآيو تقع على بعد نحو سبعة كلم من احدو، وفي عصر امنحوتب الثالث (١٤٠٣ ـ ١٣٦٤ق.م) قسمت مناطق النفوذ المصري إلى ثلاث مقاطعات هي:

أ ـ جنوبية عاصمتها غزة.

ب ـ وشمالية عاصمتها حمورا على نهر الأبرش.

ج ـ وشمالية شرقية وعاصمتها كومدي أي كامد اللوز.

وتكشف وثائق تل العمارنة أيضاً أن أميراً قوياً يدعى بيروازا كان موالياً لأخناتون حارب الحثيين والميتانيين والكنعانيين واستولى على كومدي والمدن بين اربد وحتى عين عفا ودير العدس وغباغب وصيدنايا ومضايا في الجنوب[2].

ولقد عاصر اليهود اخناتون في مرحلة ما بعد يوسف عليه السلام أو خلالها بحسب الدراسات التاريخية وكانوا على اطّلاع هناك على الحدث التاريخي المتعلق بالحلف الذي حاربه بيروازا وانتصر عليه في الأماكن نفسها التي عينها العهد القديم في معركة ابرام مع الأحلاف وبذلك تم النقل.

وفي الطبعة البروتستانتية للعهد القديم نجد (حول دمشق) أنه يقول عنها

---

(١) رسائل تل العمارنة رقم ١٩٧.

(٢) رسائل تل العمارنة رقم ١٩٧.

دارمسق[1] في إصحاح حكم الملوك الثاني أي بعد ابرام بألف سنة فهل كان يعرفها ابرام باسم دمشق ثم جاء بعده ملوك إسرائيل بألف عام وراحوا يتحدثون عن دارمسق متناسين اسمها مع ابرام؟

إن الثوابت التاريخية تظهر أن اسم دمشق لم يكن متداولاً في عهد ابرام قطعاً كما وأن صوبة هي مملكة متسعة الأرجاء وليست مدينة أو قرية فكيف حاربها ابرام؟

كانت دمشق تتمتع باستقلال ذاتي كمملكة آرامية (منفصلة عن صوبة) حيث شهدت غزوات كثيرة بحيث ورد ذكرها المستقل كمملكة في أكثر من أثر تاريخي مستقلة عن صوبة ان على مستوى التسمية أو على مستوى الموقع الجغرافي. فمن أين أتى العهد القديم بالاسم المشترك صوبة دمشق (ولم يكن في التاريخ إلاّ صوبة واحدة)؟

من البين أن العهد القديم استعار الأسماء والأماكن والحدث التاريخي ثم لفق ذلك كله لهدفين:

أولاً : إعطاء بعد جغرافي للوعد الإلهي بحيث أن ابرام وبثلاثماية راعٍ لديه حارب الملوك وكسرهم حتى صوبة دمشق.

ثانياً : إضفاء شرعية على إدخال أراضي هذه الملوك تحت السلطة اليهودية في أي زمن من منطلق سيطرت ابرام عليها منذ ألفي سنة.

ولتسليط الضوء بشكل أوفى نعود إلى المكتشفات الأثرية لنجد وفي نصّ أول رحلة في التاريخ جرى تدوينها تحت نصّ سنوهي (سنوحي)[2] المصري، تكاد تكون الصيغة التي سرقتها الروح اليهودية لتبني عليها قصة ابرام.

فسنوحي ونصّه يعودان إلى عام ١٩٦٠ق.م أي نفس أعوام ابرام

---

(١) رحلة سنوحي، جون ولسون.

(٢) رحلة سنوحي، جون ولسون.

(إبراهيم عليه السلام) وكان من أشراف الطبقة الحاكمة في مصر، وحين مات امنمحات (سحتب ايب رع) وتولى ابنه سنوسرت (خپر كارع) العرش ان خشي سنوحي على نفسه أثر اكتشاف مؤامرة لليبين واحتمال مشاركته فيها ففرّ من مصر هارباً، ويقول سنوحي[1]:

صعد الإله (الملك) إلى أفقه (مات) وحمل إلى السماء حيث اتّحد مع قرص الشمس آمون ـ رع وهو أبوه وخالقه... فقفرتَ لأجد لنفسي مكاناً أختبىء فيه...» اتجه سنوحي جنوباً مبتعداً عن الدلتا ثم اجتاز نهر النيل منتظراً هبوط الظلام وفي الصباح وجد نفسه في كم ـ ور أي البحيرات المرة واصفاً شعوره بأنه طعم الموت.

في الطريق سمع ثغاء الماشية ثم رأى جماعة من الآسويين فانتقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى جبيل على الشاطىء الفينيقي ويقول:

«اتجهت نحو قدوم (قِدم) حيث قضيت سنة ونصف السنة (قِدم تعني الشرق)» أي أن سنوحي اتجه من جبيل شرقاً إما إلى البقاع أو مداخل سوريا، ويتابع «أخذني امي ـانشي حاكم ريتنو العليا إلى بلاد «ياع» وقال لي ستقيم هنا وستسمع الكلام المصري (أي أن ياع تقع على الطريق إلى مصر) وكانت ياع أرضاً طيبة(!!) فيها التين والكرم بحيث أن خمرها أغزر من مائها، وكان العسل (!!) فيها كثيراً جداً وكذلك الزيتون، وكانت أشجارها تحمل أصناف الفواكه والشعير والقمح من غلاّتها وأما الأنعام فلا حصر لها (ينطبق الوصف على الامتداد الجغرافي بين جنوبي لبنان وشمالي فلسطين) ويتابع:

«جعلني (امي ـ انشي) على رأس أولاده، وزوجني ابنته الكبرى وقضيت هناك أربعين عاماً، وشب أبنائي وأصبح كل واحد منهم مشرفاً على قبيلته الخاصة(!!) ولقد كان المسافر من اثيت تاوي (عاصمة مصر) شمالاً أو المتجه إليها جنوباً يمرّ بي (إعادة لتحديد الموقع أنه فلسطين كما يبدو) ولقد

---

(١) مصر والشرق، نجيب إبراهيم ص ٢٦١.

استضفت كل مار في منطقتي وسقيت العطشان وأنقذت الذي يُسلب، ولما تطاول الآسيويون وأخذوا أنفسهم بمقاومة البلاد الأجنبية (يقصد الحكم المصري) وقفت لهم بالمرصاد وولاني حاكم ريتنو جيشه وقيادته لسنوات، ونجحت ضد كل بلد».

تتخذ قصة سنوحي مصداقية تاريخية من وثائق تل العمارنة التي تحدثت عن بيروازا الذي دخل في خدمة الفرعون وسار من دمشق واحتلّ كومدي وحارب الذين نادوا بالتخلّص من حكم مصر، وسيطر بحسب رسائل تل العمارنة (١٩٧) على البلاد الواقعة من سهول اربد في الجنوب وحتى عين عفا ودير العدس في الشمال والممالك بين حسيا نحسي وصيدنا ومضايا، وأشار إليه ياقوت الحموي على أنه باني دمشق تحت اسم بيرايوسف، كما وأن مؤشرات أخرى دلّت على مصداقية ما حصل[١].

ومن خلال قصة سنوحي وبيروازا نجد أنهما تحدّثا عن أرض «اللبن والعسل» وعن «تجمع الملوك في حلف» وعن حدود هذه الأرض وما فيها على النمط عينه الذي تحدث فيه يوشع بن نون بعد عودته من تجسس الأرض الموعودة التي أمره فيها موسى لمعرفة أوضاع الأرض (المقدسة التي يريد الله إعطاءها لشعب إسرائيل) ونجد أن يوشع تحدّث عنها بشكلٍ مطابق لنصّ سنوحي. يقول العهد القديم: «ثمّ كلّم الرب موسى قائلاً أرسل رجالاً ليتجسسوا(!!) أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، فأرسلهم موسى... فصعدوا وتجسسوا من برية صين (سيناء) إلى رحوب في مدخل حماة... وإلى حبرون ووادي اشكول وقطعوا هناك زرجانة بعنقود واحد من العنب حملوه بالدقرانة بين اثنين(؟!!) فساروا حتى أتوا إلى موسى وأخبروه... أن الأرض التي أرسلتنا إليها تفيض لبناً وعسلاً»[٢].

---

(١) تل العمارنة، حفريات.

(٢) سفر العدد: إصحاح ١٣.

لقد عاش سنوحي وبيروازا (أيّاً يكن منهما) في زمن ابرام وحاربا ممالك وشعوبا في نفس المنطقة التي قال العهد القديم إنّ إبرام حارب الأحلاف فيها ومع ذلك نجد أن لا سنوحي ولا بيروازا أتيا على ذكر ابرام أو اليهود بأيّ حال من الأحوال فكيف يعقل ذلك؟!

وكيف يطرد الرب من أمام ابرام في الوعد الإلهي «الكنعانيين والحوبيين والفرزيين[1]... ومع يشوع كذلك[2]، ثم كيف حارب ابرام الأحلاف ولم يترك أثراً يدلّ على صدق الادّعاء إن لديه أو لدى تلك الأحلاف أو معاصريهم من القادة العسكريين الذين تباهوا ودوّنوا انتصاراتهم؟!

إن هو إلاّ تزوير آخر له شقّان سمعهما اليهود في مصر ثم اقتبسوهما لإبرام وللوعد الإلهي.

وبعودة إلى الوعد الإلهي نجد، أنه ومع موسى أشار الرب إلى أرض دون ذكر أرض الحثيين، أما مع يوشع فعاد وحدّد أن أرضهم تدخل في سياق الأرض الموعودة، يقول العهد القديم.

«فلما سمع يابين ملك حاصور (جبل حرمون) أرسل إلى يوباب ملك مادون والي ملك شمرون وملوك الجبل والعربة جنوبي كيروت ومرتفعات دور (عين دور في عكا) الكنعانيون في الشرق والغرب والآموريون والحثيين والفرزيين واليبوسيين والحويين... ونزلوا على مياه ميروم (شمال فلسطين) كي يحاربوا إسرائيل... فدفعهم الرب بيد إسرائيل فطردوهم إلى صيدون العظيمة ومسرفوت ومصفاة شرقاً[3].

وفي الإصحاح الثاني عشر ليشوع يقول الرب: «شاخ يشوع... فقال

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ١١، يشوع: إصحاح٣.
(٢) سفر يشوع: إصحاح ١.
(٣) سفر يشوع: إصحاح ١١.

له الرب أنت قد شخت وقد بقيت أرض كثيرة جداً للإمتلاك، وهذه الأرض الباقية هي كل دائرة فلسطين، وكل الجشوريين من الشجور الذي هو أمام مصر، إلى تخم عقرون شمالاً تحسب للكنعانيين الأقطاب الخمسة الفلسطينيين، الغزي (مملكة غزة) والأشدودي (مملكة أشدود) والاشقلوني (مملكة عسقلان) والجتي (مملكة جت) والعقروني (مملكة عقرون) والعويين (مملكة عاي).

ومن خلال النص نجد:

أولاً : يقول الرب إنها أقطاب خمسة للفلسطنيين فإن عددناها نجد أنها ستة فهل أخطأ الرب العدّ؟

ثانياً : يعترف العهد القديم بأنّ اليهود وحتى خلال حكم أشدهم بطشاً ودموية (يوشع) لم يحتلوا فلسطين وبقوا في الجبال.

ثالثاً : يناقض هذا النص النص الذي قبله حول هزيمة الإسرائيليين لتجمّع الأحلاف ودحرهم حتى صيدون.

لمعرفة الحقيقة نعود إلى التاريخ والمكتشفات الأثرية منه لنجد، أنه لا يوجد أي نص محايد يدلّ صدقاً على ما يتحدث عنه العهد القديم من حروب، كما وأنّ الممالك التي حاربها العبريون لم تترك دلائل تؤكّد مصداقية ما ورد عن حروب اليهود هذه وانتصاراتهم، لقد تعاطى اليهود التجارة مع الشعوب الأخرى وتركوا أثراً، كما وأنهم احتلوا بعض القرى الصغيرة بالحجم تلك الأيام، وحولوا هذه الاحتلالات إلى معارك ليس لها أصل تاريخي ثابت.

ويذكر التاريخ أن السومريين أقاموا دولتهم في جنوب الرافدين، وإبان حكم حمورابي مدّوا سلطانهم إلى آشور وأجزاء من سوريا، وما لبث الحثّيون أن أزالوا دولتهم حوالي عام ١٥٣٠ق.م وسيطروا على المناطق التي كانت تخضع لهم.

في ذلك الوقت كانت بابل نقطة التقاء الحضارات، تعجّ فيها شعوب مختلفة هي بقايا العبيد والأسارى والسكان الأصليين والمحليين، وكان بينهم أغلبية يهودية فاعلة، إضافة إلى شعب هندي أوروبي كبر حجمه الاجتماعي وما لبث أن اغتصب السلطة عام ١١٦٠ق.م فأفقد حضارة أرض الرافدين ازدهارها ودعي ذلك بالشعب الكاشي.

كان من نتيجة قلاقل الشعب الكاشي أن أعان الشعب الآشوري على النهوض وبناء دولتهم في شمال الرافدين إبان السيطرة الكاشية على بابل(١) وبتطابق زمني مع حركة الخروج اليهودي من مصر.

كما وأنه في عام ١٢٨٧ق.م أرغم الملك الحثّي «مورو تالليسه» فرعون مصر رمسيس الثاني على خوض معركة قادش على نهر العاصي، رجحت فيها كفة الحثّيين الذين ما لبثوا أن عقدوا صداقة مع مصر خلال حكم «مواتيليش» لأن «ادد نيراري» ملك آشور شكّل خطراً على الوجود الحثّي، وسرعان ما قام ملك الحثّيين كشتيلش (كشتيلياش) ١٢٣٥ق.م ونتيجة الحلف والصداقة مع مصر بحملة في أرض الرافدين للسيطرة على طرق التجارة مع إيران لكن «توكلتي» نيفورتا الأول ملك آشور تصدّى له وأنزل به هزيمة ماحقة واستولى على كنوز بابل وتمثال «مردوك» وأخذهم معه، ثم نهب بابل وجرّد حصونها وتركها دولة عاجزة لتبقى سدّاً أمام دولة البحر(٢).

استمرّ الحكم الآشوري فترة شهدت بابل خلالها (١٢٣٤ ـ ١٢٢٨ق.م) ثورة تمكّن فيها الثوار من الاستيلاء على نيبور العاصمة الدينية ثم نصبوا لهم ملكاً على بابل، إلاّ أنّ دولة عيلام دمّرت تلك الثورة واستولت على ايسن وبابل لمدة ثلاث سنين.

---

(١) قصة الحضارة، ديورانت.
(٢) حضارة الشرق، عبد اللطيف علي.

في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، هدأت العداوة بين الحثّيين والآشوريين وأصبح الخط الفاصل بين الدولتين نهر الفرات، إلاّ أن السلم أدّى إلى تمزّق الدولة الحثّية وحلّ بها الدمار عام ١٢٠٠ق.م على يد شعوب البحر وعرفوا بشعب البلستينا (الفلسطينيين) الذين احتلوا مناطق سيطرة الحثّيين واستولوا على ممتلكاتها[١].

أما في بابل فقد ظهر أمير اسمه نينورتا ـ أبيليكور يمتّ بصلة إلى الأسرة الحاكمة قام بالاستيلاء على آشور حوالي عام ١١٩٣ق.م وانتصر بعدها على الجيش البابلي فانكمشت حدود الدولة الكاشية قام بعدها آشوردان بمهاجمتها عام ١١٧٩ق.م واستولى عليها. واستولى ملك عيلام على أشنونا وسيباركوش ونهب بلاد بابل وبينها نصب الملك «نرام سن» ولوحة شرائع حمورابي واسترق سكانها عبيداً وكان بينهم يهود، وبرغم انهزام الكاشيين فإنهم استمروا في المقاومة والثورة على العيلاميين وتمكن أول ملك من أسرة أيسين (١١٥٦ ـ ١١٣٩ق.م) من كسر شوكة العيلاميين وسيطر خلفه على بابل من جديد وسرعان ما ظهر على صفحة التاريخ أعظم ملك في أسرته تلك وهو نبوخذنصر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ق.م) الذي احتلّ كل عيلام وضرب أرضهم وقضى على قبائل اللولبيين في الشمال، ودمّر خطوط غزو القبائل في الصحراء السورية قرب الفرات الأوسط.

وفي الشرق قام ملك آشور تجلات بيلسر الأول (١١١٤ ـ ١٠٧٦ق.م) بسلسلة حملات، وعندما علمت بابل بغيابه قام ملكها «مردك ادديناحه» (١٠٩٨ ـ ١٠٨١ق.م) بهجوم على ايكالاتي الآشورية فعاد تجلات بيلسر بسرعة ودمّر بابل نهائياً كقوة عسكرية، وكان لكثرة معاركه أثرها على شعبه وجيشه وبلاده التي سرعان ما سقطت بيد الآراميين[٢].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) حضارات، ديورانت.

سيطر الآراميون على بابل بقيادة ملكهم ادد ـ ابال ـ ادن (١٠٦٧ ـ ١٠٤٦ق.م)[(١)] ثم سقطت بابل مجدداً بيد أسرة ملوك البحر (١٠٠٤ق.م) ثم أسرة بازي (١٠٠٣ق.م) وحتى عام ٩٨٤ق.م[(٢)].

وبعودة إلى يشوع نجد أن حكمه كان حوالي سنة ١١٢٠ق.م، ويقول العهد القديم عنه: انه حارب الحثّيين وطردهم حتى صيدون العظيمة فكيف يمكن ذلك، وكيف يعقل أن دولة لم يعد لها وجود يذكر عقب قيام الكاشيين بالقضاء عليها قبل زمن يشوع ثم يأتي هذا مدّعياً أنه حاربهم إلى صيدون ان مراجعة التاريخ الحقيقي الموثوق تظهر حجم الكذب والادّعاء والتزوير حول كامل الأمور التاريخية والعسكرية في العهد القديم، ورأينا كيف أن الدولة الحثّية لم تكن في زمن يشوع إلاّ بقايا شعب يعيش حول بابل منهوك القوى فكيف حاربه يشوع إلى صيدون؟ هذا التزوير لم يقف عند حدود الحثّيين وحدهم ولنرجع إلى العهد القديم لنرى:

قال الرب في وعده الإلهي: «من أرض الحثّيين من نهر الفرات إلى مغرب الشمس يكون تخمكم»، فالرب حدّد هنا أن أرض الفرات هي أرض الحثّيين، وهي الأرض التي شهدت قيام الدول التي ادّعى يشوع أنه حاربها وانتصر عليها فكيف؟ لقد قامت الدولة الآشورية في القرن التاسع عشر أي زمن ابرام، ولكنهم كانوا حينها خاضعين لسلطة الحوريين حتى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد عندما توسّع نفوذهم ومدّوا سيطرتهم حتى البحر الأسود وساحل المتوسط وسوريا وفلسطين وبابل.

أنهكتهم المعارك وسهّل ذلك للميديين السيطرة على بلادهم عام ٦١٢ق.م فتقلّص وجودهم السياسي والعسكري، وقام الميديون بتنصيب

---

(١) المصدر السابق.
(٢) أنسكلوبدي بريطاني.

حليفهم نابوبولصر (مؤسس الدولة الكلدانية) قائداً على بابل وجاء بعده ابنه نبوخذنصر فاحتلّ فلسطين ومصر[1] وبعده تولى كهنة مردوك أمور الدولة فتقهقرت معهم وأبيدت على يد نبونيد عام ٥٣٩ق.م ومن ثم الفرس.

ويقول العهد القديم: إنّ فلسطين وفينيقيا أرض كنعان، إلاّ أن التاريخ يحدّد أن سوريا وفلسطين وفينيقيا أراضٍ لدول كنعانية عدّة سامية الأصل باستثناء الفلسطينيين، فالفينيقيون والمؤابيون والأدوميون والعمونيون ان هي إلاّ ممالك خضعت فترة لحكم فرعون[2]، واستقلت في فترات أخرى مرحلياً.

وخلال حكم الهكسوس لمصر (١٦٧٠ - ١٥٧٠ق.م) ثبت الحثّيون أقدامهم في شمالي سوريا، وما لبثت دول قرى أن حذت حذوهم أمثال جزر شكيم ومجدو وعكا وصور ودمشق وصيدا وجبيل وأعلن كل منها استقلاله على رقعة من الأرض متناهية الصغر، وأكبر تلك الدول القرى كان الدولة الآمورية التي نشأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهي دولة قرية توافق اسمها مع الدولة الآمورية الأساسية التي عايشها ابرام في حوض الرافدين عام ٢٠٠٠ق.م فهل ان الوعد الإلهي كان حول حدود الدولة الآمورية الكبرى في حوض الرافدين أم الدولة القرية الثانية، وأيّ منها حارب يوشع فإن كان الوعد مع ابرام عن الدولة الكبرى فالوعد سقط في خطأ الزمان والمكان، وان كان الوعد عن الدولة القرية التي عايشت زمن يشوع فإنّ حدود هذا الوعد لا تتعدّى مجرد قرية مهما اتّسعت سيطرتها الجغرافية والوعد اليهوي أيضاً وعدٌ كاذب لأنّ تلك الدولة القرية سقطت في يد الفلسطينيين قبل يشوع بمائة عام. فأي الوعدين كاذب؟

الوعد لإبرام أم الوعد ليوشع أم كلاهما معاً؟

---

(١) وايزمن.

(٢) نصوص اللعن المصرية.

ومن الثوابت التاريخية أن فلسطين شهدت عام ١٢٠٠ حتى عام ١٠٠٠ ق.م حركات غزو وهجرة نتيجة قلاقل حوض الفرات وأرض الرافدين وضعف السيطرة العسكرية، سيطر الفلسطينيون خلالها على طول الخط الساحلي ثم أتى التحرّك العبراني سلمياً مع موسى متوازياً مع التحرّك المدياني والادومي والعموني القتالي[١] واحتفظ الآراميون بالسيطرة على مناطق الشمال. ويقول الملك الآشوري أرك دين ال[٢] انه هزم جماعات الأخليمو (بينها الآراميين) الذين كانوا يغزون بلاده من الصحراء، وهؤلاء استمروا في غزواتهم حتى القرن الحادي عشر فاستقرّ بعضهم وأسس دول قرى في الجزئين الأوسط والجنوبي من أرض الرافدين خلال مرحلة استيلاء الملك الآرامي ادد ـ ابل ـ ادن على بابل[٣]، ثم قام ملوك آخرون بتأسيس دول صغيرة في حلب وأرفد تحت اسم بيت اجوشي، إضافة إلى قيام صوبا ودمشق والبتراء وتدمر[٤].

وبعودة إلى العهد القديم نراه يقول: «وذهب سليمان إلى حماة صوبة وقوي عليها وبنى تدمر(!؟) في البرية»[٥] وذلك كذب لأنّ الثابت تاريخياً أن الآراميين بنوا تدمر وليس سليمان كما وأن تدمر لم تكن قد دمرت بعد كي يعيد سليمان بناءها إن كان القصد ذلك لدى العهد القديم.

لقد زوّر العهد القديم التاريخ مدّعياً أن سليمان بنى تدمر كي يمكن المطالبة بها في الوعد الإلهي، فالثابت أن سليمان بنى علائق تجارية مع الآراميين إبان حكمه ويؤكد التاريخ أن بعضهم عبد يهوه في زمن سليمان

---

(١) موسكاني، ص ١٢٤.
(٢) هانز باور.
(٣) شموكل، ص ٢٥٤.
(٤) موسكاني.
(٥) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٨، أحافير النيرب قرب حلب (٦٣).

تقرّباً منه[1] وحملوا أسماء يهودية (مع أنهم ليسوا يهوداً) مثل يهوبي دي ملك حماه (٧٢١ ـ ٧٠٥ق.م) ويهورام ابن ملك حماه في القرن العاشر قبل الميلاد[2]، وآزر ـ يو الذي اغتصب عرش برصر ملك سمأل وقتله أيام تجلت بيلسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ق.م) وابي برجأ ايه ملك كتك[3]. وكل هؤلاء لم يكونوا يهوداً قطّ إنما أصحاب مصالح، لأنّ الحاجة اليهودية لأحلاف فرضت نفسها «طعاماً تشترون منهم لتأكلوا وماء أيضاً»[4].

ونرى أن الوعد الإلهي من منطلق حاجة اليهود للمدد والغذاء أزاح جانباً من الجغرافيا السياسية القائمة ما استبعد أرض الآموريين من موقع الأرض الموعودة «لا أعطيكم من أرضهم»[5] ولم يوضح الأسباب متابعاً «ولا تعاد مؤاب لأني لا أعطيك من أرضهم ميراث(؟!)!»[6].

ورأينا أن الروح اليهودية تلتقط أصغر الأمور ثم تحرفها وتزور حقائقها لتصبّ في خانة المصلحة اليهودية، لكنها أشاحت عن مسألة عصيون جابر وتغاضت عنها كليّاً رغم واقعها التاريخي الثابت فما هو السبب؟

أورد العهد القديم: «ان سليمان ذهب إلى عصيون جابر وايلة (ايلات) على شاطىء البحر في ادوم وأرسل له «حورام» بيد عبيده سفناً يعرفون البحر فأتوا مع عبيد سليمان إلى «أوفير» وأخذوا من هناك أربع مائة وخمسين وزنة ذهب»[7].

---

(١)
(٢) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٨.
(٣) ديون، ص ١١٤.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ٢.
(٥) سفر التثنية: إصحاح ٢.
(٦) سفر التثنية: إصحاح ٢.
(٧) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٨.

كلمتان فقط «عصيون جابر» ويبدو أن العهد القديم اضطرّ مرغماً لذكرهما لأنّ الغاية من الآية كان إظهار أن سليمان يأتي بالذهب من «أوفير».

لقد كانت عصيون جابر عماد جيش سليمان كلّه بمعناه الاستراتيجي واللوجستي فقد أظهرت الحفريات الأثرية في تل الخليقي غربي ميناء العقبة بقايا لمصانع تكرير النحاس والحديد (معامل أسلحة) أقامها سليمان لتزويد جيشه بحاجته، ولقد أحسن اختيار الموقع فعلاً، حيث كانت الريح الهابّة من الشمال خلال وادي العربة تبلغ قوّتها كي تؤجج النار اللازمة للتكرير والسبك، وكان يؤتى بالنحاس والحديد من مناجم اكتشفت في أطراف وادي العربة، وتعدّ هذه المصانع الأهم قطعاً بالنسبة للعالم القديم(١)، فلماذا أغفل العهد القديم ذكرهما على غير عادته؟!

كان أمام الروح اليهودية خياران، فهي إما أن تتجاهل وجود هذه المصانع وإما أن تذكرها فتسيء إلى مصداقية الادّعاء الإلهي بالأرض الموعودة ثم تضطر معه لكشف الحقائق التاريخية لعهدي سليمان وداوود.

فمن الثابت تاريخياً أن القوة الأساسية لجيش سليمان وداوود قبله كانت من الشرطيين والبلطيين والفلسطنيين على وجه اليقين إضافة إلى العمّال الفينيقيين، ولم يكن هؤلاء يشكّلون عماد جيش داوود وابنه فقط بل أنهم ساعدوه (داوود) على تولي العرش وبأيديهم لأنهم كانوا حرس داوود الخاص!(٢).

وبعودة إلى التاريخ الصحيح نجد، نصوصاً وتصاوير على جدران المعبد الملكي الملحق بضريح الملكة حاتشبوت (١٤٨٢ق.م) في الدير البحري غرب طيبة (الأقصر حالياً) وسجل آخر على واجهة معبد باحة (كهف

---

(١) أولبرايت، ص ٤٤، موسكاني - حضارات.

(٢) جفرز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص ٤٦.

ارتميدس) في محافظة المينا، وأما ترجمة هذين النصين فكانت على الشكل التالي:

«حينما بلغت الملكة مقام ربها (آمون رع) سمعت أذناً بنبوءة من الإله نفسه، لدى العرش العظيم تقول لها، التمسي طريق (سبيل) «بوينة» وتعرفي على مسالك الطرق إلى مدرجات العنتيبو (راتنج عطر من نوع الكندر الفاخر) ولسوف أهدين رجالك على الماء وعلى اليابسة من أجل استيراد العجائب من أرض الله»[1] وببساطة ومن خلال هذا النص تتضح الصورة حول الكيفية التي اعتمدها اليهود وقد عاشوا في مصر حول مسألة الوعد الإلهي والأرض الموعودة أو أرض الله كما تقول حتشبوت وقد استعمل اليهود نفس الوسيلة لاحقاً، «الادّعاء بسماع الرب وهدايته لهم للوصول إلى أرض الله».

ويتابع النصّ: «لقد وهبتك بوينة[2] (وكما يقول اليهود إنّ الرب وهبهم بوينة أو الأرض الموعودة أو أرض الذهب كما سنرى) بتمامها(!!) إلى ما يتاخم أراضي الآلهة(؟!) سيما أرض الله التي لم تطرق، وما كان يبلغها سوى «منوبيك» (سمنتيو) ولأهدينّها على الماء وعلى اليابسة وأفتح لهم المعابر الصعبة المؤدية إلى درجات العنتيبو تلك البقعة المباركة (نفس صيغ الاستعمال اليهودي) من أرض الله(!!) وهي منتجع مسرتي والمقر الذي هيأته كي أمتع نفسي به (كما أورد اليهود عن سكن الرب وسطهم»[3].

من الظاهر (ومن خلال النص) أن فكرة اختيار الإله لشعب ليقيم بينهم ويتصل بهم ويعطيهم أرضه (أرض الله) هي فكرة مصرية كانت متداولة وذات أثر بيّن على الشعوب بما فيها الشعب اليهودي الذي اقتبس هذه الرؤيا ونسبها إلى الرب يهوه كما نسبتها حتشبوت قبله إلى أمون رع.

---

(١) المصادر المصرية القديمة، د. عبد العزيز صالح.

(٢) بوينة أرض الله، نص حنو.

(٣) برستد وكابار، قصة مصر.

قامت حتشبوت ولتحقيق وعد الرب بإرسال بعثة وبرئاسة نحسي حامل أختامها ومعه ادلاء (سمنتيو) إلى بوينة «وأسمت النصوص سكان بوينة بأنهم خبستو أي الخبستيين» والذين ورد اسمهم في نصوص «سبأ وحمير في القرن الثاني للميلاد».

ولقد كان البحر الأحمر ممراً للقوافل، وقامت عليه موانىء بدائية كانت تلجأ إليها السفن للتموين ومن هذه الموانىء:

بوينة أو بومنيت، وهي مصدر رئيسي وسوق للبخور المستعمل في المعابد والرتنجات والصمغ واللبان والكندر والمرّ والأثمد (الكحل الأسود) وكانت مصر والعالم القديم يقصدونها لاستيراد كميات هائلة من هذه العطور تلبية لطلبات المعابد والقصور والجنازات والقرابين وإعداد العقاقير ومواد التحنيط. وبوينة أو تانثر أي أرض الآلهة وردت في نصوص أخرى أنها على الساحل اليمني في القرن السادس والعشرين قبل الميلاد[١]، ، وحددتها مصادر أخرى أنها على السواحل الصومالية كما أن اتجاهاً آخر أظهر وجود مكانين يحملان نفس الاسم خلال القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد والقرن الخامس عشر منه[٢]، وأما موسكاني فأكد أنها مدينة سبأ التي ورد ذكرها في العهد القديم[٣].

ويقول نصّ حنو[٤]: «انه نفذ رغبة الإله الفرعون وأتاه بكل الواردات الموجودة على شاطىء الآلهة»[٥] ويتابع: «انه تاجر مع رؤوساء البادية (حقاودشرة) وأخذ من شواطىء ادبو أرض الإله (تانثر) وعرف الغتيبو الطازج هناك».

---

(١) التكوين البيولوجي، د. صالح.
(٢) زيلرز ـ ويلسون ـ دايفز.
(٣) موسكاني، حضارات ص ١٤٣.
(٤) حنو أحد كبار رجال الفرعون منتوحتب سنفع كارع من ملوك الأسرة الحادية عشر.
(٥) التكوين، د. عبد العزيز صالح.

وتبين أن العنتيبو يكاد ينحصر وجود أفضل أنواعه في مرتفعات ظفار في الجنوب العربي، وبنسبة أقل في الصومال[١].

وإن عدنا لقصة الملاح (القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد) نجد أنها تتحدث عن كائن أسطوري يعيش على جزيرة «كسا» وأنه ملك العنتيبو الموجود في الجزيرة»[٢].

وأما هيرودوت فيقول: «إن الأفاعي تحمي أشجار اللبان في مناطق الجزيرة العربية»!

وفي نصّ ثان نجد: «أن قافلة آمورية من «شو» عبرت فلسطين على ظهور الحمير إلى إقليم الوعل في مصر الوسطى خلال العام السادس من عهد الملك سنوسرت الثاني في حوالي عام ٢٠٠٠ق.م وقد ضمت القافلة سبعة وثلاثين فرداً بين رجال ونساء وأطفال وتقدمهم شيخهم أبشا»[٣] (نلاحظ تقارب الأسماء: شو من شيت وأبشا أو ابي شوما في أصلها السامي).

وقد صدرت جدارية على مقبرة خنوم حتب ظهرت بها تلك القافلة «بلحى مدببة وشعور كثة وأسدلت نساؤهم شعورهن الطويلة على الظهور» وأحضروا معهم للملك الأثمد كهدية.

وفي أصل الكلمة شو التي جاءت منها القافلة نجد أنها مشتقة من اسم «شاحمير شو» أي دمشق باللغة الآشورية[٤]، أو ما معناه بتلك اللغة: «مات حمير شو» أو «مات شاحمير شو» بمعنى بلاد الحمير وهو ما كانت تعرف به دمشق لأنها كانت تستعمل الحمير للنقل والتجارة بحسب نص سلما نصر

(١) التكوين، د. عبد العزيز صالح.
(٢) فيشل، ص ٧٢.
(٣) البرخت، مصر القديمة.
(٤) شبايسر.

الآشوري (٨٥٨ ـ ٨٢٤ق.م) وحرديزاري الثالث (٨١١ ـ ٧٨١ق.م) حيث نجد «ذهبت إلى بلاد الحمير، ومرثي ملك بلاد الحمير حاصرته في دمشق عاصمة مملكته»[١].

ولقد وردت أسماء آمورية وكنعانية من القرن التاسع عشر في برديات عن أهل شو كعبيد ومماليك للمصريين وسمي الرجل منهم «عام» والأنثى عامة[٢]، كذلك ورد اسم كوشو (ذكره العهد القديم باسم كوشان) ودماتو وأميرها إمتح بتشابه مع اسم امارة ادوم[٣] واسمه في الأحافير الآشورية ادماتو.

حتى أن الملك مرنبتاح وفي بردية له قال: «أجرينا الإذن لقبائل الشوسو من ادوم بعبور حصن مرنبتاح في ثكو إلى غدران بيتوم مرنبتاح بغية أن ترد الحياة عليهم وعلى قطعانهم»[٤].

(أليست هي قصة ابرام؟ أو مثيل لها في الأصل الحقيقي؟).

يقول جبانتيلي من القرن الأول الميلادي أن مدينة نيه (تمنع) في الجنوب العربي كانت تستثمر الواردات عبر ميناء أكيلا (باب المندب) وبينها سبعة أنواع من البخور[٥]، وفي تصوير من عهد امنحوتب (١٤٣٦ق.م) نرى سفينتين بسيطتين اعتلاهما رجال يبدو من تكوينهم الظاهر أنهم من مواطني غرب أسيا وقد ظهرت لحاهم الدقيقة(!!) والشعور الطويلة، وبحسب ديفز وسيدربرج فإنّ السفينتين كانتا تستعملان لنقل الأحمال من واردات بوينة في جنوب البحر الأحمر إلى ميناء قرب القصير»[٦].

---

(١) المصادر القديمة لدمشق، د. علي أبو عساف.
(٢) التكوين، د. صالح.
(٣) ميسلر، ص ٢٠.
(٤) انستازي ٤.
(٥) بليني ٤٠.
(٦) طيبة مقبرة رقم ١٤٣.

تبقى مسألة أوفير التي ذكرها العهد القديم وان سليمان جلب منها الذهب إلى عصيون جابر، والتي يعلم الله وحده أين هي، وكيف تفرّد العهد القديم دون غيره بتسميتها، فلا المكتشفات ولا المدوّنات ولا التصاوير أشار لوجود أوفير وفشل معظم العلماء في معرفة أو تحديد مكانها[١]. وجلي أنها ليست سبأ لأنّ العهد القديم كان ذكر ذلك.

ولمحاولة معرفة مكانها نعود إلى العهد القديم والذي يقول: «إنّ سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير أتت بخشب الصندل كثيراً جداً ولم يأت مثله من قبل(؟!)»[٢]. وبهذا النص يكون العهد القديم قد أضاع إمكانية معرفة المكان الحقيقي لأوفير، وعليه فإنّ معظم ما كتبه حوله تاريخياً ليس له أي مستند يثبت مصداقيته.

ومن خلال مراجعة النصوص نجد، أن معظمها حدد «ان بوينة أرض الله» الموعودة، ومكانها إما على ساحل اليمن أو على ساحل الصومال والأول أرجح، فإن حدد اليهود أرض الذهب بأنها بوينة وليس أوفير، فقد سقط الوعد الإلهي عن أرض فلسطين ولذا تمّ التغاضي كليّاً عن المسألة وحتى عن الحديث عن عصيون جابر لأنّ ذلك مدعاة لإظهار ما لا يريد اليهود إظهاره.

إنّ بعض البحاثة وبرأيه الشخصي اعتبر أن هناك خطأ في تحديد التواريخ المثبتة المتداولة[٣]، وصل مع البعض إلى فوارق لستة قرون على الأقل بين التاريخ المدوّن والتاريخ الذي كان عليه في الواقع.

واعتبر ومن منطلق هذه الحجة أو الرأي أن موسى خرج من مصر في

---

(١) حضارات، موسكاني.

(٢) سفر ملوك أول: إصحاح ١٠.

(٣) التوراة بين التوحيد والوثنية، سهيل ديب ص ٦٤.

القرن الثامن قبل الميلاد وليس في القرن الثاني عشر كما ذكر معظم البحاثة، واستدلّ على ذلك بأن لوحات أوغاريت حددت التاريخ (تاريخ اللوحات) أنه في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أيام نقمد الثاني، الذي راسل الملك الحثّي شوبيلو ليوما (١٣٧٥ ـ ١٣٤٠ق.م) وتحدّث عن سقوط أوغاريت ضمن نص وجد في تل العمارنة مرسل من أبي ملكي أمير صور إلى الفرعون أخناتون ويقول فيها:

وأوغاريت مدينة الملك التهمتها النيران
نصف المدينة احترق
ونصفها الآخر لا وجود له[١]

تمّ تحديد تاريخ الرسالة أنه عام ١٣٦٠ق.م لأنّ أوغاريت سقطت قبل أخناتون (١٣٥٨ق.م) وهي تحمل الرقم ١٥١ من مكتشفات تل العمارنة وأورد الحثّيون أن شلمنصر الثالث هاجم صور وكان في عهده أمير اسمه شوبيلو ليوما أشار إليه في وقائعه العسكرية، ولما كان شلمنصر الثالث قد تبوأ العرش عام ٨٥٨ ـ ٨٢٥ق.م فإنّ سقوط صور يكون في القرن التاسع ويتعدل معه التاريخ في السياق نفسه لخروج موسى!

إلاّ أن معظم البحّاثة مع موافقتهم على إمكانية وجود فوارق في الزمن التاريخي، لا يعتبرون أن هذه قد تصل إلى قرون وإنما سنوات قليلة[٢] تصل إلى حدود خمسة عشر عاماً، والنسبة الزمنية هذه متأتية من تطور الأبحاث العلمية والتقنية المتعلقة بالمكتشفات الأثرية وعليه فإنّ اختلاف الحدث التاريخي المدوّن في العهد القديم عن الحدث التاريخي الحقيقي المدوّن والمثبت من خلال الاكتشافات والأثر يدلّ على أنّ اليهود قاموا بعملية تزوير شاملة ومتسعة وأدخلوه في صلب وحول ومع رسالة موسى عليه السلام.

---

(١) ملاحم وأساطير أوغاريت، د. أنيس فريحة.
(٢) عبد اللطيف علي، والبرخت، وموسكاني.

وأشرنا في البدء إلى أنّ العهد القديم أغفل الحديث عن مرحلة تاريخية مدتها أربعماية وثلاثون سنة هي الفاصل الزمني بين حياة يوسف عليه السلام وخروج موسى عليه السلام ويقول العهد القديم: «وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثون سنة»[١].

ويتابع العهد القديم: «إنّ يوسف سكن في مصر مع سبعين نفساً فقط[٢] فيما أن من خرج مع موسى بلغ ستماية ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد ومن صعد معهم من لفيف القوم (الفقراء) مع غنم وبقر ومواشٍ وافرة»[٣].

ولم يحدد عدد هؤلاء اللفيف ولا جنسيتهم أو أسباب خروجهم مع اليهود لأنّ ذلك سوف يظهر حقيقة أن من خرجوا لم يكونوا يهوداً[٤] صرفاً «كان بنو إسرائيل أقل من أمة حتى زمن شاوول، كانوا أخلاطاً من عصابات جامحة»[٥] وإلاّ فكيف أمكن لسبعين نفساً أن تصبح في ظل الادّعاء اليهودي عن سوء معاملة المصريين لهم، ومع ذلك بلغوا ستماية ألف رجل عدا الأولاد؟

لقد بالغ اليهود في ذكر الأعداد التي خرجوا بها من مصر ولكن لا يمكن أن تكون أعدادهم مع من خرج أكثر من مائتي ألف إنسان بما في ذلك أعداد البدو التي التحقت بهم في مناطق كنعان[٦] إذ أنه وبعملية حسابية بسيطة لما يقوله العهد القديم فإنّ أكثر من مليون إنسان كانوا عداد الخارجين من مصر وهو أمرٌ بالغ الصعوبة وحتى بالنسبة للستماية ألف الذين قال العهد القديم أنهم عدد اليهود الخارجين إذ أن مسألة إطعام وقيادة مثل هكذا عدد

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ١٢.
(٢) سفر الخروج: إصحاح ١.
(٣) سفر الخروج: إصحاح ١٢.
(٤) غوستاف لوبون، الموسوعة البريطانية.
(٥) المصدر السابق ص ٣٢.
(٦) الموسوعة البريطانية.

في ذلك الزمن مستحيل، كما وأن العهد القديم تخبط في المسألة مراراً حيث قال إنّ الأسباط التي خرجت مع موسى هي:

سبط رأوبين ستة وأربعون ألف وخمسماية، وسبط شمعون تسعة وخمسون ألف وثلاثماية، وسبط جاد خمسة وأربعون ألف وستماية وخمسون، وسبط يهوذا أربعة وسبعون ألف وستماية، وسبط يساكر أربعة وخمسون ألف وأربعماية، وسبط زبولون سبعة وخمسون ألف وأربعماية، وسبط يوسف أربعون ألف وخمسماية، وسبط منسى اثنان وثلاثون ألف ومايتان، وسبط بنيامين خمسة وثلاثون ألف وأربعماية، وسبط دان اثنان وستون ألف وسبعماية، وسبط أشير واحد وأربعون وخمسماية، وسبط نفتالي ثلاثة وخمسون ألف وأربعماية، وأمّا سبط لاوي فلم يحسب بأمر من الرب دون إيضاح الأسباب»[1].

وأما من قدم إلى مصر منهم «يعقوب وبنيه بكر يعقوب رأوبين وبنيه خنوك وفلو وحصرون وكرمى... وبنو شمعون.... فيكون جميع النفوس ستة وستين وولد ليوسف في مصر ولدان فجميع بيت يعقوب في مصر سبعون(؟! ـ ٦٦+٢=٧٠؟).

وسرعان ما يكشف العهد القديم كذبه حين يقول: إنّ الرب أمر موسى إعداد الجند للقتال.

وبحسب ما أورد العهد القديم فإنّ الخارجين مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وخمسين[2].

ثم عاد وناقض نفسه حين قال في الإصحاح الأول: إنّ الخارجين مع موسى كانوا ستمائة ألف وألف وسبعمائة وثلاثون[3]، وكما رأينا في الجدول

---

(١) سفر العدد: إصحاح ١.
(٢) سفر العدد: إصحاح ١.
(٣) سفر العدد: إصحاح ٢٦.

المرفق لم يكن هناك رقم موحّد داخل العهد القديم بين إصحاح وآخر حول عديد الأسباط الذين خرجوا فكيف يعقل ذلك؟

ولمعرفة الحقيقة نعود إلى التاريخ ونجد:

إنّ رمسيس الثاني (١٢٨٨ق.م) قضى ثلاث سنوات في إخضاع فلسطين[١]، وعاد منها بخليط من الأسارى وكان بينهم يهود، أي قبل خروجهم مع موسى بثمانية وستين عاماً، فكيف تمّت عملية دمجهم بالأسباط الموجودة والمقيمة في مصر؟

ثم إنّ اسم موسى ليس عبرياً بحال فالاسم العبريّ الذي أطلق عليه هو موشيه نقلاً عن الاسم الذي عرف به في مصر، وموسى اسم مصري صرف «م س» كما كانت تكتب حينها لعدم وجود أحرف علّة في المصرية القديمة[٢] على غرار اسم أحمس (اح مس) وتحوتمس (تحوتم مس) وامنم س ورعمس س وغيرهم[٣]، وكلمة موسى تعني بالمصرية الولد الابن م س، بسبب تبنيه من قبل فرعون الذي صك على اسمه نقوداً كتب عليها م س وعيّنه قائداً لجيشه أثناء مهاجمة الحبشة[٤].

وبرأي بعض البحاثة فإنّ ذلك الفرعون لم يكن إلاّ أخناتون وعنه نقل اليهود معظم ما أوردوه حول ديانتهم.

فأخناتون دعي حين توليه العرش باسم أمينوفيس الرابع (نسبة للإله أمون) غير أنه سرعان ما غيّر اسمه إلى أخناتون والاسم مشتق من الإله آتون، وتزوج من نفرتيتي وسمى ابنه توت عنخ آتون ثم جرى تعديل الاسم بعد وفاته إلى توت عنخ آمون[٥].

---

(١) ديورانت، قصة الحضارة.
(٢) سيريل الدريد، ص ٩٣.
(٣) برستيد، ص ٣٨.
(٤) جوسيغوس، ص ١٦٨.
(٥) أخناتون، ڤاليكوفسكي.

كان أخناتون متصوّفاً شاعراً يؤمن بإله واحد، وفشل بإقناع شعبه بنظرته الدينية هذه بعدما قام كهنة الآلهة بمحاربته، كذلك فشل بإقناع الدول الأخرى الخاضعة لمصر في ذلك الوقت (سوريا، فلسطين)[1] وكان أن خرجت تلك الدول من تحت سيطرت الحكم المصري تباعاً «قل ما يلي للملك أخناتون، كل البلاد تسير نحو الخراب» (من رسالة عبد خيبا ملك أورشليم لأخناتون)[2].

لم يلبث حكم أخناتون أن تداعى نتيجة المؤامرات التي قادها الكهنة وقواد الجيش وراحوا يطاردون بقايا أنصاره وفلول جيشه التي كان على رأسها موسى باتجاه فلسطين وسوريا بعد تولي العرش فرعون جديد، ويؤكّد المؤرخون أمثال أوزيبوس وفلافيوس جوزيبوس أنها نفس المرحلة التي خرج بها العبرانيون من مصر مع موسى[3]. وهو ما يفسّر وجود لفيف من الخارجين مع اليهود (بحسب العهد القديم) وبالعكس أي أن يكون اليهود هم لفيف ثانوي من الهاربين، يدلّ على ذلك كثرة التقلب والشكوى منهم على موسى وتقلب الولاء الديني مراراً. وكما العادة فإنّ الروح اليهودية قلبت الحقائق وزيفت الحدث إلاّ أنها سقطت عند إظهار عديد الأسباط الهاربة!

ويقول مصدر يهودي رسمي[4]: «إنّ غزو فلسطين بدأ عام ١٢٢٠ق.م على شكل هجمات توقفت مراراً في فترات لاحقة» وذلك اعتراف مجزوم بالحقيقة القائلة إنّ الادعاء اليهودي عن معارك واسعة مع يوشع بن نون وغيره ليست إلاّ كذباً، مثله مثل الادّعاء الإلهي للرب يهوه حول الأرض المقدسة الموعودة.

---

(١) قصة مصر، آرثر ويفال.
(٢) جيمس برستيد، ص ٣٢٢.
(٣) التوراة، سهيل ديب.
(٤) الموسوعة اليهودية، ص ٣٥٤.

فمن خلال نصوص تل العمارنة نجد أنّ أخناتون «كره المال الحرام للكهنة والمراسم الوثنية المترفة، معلناً أن ليس للعالم إلاّ إله واحد هو آتون[1]، وان الإله الحق لا صورة له ولذا حرّم على الفنانين تصويره وهذا الأمر اقتبسه عنه اليهود (لا تأخذ لك تمثالاً ولا صورة لا من السماء ولا من الأرض - خروج: ٢٠).

ومن قصيدة لأخناتون وجدت بين النصوص (تل العمارنة) نجد:

ظهورك في أفق السماء الجميل
يا آتون رمز الحياة
العالم في ظلمة كأنها الموت
تخرج الأشبال من أوكارها
عندما تشرق في الأفق وينبلج الفجر
يخرج الناس في العالم إلى أعمالهم جميعاً
إذ تملأ البلدان بضيائك
إن كنت بعيداً فإنّ نورك يبقى على الأرض
أو كنت مرتفعاً فإنّ آثار أقدامك هي النهار
وعندما ترسل نورك
تحتفل مصر بعيدها
وقد استفاقت ووقفت على قدميها
يغسل الناس أقدامهم ويلبسون ثيابهم
وبأياديهم المرتفعة يمجدون فجرك
تفرح المواشي وتزدهر الأشجار والمزروعات
وتطير العصافير من مستنقعاتها وترتفع أجنحتها تمجيداً لك
ترقص الخرفان على قوائمها

---

(١) قصة الحضارة، ديورانت.

وتنتفض المخلوقات المجنحة كلها
وهي تحيا عندما تسطع أشعتك عليها
السفن تنزل وتصعد على النهر الكبير
«ما أعظم أعمالك يا رب
صنعت الأرض حسب مشيئتك
وملأتها بكل ما فيها
أنت خلقت الجنين في رحم المرأة
أنت أعطيت الحياة للأولاد من بطون أمهاتهم
وسهرت عليهم كي لا يبكوا»
أنت المرضعة حتى في البطون
عندما يصرخ الطير وهو في بيضته
تعطيه أنت الروح ليبقى على قيد الحياة
هوذا يخرج من البيضة يصرخ بكل قواه
«عديدة هي أعمالك يا رب
وعظيمة هي أفعالك يا سيد الأزل السرمدي
أنت الحياة نفسها وفيك تحيا الحياة»
أنت صنعت الفصول
«وخلقت السموات لكي تصعد إليها»
وتظهر عند الفجر يملؤك النور ثم تعود إليها
خلقت نهراً في السماء لكي يتساقط على البشر
«يحدث أنهاراً في أعالي الجبال يسقي المروج»
النهر السماوي للجميع للماشية وكل البلدان
«الجميع بين يديك كما خلقتهم»
تستفيق فيستفيقون
ويموتون عندما تغيب

ولأجلك يعيش البشر[1].

هذا هو نص نشيد أخناتون وبالكامل أردناه وبحرفيته للدلالة على الكذب والإدّعاء والسرقة والتزوير اليهودي عبر مقارنة بين نشيد أخناتون ومزامير داوود ١٠٣ والتي نصّها الشيخ إبراهيم اليازجي محاولاً ما أمكن له تهذيبها حتى وصل إلى النص التالي (مع إظهار التقارب بوضع هلالين):

أيها الرب إلهي
لقد عظمت جداً جلالاً وبهاء لبست
أنت الملتحف بالنور كرداء الباسط السماء كسجف
«المسقّف بالمياه علالية الجاعل السحاب مركبة له
السائر على أجنحة الريح»
كسوتها الغمر لباساً
«على الجبال تقف المياه(!!)»
«أنت مفجر العيون في الشعاب
فتسيح بين الجبال»
«تسقي جميع وحوش الصحراء» وبها تطفي الفراء ظمأها
«أنت المنبت كلأ البهائم» وخضراً لخدمة البشر
لإخراج خبز من الأرض
«هناك تعشش العصافير» واللقلق في بيت السرو
«صنع القمر للأوقات والشمس عرفت غروبها»
«تجعل ظلمة فيكون ليل» وفيه تدب جميع وحوش الغاب
«تشرق الشمس فتنحاز» وفي مأويها تربض
«يخرج الإنسان إلى عمله» وإلى خدمته حتى المساء
«ما أعظم أعمالك يا رب»

---

(١) برستد، ويفال.

«صنعت جميعها بالحكمة»
«فامتلأ الأرض من مقتناك»
«هذا البحر العظيم الواسع الأطراف»
هناك دبابات لا عدد لها حيوانات صغار مع كبار
الجميع يرجونك لترزقهم كلهم في أدانه
ترزقهم فيلتقطون تبسط يدك فيشبعون خيراً
تحجب وجهك فيفزعون
«ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجه الأرض!»

وإن قمنا بعزل أدبيات اليازجي المدخلة في النص لتهذيبها نجد أن مزمور داوود ليس إلاّ سرقة كاملة لنشيد أخناتون والذي حفظه اليهود في مصر ثم نسبوه إلى داوود بعد ذلك بمئات السنين.

ومن قبل موسى كانت سيناء مقرّاً للهاربين[1] وممراً ليس لليهود ولكن للشعوب الأخرى التي كانت تفر من بلادها لأكثر من سبب كما رأينا في قصة سنوحي، عمليات فردية استقرّ بعضها في مجاهل سيناء فيما أكمل البعض الآخر في اتجاهات متعددة.

كذلك كان الخروج مع موسى وبأحمال كاملة وأنعام، أي خروج الواثق وليس الهارب أو المنفي، لأنّ من يحمل معه أنعاماً كثيرة بحسب ما يقول العهد القديم لا يكون هارباً والأمر واضح إذ أن الهارب يترك خلفه أثقاله كي يشتد عدوه فكيف وهو يهرب ومعه ماشية ترعى الهوينا؟ وما الاصطلاحات التي استعملها اليهود (خروج، نفي، سبي، شتات) إلاّ صوراً مركبة أرادوا من خلالها إظهارهم مظهر الضعيف المسحوق المظلوم ولذلك «فرّوا من مصر» ثم أدخلوا هذه التعابير في مصطلحاتهم الدينية كذباً[2] وبنوا حولها طقوساً عبادية.

كان بعض اليهود في مصر عبيداً، وكان الكثير منهم تجاراً وصنّاعاً ولذا

---

(١) نشوء الأمة العربية، عفيف البزري.
(٢) تاريخ المسألة اليهودية، نصر شمالي.

حين خروجهم بدت أحمالهم ثقيلة وسلبوا المصريين خيراتهم وأموالهم وهي دليل على عدم صحة ادّعائهم بأنّ الظلم لحق بهم في مصر، بل ان رؤيا الكسب وامتلاك أرض الله كما كان شائعاً حينها في مصر كان الهدف ثم أتت قصة أخناتون وما تفاعل عنها من تولي فرعون جديد للعرش وما يعقب ذلك من مؤيدين للعصر السابق، ان حمل اليهود ما يملكونه ومضوا مدّعين أن الرب وعدهم بأرض اللبن والعسل كما وعد حتشبوت، من هنا يتضح أن إغفال العهد القديم لما جرى في الفترة الزمنية الفاصلة بين يوسف وموسى كان عن قصد وخوفاً من أن تظهر الحقيقة بعدم تعرّض اليهود للأذى وبشكل مباشر ومقصود دون غيرهم من سكان مصر في ذلك الحين، وبالتالي فإنّ مصداقية الوعد الإلهي سوف تسقط أيضاً.

لقد قام أخناتون بثورة توحيدية تركت بصماتها على عامة الشعب (على غرار كل الثورات) وبينهم اليهود الذين كانوا يعيشون في مصر وحملوها معهم إلى سيناء وهناك «تآلفوا وتوحّدوا مع من سبقهم ومع يهود آخرين من بقايا البدو العبرانيين»[1] وأدّى ذلك إلى تمازج الرؤى الدينية مع بعضهم البعض فاختلطت ديانة أخناتون والديانات الأخرى ثم أتت تعاليم موسى ليمتزج ذلك كله في الدين العبري، وبهذا يمكن فهم كيفية قيام اليهود وحتى في زمن موسى بعبادة العجل مرة، وآلهة المؤابين أخرى[2] وعبدوا بعل فغور أيضاً وخانوا في الحرام[3]، وعبدو البعليم[4]، وعجلون[5] والبعليم مجدداً في زمن جدعون[6] ثم عشتروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة مؤاب وآلهة بني

---

(١) الموسوعة البريطانية.
(٢) سفر العدد: إصحاح ٢٥.
(٣) سفر يشوع: إصحاح ٧.
(٤) سفر قضاة: إصحاح ٢.
(٥) سفر قضاة: إصحاح ٣.
(٦) سفر قضاة: إصحاح ٨.

عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا إلههم يهوه[١] وفي زمن منوح[٢]، وصموئيل[٣]، وسليمان نفسه والذي بحسب العهد القديم «عبد عشتروت وملكوم وكموش ومولل وهي آلهة كنعانية وآرامية»[٤] ثم عادوا لعبادة العجل في زمن يربعام، وإيزابيل[٥] وزمن آخاب[٦]، وأحاز الذي في زمنه عادوا لعبادة الأصنام[٧] ثم عبدوا النار وقدموا أبناءهم أضاحي لها[٨]، وفي حكم يهورام واخزيا وامصيا أقاموا لهم آلهة[٩].

وكان أي إله يعجبهم يتحوّل تلقائياً إلى إله معبود لديهم وهكذا ففي زمن عزيا ويوثام واحاز عادوا لعبادة النار[١٠]، وفي زمن أخاذ عبدوا آلهة دمشق وأقاموا لها مذابح في أورشليم[١١] وإبان عهد منسى وآمون أيضاً وتقول إحدى الصلوات اليهودية[١٢]:

«شماع إسرائيل ادوناي ايلوهينوا دوناي احود» أي «إسمع يا إسرائيل إن إلهنا ادوناي هو الإله الوحيد» وهذه الصلاة لاتزال تتلى حتى أيامنا، أما ادوناي فليس إلاّ إله المصريين آتون وعند لفظه يصبح آدون أي ادوناي بالعبرية[١٣] فمن

---

(١) سفر قضاة: إصحاح ١٠.
(٢) سفر قضاة: إصحاح ١٣.
(٣) سفر صموئيل: إصحاح ٧.
(٤) سفر ملوك أول: إصحاح ١١.
(٥) سفر ملوك أول: إصحاح ١٨.
(٦) سفر ملوك ثاني: إصحاح ١٠.
(٧) سفر ملوك ثاني: إصحاح ١٧.
(٨) سفر ملوك ثاني: إصحاح ٢.
(٩) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٢٥.
(١٠) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٢٨.
(١١) سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٢٨.
(١٢) سفر التثنية: إصحاح ٦.
(١٣) فرويد، ص ٣٥.

أين أتى اليهود بالاسم إن لم يكن من عبادتهم له في مصر؟! ثم إدخاله في صلب رسالة الرب يهوه وعلى لسان موسى؟!

وقد يُظن أنّ اليهود تركوا عبادة الآلهة في أيامنا هذه ولكن الحقيقة أنهم لايزالون يمارسون عبادة الإلهتين ليليت والسابات[١] وهاتان من الآلهة النسوية عندهم بقيتا من ضمن آلهات أخرى هنّ:

الإلهة عشيرة أو اللاة واللاتو بحسب تواريخ أوغاريت في راس الشمرا[٢] وكذلك الإلهة عشتروت أناة واشتار (نجمة الصبح أو عزى)[٣] واناة ومناة وذكرهما في العهد القديم فمن الآلهة اليهودية التي عبدت حتى عهد ملك يوشيا عام ٦٢١ قبل الميلاد!

والكروبيم المنحوتة تحت صفة الملائكة لاتزال تعبد حتى اليوم ويتم تقديس الشيخنة أي مسكن الله وماتروبنت أي الشفيعة[٤].

وأمّا الإلهة سابات التي لاتزال تعبد فتكتسب طابعاً دينياً جنسياً إذ تقام لها صلاة قبل المجامعة بين الرجل والمرأة عند منتصف ليل الجمعة السبت بحسب نص التلمود وتعاليمه[٥]، وتقول تلك الصلاة:

ما أحلى رقادك أيتها الملكة السابات
فلنسرع نحوك، تعالي، أيتها العروس المختارة[٦].

يقول الدكتور باتاي انه: «بعد القرن التاسع قبل الميلاد بقيت الآلهة كما هي في المعتقدات اليهودية ولم تدخل آلهة غريبة!».

---

(١) آلهة العبريين، رافئيل بتاي.
(٢) المصدر السابق.
(٣) تاريخ العرب، د. فيليب حتي ص ٢٢٢.
(٤) باتاي، ص ٢٢٢.
(٥) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الدين خان.
(٦) رافائيل باتاي، ص ٢٤٠.

وأما جون دريدن فيقول: «شعب الله المدلل، يسهل إغواؤه، ولا ملك يستطيع أن يحكمه أو رب يستطيع أن يرضيه»!

ومن التزاوير التاريخية قصة شمشون والتي تقبلتها العامة كحدث حقيقي وصادق مع أنها ليست إلاّ أسطورة كغيرها من الأساطير وان نسجت فصولها حول شخص وجد في زمن معين.

يقول العهد القديم: «إنّ شمشون قتل بلحى حمار ألف فلسطيني» وعندما دمّر المعبد على نفسه وأعدائه كان على سطح المعبد فقط «ثلاثة آلاف رجل من الفلسطينيين»[1] فإن عددنا من كان في الداخل أيضاً لوصلنا إلى رقم يقارب العشرة آلاف قتيل كانوا موجودين في المعبد عندما دمّره شمشون. وأي عاقل لا يسأل عن هذا المعبد الذي يحمل سطحه ثلاثة آلاف رجل مما هو مصنوع يا ترى؟ وكيف أنّ شمشون وبلحى حمار قتل ألف فلسطيني مع أن العهد القديم لم يقل ما إذا كان أولئك القتلى من الفلسطينيين الألف قد وقفوا أمام شمشون صفاً واحداً فراح يقتل بلحى الحمار ويعدّ!

إنّ مسألة إظهار زيف وكذب هذه الأسطورة بسيط إذ كيف يعقل أن تحصل مأثرة شمشون هذا ولا يرد لها ذكر في أي مكتشف أثري اللهم باستثناء ما يتناقله الناس جيلاً عن جيل كما يتناولون مئات الأساطير الأخرى.

لقد أُحدث التزوير وأُعطي صفة المصداقية عبر وضعه في العهد القديم ولأنّ أي تهجم على هذا التزوير سوف يعد تهجماً على الديانة اليهودية لذا أحجم الكثيرون، حتى أن العهد القديم نفسه وفي أحايين كثيرة ترك في إصحاحاته قصصاً عن موضوع واحد، متضاربة ومختلفة عن بعضها البعض ومن ذلك قصة مقتل شاوول، ويقول في قصتين حول الموضوع وبإصحاحين في سفر واحد ما فحواه:

---

(١) سفر قضاة: إصحاح ١٦.

«وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جيل جلبوع، فشد الفلسطينيون وراء شاوول وبنيه وضرب الفلسطينيون يوناثان وابينا داب وملكيشوع أبناء شاوول (قتلوهما) واشتدّت الحرب على شاوول فأصابه الرماة رجال القسي فانجرح جداً من الرماة، فقال شاوول لحامل سلاحه استلّ سيفك وأطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنونني ويقبحونني(!!) فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً، فأخذ شاوول السيف وسقط عليه(!!) ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاوول سقط هو أيضاً على سيفه ومات وفي الغد جاء الفلسطينيون ليعرّوا القتلى فوجدوا شاوول وبنيه الثلاثة ساقطين في جيل جلبوع فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وسمّروا جسده على سور بيت شان».

أظهرت القصة الأولى كيف فضل شاوول الانتحار على الاستسلام لإعدائه كما تعوّدت الروح اليهودية ترويجه، غير أن القصة الثانية المروية في إصحاح آخر جاءت على الشكل التالي:

«وكان بعد موت شاوول ورجوع داوود من مضاربة العمالقة أن داوود أقام في صقلغ يومين، وفي اليوم الثالث إذا برجل أتى من المحلة (محلة اليهود) من عند شاوول وثيابه ممزقة(!!) وعلى رأسه تراب(!!) فلما جاء إلى داوود خرّ إلى الأرض وسجد(!!) فقال له داوود من أين أتيت فقال له من محلة إسرائيل نجوت (أي أنه إسرائيلي) فقال له داوود كيف كان الأمر... أخبرني... فقال الرجل إن الشعب (اليهودي) هرب من القتال وسقط كثيرون من الشعب وماتوا ومات شاوول وابنه أيضاً، فقال داوود للغلام (رجل في أول الحديث) الذي أخبره كيف عرفت أنه قد مات شاوول ويوناثان ابنه، فقال الغلام الذي أخبره: «اتفق(!؟) أني كنت في جيل جلبوع، وإذا شاوول يتوكأ على رمحه وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه(!؟) فالتفت إلى ورائه فرآني ودعاني فقلت ها أنذا فقال لي من أنت فقلت له عماليقي أنا (أي

فلسطيني مع أنه ذكر في الحديث أنه إسرائيلي) فقال لي قف عليّ واقتلني لأنه قد اعتراني الدوار لأنّ كل نفسي بعد فيّ، فوقفت عليه وقتلته... فأمسك داوود ثيابه ومزقها... ثم قال داوود لغلام الذي أخبره من أين أتيت... فقال أنا رجل غريب (تارة إسرائيلي وطوراً عماليقي ثم غريب) فقال له داوود كيف لم تخف أن تمدّ يدك لتهلك مسيح الرب(!!) فضربه فمات!

أي الرواتين صادقة وأيّهما كاذبة أم أن كلتيهما مزوّرتان لا تمتان إلى الحقيقة بصلة، ففي القصة الأولى انتحر شاوول وانتهى الأمر، وأما القصة الثانية ففيها أكثر من سؤال، مثال ماذا كان يفعل الرجل الذي قتل شاوول في المعركة الدائرة هل كان متفرجاً؟ ثم لماذا بعد قتله لشاوول جاء إلى داوود وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب ليبلغ داوود أنه هو الذي قتل شاوول فهل كان يريد أجراً، وكيف تبدلت جنسيته من إسرائيلي إلى عماليقي فجأة؟ والسؤال الأهم لماذا ترك النصين في نفس السفر رغم ما بهما من خلافات عميقة حول ما حدث؟ من الأرجح أن لدى الروح اليهودية أكثر من هدف لذلك منها أن الروح تحاول في النص الأول تضحية شاوول بنفسه على الاستسلام لعدوّه كفعل يحتذى.

في النص الثاني أظهرت أن الفلسطينيين يقتلون حتى الجرحى من اليهود وأن اليهودي لا يقتل يهودياً وكذلك وهو الأهم إظهار مبدأ الانتقام اليهودي من قتلة ملكهم! حتى أن داوود بارك من استعاد جثة شاوول لدفنها[1] رغم عدائه ومحاربته لشاوول.

غير أن هذا التزوير والتزييف سرعان ما يظهر، فقد أقدم داوود نفسه على صلب أو ساعد بصلب سبعة أبناء لشاوول[2].

ونحن لو حاولنا إظهار التزوير التاريخي في العهد القديم لكان حرياً بنا

---

(١) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٢.

(٢) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٢١.

نقض كامل اسفاراته وإصحاحاته ونكتفي بما مرّ وببعض الأمثلة للدلالة ومنها:

- قصة رحاب الزانية في سفر يشوع إصحاح ٢.
- قصة ابنة يفتاح في سفر القضاة ١١.
- مسألة انغلاق نهر الأردن ليشوع كي يعبر عليه ويقتل وينهب ولم يرد ذكر لهذه الحادثة في أي من الإصحاحات الأخرى.
- الخلاف حول مكان قيام موسى بتبليغ رسالته بين سفر الخروج إصحاح ١ وسفر التثنية إصحاح ١.
- الخلاف حول مسألة قتل الآموريين في سفر التثنية.
- مقتل جليات، قصتان مختلفتان في سفر صموئيل الثاني إصحاح ٢، وسفر صموئيل الأول إصحاح ١٧.
- حول قضية المؤابيين والعمونيين الواردة في سفر نحميا إصحاح ١٣ وعدم وجودها في إصحاحات أخرى.
- حول قصة إحراق دانيال ورفاقه الواردة في سفر حزقيال إصحاح ٣. دون غيره من الأسفار.
- رسالة نبوخذنصر في سفر حزقيال ٣ دون غيره من الإصحاحات.
- عودة موسى من مدينة وعائلته مختلفة ومتناقضة بين سفر الخروج إصحاح ٤، والخروج إصحاح ١٨.
- قيام ملاخي بنقض تعاليم التوراة الواردة في الأسفار الأخرى (سفر ملاخي).
- قصة لوط في سفر القضاة ١٩.
- تابوت العهد وقصة نقله بروايات ثلاث مختلفة في صموئيل الأول إصحاح٤، وصموئيل الثاني إصحاح ٥، واخبار الأيام الأول إصحاح ١٣.

ـ لقاء داوود وشاوول روايتان متناقضتان في سفر صموئيل الأول إصحاح ١٦ ونفس السفر الإصحاح ١٧ .

ـ مسألة إحصاء إسرائيل بأمر من الله في سفر صموئيل الثاني إصحاح ٢٤، وأنها ليست من الله ولكن من الشيطان في اخبار الأيام الأول إصحاح ٢١ .

ثم إنّ مسألة الرقم ٧ وأن الله استراح في اليوم السابع إن هي إلاّ سرقة بيّنة من النظم اليونانية كما مسألة اليوبيل أي الاحتفال بالسنة الخمسين، والأمر ليس إلاّ نظام قديم كان المزارعون وبعد كل سبع سنين يعمدون لإراحة الأرض سنة ويسمونها سبتاً، وبعد كل سبع سنوات متكررة (٧×٧) تكون السنة يوبيلاً لإراحة الأرض وأعدادها كما أشرنا[١] .

ومن الأسماء التي مرّت في التزوير اليهودي اسم ابيمالك الفلسطيني والذي ذكر أن إبراهيم عاش على أرضه، ثم ذكر في العهد القديم أنه كان ملكاً على مصر وفي زمن إبراهيم أيضاً، كذلك اسم ملكي صادق والذي أورده العهد القديم تارة على أنه كاهن (تكوين إصحاح ١٨) وتارة على أنه ملاك (مزمور ١٠٩) ثم انه ملك (بولس ٧) وأحياناً لمجرد الاصطلاح أنه ملك صادق[٢]!

---

(١) درايفر، ص ٥٧.

(٢) الموسوعة اليهودية ١٢٨٨.

الاختيار الإلهي

لم يكن التزوير الديني أو التزوير التاريخي إلاّ مقدمة للغاية الأهم في مبدأ الوجود اليهودي ألا وهي مسألة الاختيار الإلهي، فالتزويران مهّدا الطريق أمام الروح اليهودية لتضع أسس نظام البقاء والاستمرارية لليهود كأمه ومن الطبيعي أنها أدخلت الاختيار الإلهي في نفس النسق الذي اعتمدته مع الدين والتاريخ وعليه فإنّ الاختيار الإلهي لم يكن إلاّ كذبة كبيرة خلق لها التزوير الأجواء الملائمة للانتشار والاتساع ومن ثم الاستقرار أقلّه داخل الذات اليهودية.

وتزعم الروح اليهودية أنه وخلال الأجيال المتعاقبة بقي الصُلب اليهودي والدم نقيين دون تلوثه بدماء وأنساب الشعوب الأخرى، واستعملت لتبيين ذلك أمور لا يمكن بحال أن تنسب إلى ربٍّ يعبد، وأما مع الرب يهوه «فالدعارة والزنى إن بين الأخ وأخته أو الأم، أو اللواط وغيره من البغاء تكريم[١] وقداسة لفاعلها الذي يحاول استعادة ما لليهود بتلك الوسائل على نسق نهب الشعوب وقتلها دون رحمة[٢].

ويقول سفر إسرائيل: «اقتنص حياة الكليغوت واقتله فترضي بذلك الله

---

(١) جون مارلو، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق.

كمن يقدم له البخور»[1] فيما أن ايالكوت سميوني يقول: «كل من يسفك دم شخص غير تقي (أي غير يهودي) عمله مقبول عند الرب كمن يقدم له قرباناً»[2]، وهذا هو نسق التعاليم اليهودية.

مررنا سابقاً بأنّ الرب غضب من حام واختار عليه أخويه لأنه رأى عورة أبيه، ولما كان الاختيار الإلهي في البدء هنا قد وقع على شخصين سام ويافث فإنّ الروح راحت تعمل على فصل اختيار يافث وأبعاده تحت سمة الحفاظ على نقاوة الدم والرفعة اليهوديتين «وقال إبراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك» إلاّ أن الرب ولسبب ما رفض ذلك مع أن اسماعيل بكورية إبراهيم وله بحسب الدين اليهودي الأفضلية، وقال الله: «بل سارة امرأتك تلد ابناً تدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه أبدياً لنسله من بعده».

فإن عدنا إلى مسألة الاختيار هنا علمنا سبب رفض الرب لاسماعيل لأنّ اليهودية لاحقاً ظهرت من صلب إسحاق وعليه كان على الروح اليهودية لتبرير الموضوع أن تجعل الرب من يرفض الاختيار الإلهي لاسماعيل ونقل هذا الاختيار لإسحاق ومن بعده لليهود «عهدي أقيمه مع إسحاق في هذا الوقت في السنة الآتية».

ونتابع قراءة الرواية من العهد القديم «وكان ابرام وسارة شيخين... وافتقد الرب سارة فولدت إسحاق»[3]. ثم كانت غربة ابرام في الأرض[4] وذهب إلى ربه وأورث ابنه إسحاق، وكانت هذه المرحلة الأولى.

في المرحلة الثانية كان لإسحاق ولدان البكر واسمه عيسو والأصغر يعقوب، ولما كان اليهود من نسل يعقوب فإنّه كان على الروح اليهودية إيجاد

---

(١) الأب برانايتس، ص ١٤٦.
(٢) ايالكوت سيموني، ص ٧٧٢.
(٣) سفر التكوين: إصحاح ٢٠.
(٤) سفر التكوين: إصحاح ٢٦.

الصيغة لسبب وضع مسألة الاختيار الإلهي والوعد مع يعقوب وليس مع عيسو، ويقول العهد القديم عن ذلك رواية تكاد تكون الفن عينه في الكذب والتزوير:

(وكانت رفقة هي أم يعقوب) وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا ابنه البكر عيسو وأمره أن يخرج إلى البرية كي يتصيد له ويطعمه ومن ثم يباركه إسحاق ويجعله خليفة له.

«كانت رفقة تسمع إذ تكلم إسحاق مع ابنه عيسو (حول الموضوع).. فدعت يعقوب ابنها ونصحته أن يتقدم إلى والده مكان أخيه عيسو فقال يعقوب هوذا أخي عيسو رجل أشعر وأنا أملس (أي صغير السن) (ويخاف أن يكتشف والده اللعبة) فقالت أمه «إسمع لقولي واذهب» فذهب يعقوب إلى أبيه مدّعياً أنه عيسو وكان أن مرّت الحيلة على إسحاق فبارك يعقوب قائلاً: «فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض، ليستعبد لك شعوباً وتسجد لك قبائل (وهذا باب القصيد) وليكن لاعنوك ملعونين ثم جعله خليفته.

عندما عاد عيسو اكتشف الحيلة وأبلغ أباه، فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً(؟! ـ لماذا؟) ولكنه رفض أن يبارك عيسو ويجعله خليفة له رغم معرفته بحيلة يعقوب قائلاً: «جاء أخوك بمكر(!!) وأخذ بركتك»، فبكى عيسو ورفع صوته قائلاً: «باركني يا أبي أنا أيضاً» وكان ردّ إسحاق لعنة عليه دون أن يوضح العهد القديم السبب قال إسحاق: «هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق. بسيفك تعيش ولأخيك تستعبد».

هذه الرواية التي تدعو للاستهزاء حول التفرد اليهودي بالاختيار الإلهي والاحتيال للحصول عليها لجأت إليها الروح اليهودية في أكثر من مكان لحصرها فقط في الصلب الذي تريده وتتبع له فقد أورد العهد القديم «ان داوود شاخ تقدم في الأيام، فقام ابنه أدونيا قائلاً أنا أملك فغضب داوود وكان مع ادونيا (في الموقف) يوآب ابن صرورية وابياتار الكاهن، وأما صادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياداع وناثان النبي وشمعي وريعي فلم يكونوا مع ادونيا بل مع سليمان فاتفقوا مع أم سليمان كي يحتالوا على داوود، ودخلت عليه أم

سليمان تتذلل ثم تبعها الكهنة قائلين لداوود أنه حلف مرة أن يكون الملك لسليمان (ولأن داوود كبير السن) (فصدق) وعمد إلى تولية سليمان بعده على العرش فعمد سليمان سريعاً إلى قتل أخيه ادونيا بتحريض من أمه»[1].

ثم تكتمل صورة اتجاه الاختيار الإلهي ضمن صلب يعقوب وحده فيقول العهد القديم: «إنّ يعقوب أراد أن يتزوج واختار ابنة خاله لابان وتدعى راحيل وأحبها يعقوب فطلب الزواج بها لقاء خدمة خاله سبع سنوات... وليلة العرس أقدم الخال على إبدال العروس بأختها (البشعة) واسمها ليا فدخل عليها يعقوب معتقداً أنها راحيل، ولم يكتشف ذلك ليلة عرسه(؟!) فتزوج من ليا، وعند الصباح وجد أن التي بجانبه هي ليا وليست راحيل... وإذ عاتب خاله قال لابان أزوّجك أختها راحيل أيضاً إن خدمت لي سبع سنوات جديدة، وهكذا كان فتزوج يعقوب الأختين، فكانت راحيل جدة اليهود وليا جدة الأسباط الفرعية دان وجاد وراوبين ويساكر وزبولون»[2].

وبين قول إبراهيم عن امرأته أنها أخته من أبيه وليس من أمه[3]، وزنى يهوذا مع زوجة ابنه[4]، وزنى امنون بن داوود مع شقيقته ثامار[5]، وزنى رأوبين مع زوجة أبيه بلهة[6]، وزواج العم عثنئيل بن قناز من ابنة أخيه كالب المدعوة عكسه[7] تمّ تحديد الاختيار الإلهي بصلب يعقوب وحده في المرحلة الأولى، ونجحت الروح اليهودية بخلق هذه الصيغة إلاّ أنها فشلت في إبقاء الدم اليهودي نقياً رغم ادّعاءاتها ومحاولاتها المتكررة إثبات هذا النقاء.

---

(١) سفر ملوك أول: إصحاح ٢.
(٢) سفر التكوين: إصحاح ٣٠.
(٣) سفر التكوين: إصحاح ٢٠.
(٤) سفر التكوين: إصحاح ٣٨.
(٥) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ١٣.
(٦) سفر التكوين: إصحاح ٣٥.
(٧) سفر قضاة: إصحاح ١.

فمن الثابت تاريخياً أن اليهود كانوا أكثر عرضة لاختلاط الدم، ويعترف العهد القديم نفسه بشطحات تصب في خانة اختلاط الدم حين يقول وفي أكثر من إصحاح: «فسكن بنو إسرائيل وسط الكنعانيين والحثّيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم»(١) فأين هو نقاء الدم اليهودي؟

ويتابع «أقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب... وجاء رجل وقدم إلى أخوته «المديانية» أمام موسى»(٢).

ويستمر العهد القديم معترفاً «في تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء شدوديات وعمونيات ومؤابيات ونصف كلام بينهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي»(٣).

ونشير هنا إلى أن هذا الكلام في العهد القديم يشير إلى مراحل تاريخية وليس إلى فترة معينة ويضيف «تقدم إليّ الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأرض من الكنعانيين والحثّيين والفرزيين.... والمصريين والآموريين لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض»(٤).

فالزرع المقدس (الدم اليهودي والأصل) اختلطا مع شعوب الأرض دماً وأصلاباً فأين هو نقاء الدم اليهودي إذاً، وكيف أمكن لليهود تنظيف الزرع المقدس والدم من نجاسة الشعوب الأخرى وما هي الوسيلة التي استعملتها الروح بعد ذلك لتتحدث عن رفعة ونقاء اليهودي؟!

إنّ الشكل البطريركي للعائلة اليهودية متماثل تماماً لعوائل الشعوب

---

(١) سفر قضاة: إصحاح ٣.
(٢) سفر العدد: إصحاح ٢٥.
(٣) سفر نحميا: إصحاح ١٣.
(٤) سفر عزرا: إصحاح ٩.

الأخرى[1]، ولم يكن هناك أي تطور تاريخي لهذا الشكل باستثناء حالات العلاقات الجنسية الغير منظمة في الأزمنة القديمة والتي فرضتها الأحداث العسكرية ومسائل النصر والهزيمة للشعوب، ولقد أقدم يوهان يعقوب باهوفن (١٨١٥ ـ ١٨٨٧)[2] على تقويض علم الجذور اليهودي المستند إلى الأسفار الخمسة ونصوص العهد القديم ومدارس التلمود حول أصل ونقاء العائلة اليهودية والذي استمرّ الاعتراف به منذ تدوين التوراة وحتى منتصف القرن التاسع عشر.

إنّ مسألة التمييز العرقي والديني ونقاء الدم اليهودي أكذوبة وتزوير لا يصعب نقضهما، إذ كيف يمكن في غمرة الشتات والأسر في زمن لم يكن للمسائل الخلقية فيه دور، ولم يكن لحدود التعامل الواعي وجود ولم يكن هناك ضوابط وموانع تمنع أو توقف المنتصر عن فرض إرادته على المهزوم، وكانت اليهودية منذ عصر النبي عيسى عليه السلام وحتى ما قبل القرن الحالي عرضة لشتى المتغيرات على المستوى الأسري والبيئي والاجتماعي فهل كانت الأسرة اليهودية تملك قدرة الرفض على اختلاط الأجناس والدم عنوة واقتدار؟! أي كذبة هذه!

إنّ العشيرة الأولية المرتكزة على الحق الأمومي قامت بوصفها مرحلة سبقت العشيرة المركزية المرتكزة على الحق الأبوي، وهذه المسألة تتسم تاريخياً بنفس القدر من الأهمية الذي تتسم به نظريات التطور ومنها نظرية داروين حول النشوء والارتقاء[3]، إذ أن أسلوب التعامل البشري تدرّج مراحلياً من نقطة الأدنى نحو الأعلى واستغرق تدرّجه مئات السنين حاملاً معه الأخطاء عينها التي كان عليها ما قبل التاريخ وان هذب منها وخفف وقعها أو أخفاها خلق ستار الحضارة والتقدم والرقي، إن تعامل السيد مع العبد له وجه

---

(١) انجلز، ص ١٧٥ المجلد الثالث.

(٢) كتاب حق الأم، يوهان باهوفن.

(٣) المجتمع القديم، لويس مورغن.

واحد الأمر من السيد والطاعة من العبد واليهود كانوا في معظم وجودهم عبيداً، وكانت الأم منهم وكغيرها عرضة للنقل والانتقال تبعاً لمجريات الحدث العسكري بين رجل وآخر وأحياناً بين عدّة رجال في زمن كان اليهودي فيه أشبه «بحياة رجل يصرّ على الإقامة وسط طريق مزدحم تدوسه الأقدام باستمرار»[1].

وبحسب رواية اليهودي عن نفسه فإنّه خرّب وجوده الأسري من خلال أنماط تعامله[2]، لقد عاش اليهودي عيشة الفوضى «فوضى هائلة لم يكن تاريخهم المدوّن حولها إلاّ القتل والأسر، يوشرون بالمنشار حتى على يد ملوكهم (كما فعل داوود) أحياء أو يشوون بالنار، أو يطرحن للكلاب بؤس أسود ما كان لأمة من العرّافين والملهمين والمجاذيب مثل ما كان لبني إسرائيل، لقد كانوا أفاقين، مغيرين، سفاكين (متى استطاعوا أو تركوا) مندفعين في صراعاتهم الوحشية فكانوا خطراً دائماً على الآخرين انضموا إلى الفرس فذبحوا المسيحيين، ثم انضموا إلى هرقل فذبحوا الفرس ثم انضموا إلى العرب فذبحوا الرومان»[3].

ثم إنّ مسألة نقاء الدم كان طفرة لدى معظم الشعوب القديمة والمحاربة منها على الأخصّ ولم يتفرّد اليهود بها، ولكنهم من منطلق الإحساس بالوضاعة والسحق حاولوا خلق ردة للروح اليهودية المحطمة والمنحطة في رحى حركة الشعوب الأخرى.

فالمصريون كانوا يعتقدون أنهم أرفع الشعوب قاطبة وأكثرها قرباً من الآلهة واختياراً[4]، واليونان والرومان جعلا من مسألتي العرق والدم وتواجد

---

(١) موجز التاريخ، هـ. ولز.
(٢) الموسوعة البريطانية، ص ٢.
(٣) الموسوعة اليهودية، طبعة نيويورك ١٩٠٥.
(٤) حضارة الشرق، د. علي.

الآلهة في أوساطهم معياراً للتفوق على الآخرين[1] ولم يكن العرب أيضاً بعيدين عن هذه الأجواء المنتشرة ولاتزال، فبنوا كندة اعتبروا أنفسهم أفضل البشر على الإطلاق حتى جاء الرسول ﷺ وأذهب ما بهم[2]. كذلك ألمانيا والتي خاضت حربين عالميتين لإظهار تفوّق الدم الألماني، ولو عدنا إلى الجذور التاريخية لوجدنا أن هذه الصفات كانت متداولة أيام البابليين والآشوريين والحثّيين[3] وكانت تستعمل لإثارة الشعور الشعبي ودفعه للحرب، فالاختيار الإلهي ونقاوة الدم إذاً ليس إلاّ نمط عيش مثله مثل حب البقاء والسيطرة، إلاّ أنه ومع الروح اليهودية ازداد رسوخاً من منطلق الإيمان اليهودي المطلق بأنهم فعلاً شعب مختار نتيجة التعبئة النفسية لهم على مدى قرون بصحة هذا الإدّعاء ونتيجة للتزاوير التي أدخلت على الدين والنظم الاجتماعية.

لقد حاولت الروح اليهودية وعبر العهد القديم إيجاد أسانيد تدعم مسألة الاختيار الإلهي فلم تجد، ولم يكن لدى الشعوب الأخرى ما يؤيد هذه الفرضية باستثناء مسألة التفضيل التي وردت في القرآن الكريم والتي شملت آخرين وليس اليهود وحدهم، لقد أدّى فقدان الأدلّة المؤيدة للإدّعاء بالاختيار إلى محاولة خلق هذه الأدلّة ولم تجد الروح اليهودية أمامها إلاّ «رحاب» الزانية لتقول وعلى لسانها أنّ الرب اختار الشعب اليهودي شعباً له (سفر يشوع)! وعليه فإنّ اليهود وحدهم استمرّوا على هذا الاقتناع مما خلق صراعات عدّة مع الشعوب والأديان ومنها:

---

(1) تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، موريس كروزيه.

(2) حضارات سامية، موسكاني.

(3) حضارة الشرق، د. علي.

الفصل الرابع

الصراع المسيحي اليهودي

. . . «لو نجح في جميع الأعمال التي نفذها، ولو أعاد بناء الحرم المقدس في موضعه، ولمّ شعث جميع قبائل إسرائيل المشتتة، عندئذٍ سيكون هو بالتأكيد الميّسياه. . . لكنه لم يفعل ذلك وقتل، فهو إذاً ذاك ليس المسيسياه، الذي أنبأنا العهد أن ننتظره، أنه كجميع حكام بيت داوود الذي قدّسه الرب وباركه ورفعه إلى أعلى، بلا سبب(!!) بل ليثبت للكثيرين إن «دان» والذين يعطفون عليه سوف يخفقون في الامتحان وتبرئة أنفسهم وإثبات طهارتهم بشكل متواز حتى نهاية الميعاد».

«ولأنّ الميعاد المحدد لم يحن بعد، لقد تنبأ دانيال بظهور يسوع الناصري الذي ظنّه هو المسيح، وقذف به إلى الموت، ان سار في شعبنا سوف يمجّدون أنفسهم لترسيخ الرؤيا، لكنهم سينقرضون ما الذي يمكن أن يكون أبسط من ذلك وأوضح؟ لقد قال جميع أنبيائنا إنّ المسيح سوف يحرر إسرائيل، ويحمل لها الخلاص، ويشفي شعوبها من الشتات ويعزّز قوانينها، لكنه (أي يسوع) كان هو السبب في دمار إسرائيل(!!) وكان السبب أيضاً في استكانتها إلى التشتت والذلّ حتى أن القانون تغير(!!) لا، كما ضلل الجزء الأكبر(!!) من سكان العالم بعبادة إله آخر(؟!) فإنّ لا أحد يستطيع أن يفهم هدف الخالق، فأساليبه تختلف».

«إنّ كل ما أنشأه يسوع الناصري تدريجياً وبجهد، وما أنشأه من بعده الأتراك (المسلمون) إنما يهيىء الطريق لمجيىء المسيح الملك ويهيىء العالم كله(!!!) على حدّ سواء، ان العالم كلّه متخم(!!) بالثناء على يسوع وتمجيد قوانينه ووصاياه، وقد انتشر ذلك حتى أقاصي الأرض، غير أنه حين يجيىء المسيح حقّاً وينتصر عندئذٍ كل شيء سوف يتغير وسيظهر زيف وعقم ما يقومون به»[1] (المسيحيون).

كلام شامل وواضح وصريح، فاليهودية المنتظرة لمسيحها المخلّص فوجئت بخروج عيسى عليه السلام، ولم يكن من صلب يعقوب، رغم الإدّعاء بذلك لاحقاً، ولم يكن من مدرستها الدينية، فكان عليه السلام وبنبوته الخطر الأكبر ليس على الروح اليهودية وسلطتها فحسب وإنما على وجود الشعب اليهودي كلّه ضمن مقولة الاختيار الإلهي ومن ثم كتابة التاريخ الحقيقي للديانة اليهودية ورسالة موسى عليه السلام!

وخلال ألف سنة عكفت الروح اليهودية نتيجة انهيار الروح المعنوية ومبادىء البقاء لدى الشعب اليهودي، عكفت على خلق حافز الهم التطلعات نحو أمل جديد بثورة يهودية تحكم العالم وكان الحافز رؤيا عن خروج مخلّص هو المشيح الذي سوف ينقذ إسرائيل ويعيد لها دولتها لتحكم العالم.

ولقد صدق الشعب اليهودي هذه الرؤيا وأخذ ينتظرها على الرغم أنها من صنعه هو، ولكنها كانت تمثّل الماء المنقذ لتائهي الصحراء وعليه فلم يكن لديها مجال أو رغبة أو إمكانية نقض هذه الرؤيا لما يتمثّل عليه ذلك وما سيخلفه من إحباط وانهدامية لشعب كان يعيش صراعات مع الآخرين، وفي غمرة الشتات ازداد الإلتصاق بهذه الرؤيا الحلم كما كانت تعنيه لليهود وراحوا ينتظرونها من جيل إلى جيل.

---

(١) كتاب هيلكوث ميلاخيم، موسى بن ميمون (ميمونيدس).

وجاء المسيح عليه السلام، ولم يكن كما أراده اليهود وانتظروه وما يريدونه منه أن يحقق، وأدّى ذلك إلى إحباط هائل انعكس على كامل مجريات الحياة اليهودية برمتها وعلى مسار التاريخ اليهودي نفسه، ولقد كان فشل اليهودية مع المسيح فشلاً لآلاف سنين الانتظار اليهودي لمخلّصهم، ودماراً للتطلعات اليهودية وأدّى ذلك لردّات فعل عنيفة تمثّلت في صراع بين اليهود واتّباع الدين الجديد بأوسع وأعمق وأشمل ما يكون عليه الصراع حتى تأتت الغلبة لليهود فيها وبعد قرون.

في مراحل الصراع الأولى، عمد اليهود إلى شنّ هجمات على شخص يسوع الذي اختصر اليهود اسمه بلقب «جيشو» والمركبة من ثلاث كلمات عبرية هي «ايماش شيمو فيزيكرو» أي «ليمح اسمه وذكره»[1] ويضيفون إليها «جيشو شكير» أي يسوع الكذاب وتوباه أي البغيض[2] كما وأورد التلمود اسمه مرمزاً «اوثوايش» أي ذاك الرجل، و«بيلوني» أي الرجل المعني بالقول مثال «ماري. . . أم الرجل المعين ذي الصلة بيوم السبت»[3] كذلك دعوه نجار ابن نجار (نجار بار نجار) وابن الحطاب بن شارش اييتم، و«تالوي» أي الرجل الذي شنق»[4] مثال «لا يجب الاشتراك في أعياد المسيحيين لأنهم يقيمون قداساً لذاك الذي شنق» أو «في أيام الأمبراطور كونستانتين وضع تمثال ذاك الذي شنق على رابيته»[5].

ويكمل التلمود تشويه صورة السيد المسيح عليه السلام فيقول عنه انه ولد غير شرعي «. . .حين كان الشيوخ (اليهود) يجلسون ذات يوم عند المدخل

---

(١) الكابالا اليهودي، جوشو ٦٦ب.
(٢) من كتاب انجاث روخيل.
(٣) كتاب تشاغيغاه.
(٤) صاموئيل بن مايرن كتاب هيلخوث آكوم، موسى بن ميمون.
(٥) الرابي بن عزرا في الرد على غينيس.

مرّ صبيان من هناك، كان أحدهما معتمر الرأس والثاني حاسراً. . . فأبدى الرابي «اليعازر» ملاحظة تقول إنّ حاسر الرأس هو ولد غير شرعي. . . «مامرز» فقال الرابي «جيهوشوا» حينئذٍ بل إن أمّه حملته وهي حائض (بن نيداه) انبرى إذ ذاك الرابي «اكيباه» ليقول «انه ولد غير شرعي وحملته أمه وهي حائض أيضاً» فما كان من الحضور إلاّ أن سألوا الرابي اكيباه عن رأيه ذاك فأجاب انه سيبرهن لهم ما قاله ولهذه الغاية توجّه إلى أم الصبي التي وجدها تبيع الخضار في السوق حيث بادرها بالقول إذا أجبتني بصدق على سؤالي يا ابنتي فإنني أعاهدك على تنجيتك من الخطيئة، سألته أن يقسم لها على ذلك ففعل الرابي اكيباه لكن بشفتيه فقط(!!) ثم سألها قولي لي ما نوع ابنك(!!) ردّت المرأة بقولها، ليلة عرسي كنت حائضاً فهجرني زوجي، غير أن روحاً شريرة(!!) ضاجعتني فكان ابني هذا نتيجة ذلك، عندها صاح الشيوخ مقدّس إله إسرائيل الذي أوحى بسرّه إلى الرابي اكيباه بن جوزيف»[1]، والقصة عينها أوردها كتاب تولدوث جيشو اي أجيال يسوع.

كما أن كرّاس «سانهدرين» المقطع ١٠٣ يقول في ترنيمة مقدّسة «لن تحلّ بمنزلك أية كارثة» ويعلّل انه «ما لم يملّح ابنك أو تابعك طعامه كثيراً كيسوع الناصري» فتمليح الطعام عار في عادة تلك الأيام وإفساد للطعام كما أفسد عيسى عليه السلام قومه.

ويتابع الكراس المذكور في المقطع ١٠٧هـ «قال مار، ضلّل يسوع وأفسد إسرائيل وهدمها».

ويتابع التهجّم، ففي كتاب التلمود ورد أن «يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذارة حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة وحيث أبناء ايسو (المسيحيون) وأبناء اسماعيل (المسلمون) بالإضافة إلى المسيح عليه السلام

---

(١) كراسة كاللاه ١٨ ب.

ومـ... ﷺ غير المختونين والنجسين كالكلاب النافقة هؤلاء جميعاً مدفونون معاً»[1].

ويتابع «لقد لقي يسوع ميتة حقيرة بشنقه على صليب»[2] وعلى اليهودي أن يبتعد عن مكان عبادته الوثنية «إذا التقى يهودي يصلّي مسيحياً يحمل في يده نجمة (السدادة واللحمة في الصليب) ووصل اليهودي في صلاته إلى مرحلة توجب ركوعه لله فليس من واجبه أن يفعل ذلك (أمام الصليب)»[3].

فالنقمة على شخص السيد المسيح ورسالته حملت من الحقد ما يحبر صفحات دوّنت معظمها في كتب يهودية بعيدة عن التناول والتداول إلاّ في ما ندر إبان ما ظهر منها لسبب ما (حروب واحتلالات) وأبقيت للتداول في المدارس اليهودية وداخل الغيتوات التي أقيمت.

والصراع المسيحي اليهودي ينقسم إلى خمسة أقسام هي:

القسم الأول: مرحلة ما قبل عيسى عليه السلام.

القسم الثاني: مرحلة ما بعد عيسى عليه السلام.

القسم الثالث: المرحلة الرومانية.

القسم الرابع: العصر الوسيط.

القسم الخامس: العصر الحديث.

---

(١) كتاب زوهار ٢٨٨ وكتاب سيناغوغ جوديكا وكراس ريبوديس C5.
(٢) فضائح التلمود، للأب براناتيس.
(٣) اورايش شائيم.

القسم الأول

مرحلة ما قبل عيسى (ع)

يعتبر التاريخ اليهودي على ندرته أن عصر إسرائيل الذهبي بدأ مع داوود وانتهى بسليمان.

إلاّ أن الثوابت التاريخية أظهرت أن سليمان عن علم أو دون علم أسهم مباشرة بانهيار الوجود اليهودي ودفعه للتفتت والانقسام في ظلّ التحضّر البيئوي اليهودي لمثل هذا الانقسام فالتعامل اليهودي المتعالي والحاقد على الآخرين خلق سلسلة حروب لا نهاية لها مع الشعوب الأخرى «فذهب داوود إلى ربة وحاربها... وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس وأمّرهم في أتون الآجر (حرقهم) وهكذا صنع بجميع مدن عمون»[(١)] هذه سمات ملوك إسرائيل وحكّامها مع يوشع أو داوود أو شاوول أو جدعون والفعل يؤدي إلى ردّات فعل كما حصل لليهود بعد ذلك!

وعلى الرغم من كل الإدّعاءات اليهودية والحديث عن عظمة سليمان وحكمة سليمان فإنّ الثوابت التاريخية أظهرت أنه كان يقف وراء الخلاف اليهودي وفي عهده اتّسعت النزعة العدائية اليهودية بين يهودي وافراييمي[(٢)]،

---

(١) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ١٢.
(٢) جفرز، ص ٤٣.

ونتيجة للإنفاق الهائل على مسرّاته ومظاهره العمرانية ومصاريف جيشه ونسائه (ثلاثماية امرأة) اضطرّ أواخر أيام حكمه لبيع أجزاء من مملكته، وأسهم صراعه مع أولاده ابشاليم منهم بالأخص وزنى ابنه أمنون مع أخته[1]، ذلك كلّه إلى حالة تفكك في المجتمع اليهودي ما لبث أن برز إلى العلن بعد وفاته.

وما كاد يهلّ عهد يربعام (٩٣٣ ـ ٩١٢ق.م) حتى اندلع القتال اليهودي اليهودي، بين القبائل اليهودية الشمالية والقبائل اليهودية الجنوبية، يقول العهد القديم عن ذلك «لما جاء رحبعام (ابن سليمان) إلى أورشليم، جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين مائة وثمانين ألف مختار محارب ليحارب بيت إسرائيل»[2]، وفي زمن احاز بن ويثام ملك أورشليم «قتلت إسرائيل من يهوذا مائة وعشرين ألفاً في يوم واحد وسبى منهم مائتي ألف إنسان ونهبوا أملاكهم إلى السامرة»[3] (عاصمة إسرائيل في ذاك الوقت).

ولم يوقف مجيء تغلت فلاسر الصراع ولا قيام الأدوميين بالإجهاز على من بقي من يهوذا، في وقف المعارك اليهودية اليهودية حتى اضطرّ آسا ملك ما بقي من يهوذا للتحالف مع مملكة دمشق (٩١٣ ـ ٨٧٣ق.م) لمهاجمة إسرائيل ومملكتها[4]، وخسرت المملكة الذيلية (أي إسرائيل) كل أراضيها الواقعة شمالي الأردن وشمالي اليرموك لصالح ذاك التحالف.

وفي سنة ٧٤٠ق.م استولى الملك الآشوري تغلات بيلسر الثالث على أربد في شمالي سوريا، وقامت يهوذا وإسرائيل بدفع الجزية له لأول مرة وذلك سنة ٧٣٨ق.م. ولكنهما وفي الوقت عينه راحتا تعدّان المؤامرات على

---

(١) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ١٣.
(٢) سفر ملوك الأول: إصحاح ١٢.
(٣) سفر اخبار الأيام الثاني: إصحاح ٢٧.
(٤) الموسوعة البريطانية، ص ١٢٦.

الملك الآشوري واتصلتا بفرعون مصر، فانقض الآشوريون وقد بلغهم خبر الاتصالات على جلعاد والجليل ودمروهما وحولوا كل المنطقة إلى ولايات آشورية باستثناء منسة الغربية وافراييم ثم حاصروا إسرائيل (ساماريا) سنة ٧٢٤ق.م واستولوا عليها وأخذوا سكانها أسارى ثم حملوهم معهم باتجاه الشرق.

وما لبث الآشوريون أن التفوا على يهوذا، فحاول ملكها حذقيا (٦٨٦ ـ ٧١٤ق.م) المقاومة، ثم أنقذه وباء حلّ بالمهاجمين واكتفوا منه بدفع الجزية[١].

وفي عهد الملك جوسياه (٦٤٠ ـ ٦٠٩ق.م) ملك يهوذا، عمد فرعون مصر «تيحو» إلى ضم يهوذا المملكة ولكنه لم يهنأ بها، حيث أن نبوخذنصر هاجم المملكة اليهودية (٥٩٧ق.م) ودمّرها وأخذ ملكها «يواقيم» وعشرة آلاف من سكّانها عبيداً إلى بابل، وجعل على ما بقي منها ملكاً هو «زيديكياه» واستدار عائداً إلى بلاده، فاغتنم زيديكياه الفرصة للغدر وأعلن ثورة يهودية، وسرعان ما استدار نبوخذنصر عائداً فهاجم القدس وحطم المملكة اليهودية بوحشية سجلها التاريخ ونقل جميع اليهود فيها سبياً إلى بابل وهرب الباقون إلى أرض الحجاز ويثرب ومصر[٢].

كانت مرحلة الشتات اليهودي هنا قد بدأت، فالوجود الجغرافي لمملكتي إسرائيل ويهوذا في الوسط والمؤامرات المحاكة من قبلهم على مملكة نينوى القوية ومصر المرهوبة جلب لها عداء الطرفين وأدى إلى السبي البابلي[٣].

---

(١) الموسوعة البريطانية، ص ١٢٧.
(٢) تاريخ الطبري الجزء الأول، ص ٥٣٩.
(٣) غوستاف لوبون، ص ٢٧.

وفي عام ٥٣٩ق.م حطم قورش ميديا واحتلّ بابل، ومن خلال زوجته اليهودية أعاد لليهود الاعتبار وسمح لهم بالعودة إلى بابل لبناء الهيكل، غير أنّ الكثيرين منهم أعجبتهم البلاد الجديدة (بابل) وبنوا فيها مصالح ومهناً فلم يعودوا[١]، وبلغ من عاد منهم اثنان وأربعون ألفاً فقط بعد سبعين سنة من الأسر[٢].

وفي فلسطين وجدوا الأيدوميين في الجزء الجنوبي من يهوذا كما وأنّ حاكم (ساماريا) احتلّ الجزء الشمالي، مما حال دون بناء الهيكل من جديد[٣].

وفي عهد داريوس أقدم على منحهم حمايته رغم اعتراض قادة جيشه الذين خشوا المؤامرات اليهودية المعتادة، وكان القادة يعلمون أن الحماية هذه متأتية من نفوذ استير اليهودية في بلاط قوروش[٤]... ثم استمرّ الوضع مع كامبايسيس وداريوس الأول الذي سمح لهم ببناء الهيكل عام ٥١٥ق.م، وكانت دولتهم حينها مجرّد مؤسسة خيرية تتلقى الإعانات من يهود بابل ويديرها الكهنة البابليون[٥]، الذين حاولوا إعادة المجد لبيت يعقوب وبناء كيان مستقل، ومن خلف ظهر الملك الفارسي أقاموا اتصالات مع مصر ما لبثت أن تكشفت فقام أتاكس كيس الثالث (٣٤٣ق.م) باحتلال القدس من جديد، فخمدت التطلعات اليهودية ولم تتوقف المؤامرات والدسائس ومضى عهد الاسكندر ثم جاء عام ٢٠٠ق.م ولاح خطر جديد.

كان الأنباط القوة الجديدة التي تحرّكت عسكرياً واحتلت شرقي الأردن

---

(١) فلسطين، نبتويش ص٤.
(٢) جوزيفوس.
(٣) الموسوعة البريطانية.
(٤) مارلو، ص ١٢.
(٥) بكماستر، ص ٨.

وحوران وآرامية (أيدومية) وشرقي فلسطين وجنوبها ودمشق معها، وسارع الملك اليهودي الكزندر جانيوس وبني سليم اليهود للتحالف وكعادتهم مع هذه القوة، بهدف التخلّص من سلطة الآشوريين.

ولكن الأنباط لعلمهم بالخيانات اليهودية لم يمحضوهم الثقة ولم يركنوا إلى التحالف، وسرعان ما وقع القتال بين الملك النبطي مالكوس الأول ثم عبيدات الثاني مع هيرود اليهودي، وفي عهد الملك النبطي حرثيت الرابع تجدد القتال وسيطر النبط على أجزاء من مملكة هيرودانثيباس، وراحوا يساعدون الرومان للسيطرة على اليهود فبرز الحقد اليهودي من جديد، وراحوا يدفعون الرومان لاحتلال البلاد علّهم يتخلّصون بذلك من القوة النبطية، وكان لهذه المؤامرات، وسياسة تراجان القصيرة النظر وطمعه دور في تحطيم القومية النبطية، واجتاح تراجان البتراء عام ١٠٦م وضمها للامبراطورية الرومانية تحت اسم الولاية العربية[١].

تخلّص اليهود من النبط ولكن الرومان كانوا عليهم أشدّ وقعاً، وما كاد عهد بطليموس الهادىء يمرّ، حتى قام هيليودوس كبير وزراء السلوقيين بنهب الهيكل المقدس عام ١٨٩ق.م، كما وأقدم أنطوخيوس على إجبار اليهود على تغيير ديانتهم، وراحت اللغة العبرية تخلي مكانها لليونانية بينهم، وحدث أن مرّ أنطوخيوس عام ١٦٩ق.م بالقدس في طريقه إلى مصر فأعاد نهب الهيكل وعرّاه، ولما اندحر بعد ذلك بعامين أمام الرومان انتقم من اليهود (نتيجة مؤامراتهم عليه مع الرومان) وقام بتدمير القدس وبنى مكانها قلعة سميت «اكرا» جعلها سجناً لليهود[٢] ومضى فوضع مكان مذبح يهوه مذبحاً لزيوس، فأدّى ذلك إلى ثورة المكابيين بقيادة جوداس مكابيوس عام ١٦٧ق.م ولما قتل جوداس عام ١٦١ق.م تولى أخوه جوناثان مملكة يهوذا

---

(١) الموسوعة البريطانية.

(٢) بيكماستر ص ١٠.

واستغلّ الخلافات داخل العائلة الحاكمة السلجوقية وأذكى أوارها موقعاً بدهاء بين أبنائها، ثم تولى سيمون (١٤٣ ـ ١٣٥ق.م) وأُعطي لقب حاكم من قبل ديمتريوس الثاني، فاعتبرت تلك السنة (١٤٣ق.م) العصر الجديد لليهودية فجعلوا من سيمون ملكاً عليهم بانتظار ظهور نبي معتمد، وجاء بعده ابنه هيركانوس فغزا السامرة وضرب رجال الدين الفريسيين!

وخلال حكم الاسكندر جانيوس (١٠٣ ـ ٧٦ق.م) واليهود قد استشعروا من أنفسهم قوة، قاموا بغزو شرقي الأردن واسموه بيريا واستولوا على فلسطين وأجزاء من لبنان ولما مات جانيوس حكم ابناه أريستوبولس وهيركانوس الثاني، وإذ دبّ الخلاف بين الأخوين سارع هيركانوس للاستعانة بالأنباط العرب واحتلّ الأراضي العليا، غير أنّ ظهور بومبي عام ٦٣ق.م قلب الأمور إذ أطاح بالأخوين وأعاد احتلال فلسطين كلها تحت سيطرته ومنذ ذلك الوقت أصبحت تعرف باليهودية.

لم يكن بومبي يثق باليهود، وكان على علم بمؤامراتهم فعمد إلى قتل الكثيرين منهم واصفاً إيّاهم بالمشاغبين، ثم حطّم أسوار القدس فكان ذلك نهاية الدويلة اليهودية، ونتيجة عدم اطمئنان بومبي لليهود، عمد إلى فصل أجزاء واسعة من الدويلة اليهودية وضمها إلى سوريا[١].

لم يهدأ اليهود رغم الأثمان المرتفعة التي دفعوها نتيجة المؤامرات والدسائس التي كانوا يقومون بها، وتبديل التحالفات مع القوى كعادتهم دفعهم باتجاه الفرس من جديد فاتصلوا بهم عام ٤٠ق.م ودعوهم لاحتلال بلادهم تخلّصاً من نير الرومان فكان أن أقدم الفرس على احتلالها وعيّنوا جونوس المتحالف معهم ملكاً على أورشليم.فيما هرب هيرود ابن انتي بيتر إلى روما وهناك عينه مجلس الشيوخ ملكاً على اليهودية سنة ٤٠ق.م،

---

(١) بيكماستر ص ١٣.

وبعدها بسنتين قدم الرومان بقوات كبيرة فطردوا الفرس، وعمد هيرود إلى قتل أعداد كبيرة من قومه اليهود انتقاماً لما فعلوه.

كان هيرود يكره القومية اليهودية ويعلم أنها محرّك مؤامرات اليهود وقد كرهه اليهود وحقدوا عليه فلما مات تولّى الرومان الحكم مباشرة في مرحلة ولادة السيد المسيح عليه السلام (٢٦ ـ ٣٦م). واستمرّت القلاقل اليهودية مع عهد هيرود اجريبا الثاني (٦٧م) قمع تيتوس إحداها عام (٦٧م) ودمّر الهيكل ونقل بقاياه إلى روما[1].

كان اليهود في نظر الكثيرين وبينهم الرومان شعباً صعب المعاشرة، صعب الانقياد، ومن جهتهم برموا بالسلطة الرومانية، وعليه فإنّ ثورة ثانية أعقبت الأولى وهذه المرة بقيادة المسيح اليهودي المنتظر شمعون بن كوزيبا عام ١٣٢م، عمد اليهود فيها ومن خلال اعتبارهم أن مسيحيهم قام فعلاً (بشخص شمعون بن كوزيبا) «بذبح الرومان واليونان وأكلوا من لحومهم، وتمنطقوا بأمعائهم ونضحوا بدمائهم على أجسادهم، وصنعوا لهم ألبسة من جلودهم ونشروا من الوسط عدداً كبيراً منهم وعرضوا جماعات عديدة منهم للسباع وحفلات المصارعة وفتكوا بأكثر من مائتين وعشرين ألف روماني» فجن جنون الرومان وعمد هدريانوس إلى مهاجمتهم وذبح خمسماية وثمانين ألف يهودي انتقاماً، عدا من قضى منهم جوعاً أو حرقاً بالنار[2]، فلم تقم لهم بعدها قائمة!

لم تقتصر الروح اليهودية على يهود فلسطين وحدهم، بل ان الدعم الأوسع لها كانت تلقاه من «جوال عديدة» هم بقايا سبي بابل الأول، وازدادت حركة الشتات اتّساعاً في عهد الرومان «ومنذ انتهاء العهد الجمهوري كان في معظم المدن الشرقية الكبرى جاليات يهودية، وقامت في روما نفسها جالية

---

(١) الموسوعة البريطانية.

(٢) تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها ص ٤١٩، موريس كروزيه.

ضمت الألوف منهم ممن قدموا أسارى أو تجاراً ثم تكاثروا هناك طمعاً بالاستقرار[1]، وفي أنطاكية والاسكندرية جاليات عاشت الكره وعداء الشعوب وأسهمت في القتل والقتل المضاد في عدة أماكن[2]، بسبب وحيد اسمه الحقد!

لقد كان السبي إلى بابل نقطة انعطاف بالغة الأهمية على مستوى التوجه العام للروح اليهودية بين شعبها ومع الآخرين ووضع مخططاتها المستقبلية بهدف إعادة السيطرة الكونية والامتلاك وكان على الروح تلك إزالة الإحباط المتأتي من مسألة أسباب الانهزامات العسكرية مع أنّ الرب مع اليهود بحسب ما يؤمنون، وانحدار الفوقية اليهودية نتيجة السبي والإذلال، والخوف من ضياع الهوية اليهودية في مراحل العبودية وشموليتها واتّساعها، فكان خير وسيلة لدى تلك الروح هي زرع الحقد.

فالحقد يترك في النفس الإنسانية ترسبات تظل مشتعلة على الدوام فكيف والروح اليهودية تعيش الحقد والكره للآخرين من منطلق عبادي؟ إضافة إلى ذلك ثم استعمال سلاح المؤامرة إن على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الشعوب أو الدول، وكان ذر الخلاف وإشعال الفتن وسيلة طالما لجأت إليها الروح اليهودية للإنتقام من الآخرين الذين «فازوا على اليهود ورغم أنهم شعب أحطّ منهم».

وأمل العائدون من بابل (٤٤٠ق.م) بقيام دولة جديدة، إلاّ أن قراءة الواقع كانت مغايرة للتوقعات، فالزمن لا يعود إلى الوراء وبات وجودهم كأمة مشكوكاً فيه فكان على الكهنة إعادة إشباع الرغائب الدينية بالرفعة ولم يجدوا وسيلة إلاّ الحديث (وكما أشرنا) عن منقذ هو الميسياه، ويظهر لنا النشيد التالي فكرة عمّا كانت عليه اليهودية في ذاك الوقت، يقول النشيد:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

عندما لفّت أعمدة اللهب الهيكل
صعد ثلاثة كهنة شبان إلى السطح
وألقوا بمفاتيح بيت الله نحو السماء
«فامتدّت يد نزولاً والتقطت المفاتيح»
وقال الكهنة:
«إلى متى، ادوناي، إلى متى»[1]
فقال صوت سماوي لا أكثر من يومين يا أولادي»[2]

وعلموا أنّ الشتات سوف يستمر ألفي سنة لأنّ «ألف سنة في عينيك كيوم أمس عابر»[3]. وهذه الغيبيات الصبيانية السخيفة لقيت صدى وقبولاً، ليس لدى اليهودية وحدها وإنما لدى المسيحيين أيضاً، وكما أرادت الروح اليهودية تماماً حين أقدمت على وضعها، فإنّ الهدف كان إبقاء جذوة الخلاص مشتعلة وانتظار المنقذ، وفي ظلّ الخوف من الارتداد اليهودي وترديه في اليأس، ومنعاً له من اتّباع ديانات أخرى، خلقت الروح اليهودية فكرة «إذا قام في وسطك نبي(!!) أو حالم حلماً(!!) وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة(!!) التي كلّمك عنها لتذهب وراء آلهة أخرى فلا تسمع لكلامه، وذلك النبي أو الحالم يقتل»[4].

فسوسيولوجية الروح اليهودية تحيا على مسألة الإدّعاء بالتفوق وأي نبي ولو كان صادقاً سوف يطيح تلقائياً بسلطتها، وعليه فلا يمكن السماح أبداً بوجود إله غير يهوه «لا يوجد في عالمنا رب خاص لإسرائيل وربّ خاص لمصر، وإنما يوجد ربّ واحد موجود وسيظلّ ليملك الأرض كلّها ويسيطر

---

(١) بحسب فرويد: «أدوناي» مشتقة إما عن أدونيس أو آمون الإله المصري.
(٢) المدارش.
(٣) مزمور ٨٩.
(٤) سفر التثنية: إصحاح ١٩.

على شعوب العالم، إنّ العالم كلّه من صنعه وكل الناس على مثاله، ولكنه اختاركم أنتم يا أبناء إبراهيم كي تكونوا شعبه الكثر والشعب المقدس لديه»[١].

كان اليهود في بابل قبل الأسر، ويتعاطون التجارة ورأس المال للربى[٢] فلما قدم الألوف منهم سبايا إليها، راح الحديث عن أورشليم يكبر، مختلطاً مشوشاً بما أدخل عليه من عواطف وشجن حتى بات لدى الجميع حلماً يستعيدون معه السلطة والسيف بتوازٍ مع ما هم فيه من إذلال كردٌ شبيه بأحلام اليقظة، وعند عودتهم باشروا الانتقام وطرد الشعوب طمعاً بالاحتلال، فلما جاء يسوع نادى «طوبى للمساكين» ولم يكن اليهود يحبون المساكين لا بل ان داوود أمر بطردهم من مملكته[٣] ونادى يسوع طوبى للحزانى، ولم يكن بنو إسرائيل يطيقون الحزانى فها هو موسى يغضب على قادة جيشه لأنهم لم يقتلوهم[٤] ونادى يسوع طوبى للودعاء، ولم يكن بنو إسرائيل ودعاء ولم يكن ذلك في منهجية الروح اليهودية لأنها تتعارض مع مبدأ القوة التي تحاول جعلها في الشعب اليهودي[٥].

---

(١) الحياة اليهودية العدد ٦، احاد هاعام.

(٢) مشنتو إسرائيل، كوس.

(٣) سفر صموئيل الثاني: إصحاح ٥.

(٤) سفر العدد: إصحاح ٣١.

(٥) سفر متى: إصحاح ٥.

القسم الثاني

مرحلة ما بعد النبي عيسى (ع)

ولد السيد المسيح عليه‌السلام عام ٦ق.م[١]، وتعرّض للعقوبة في عهد طيبريوس بموجب حكم أصدره بيلاطس النبطي[٢]، وكلمة المسيح هي لفظ لكلمة مسايا العبرانية وكانت تستعمل في اللفظ العبري لقباً للملوك (شاوول، وداوود، وسليمان) ومن ثم للملك الموعود.

والكلمة (يسوع) مشتقة من اللفظ العبراني يشو (يهوه إله الخلاص) ونظراً لكثرة استعمالها من قبل اليهود فإنّ أتباع السيد المسيح عليه‌السلام ومن منطلق اعتبارهم أنه المخلّص راحوا يرددونها عنه حتى غلبت على سواها للدلالة عليه.

كان تقدم المسيحية وانتشارها بطيئاً أول الأمر، فالفقر والحاجة والصراعات العسكرية والاحتلالات والمؤامرات حدّت باديء ذي بدء من الانتشار واعتبرت أنها «مذهب يهودي غامض»[٣].

وفي ذلك الوقت كانت الأرستقراطية، اليهودية أقل المجتمعات تجاوباً

---

(١) جوسيبوس ٣.
(٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٣٦٣، د. حتي.
(٣) ديو ١٤.

مع تأثيرات الحضارة الرومانية، وسرعان ما اتّجهت إلى الصبغة الهلينية عندما حصل الصدوقيون ممثلو الحزب الأرستقراطي على تأييد روما لهم، وأمّا الفريسيون وعامة الشعب فقد تمسكوا بالتقاليد الدينية اليهودية حتى المغالاة، وكانت نظرتهم هذه قريبة الصلة بالهاسيديم من العصر المكابي»[1].

في تلك الأثناء ومن خلال التجارة والسوق العالمي، حققت الأرستقراطية اليهودية سيطرة على الأسواق العالمية[2] نتيجة تحالفها مع السلطة الرومانية والتي من منطلق استعبادها لشعوب البلاد المفتتحة واستنزاف خيراتها وجدت في التجار اليهود خير معين لتسويق أو اجتذاب البضائع من المقاطعات دون مقايضة[3] وعليه فقد كان غالبية تجار روما من اليهود حيث تمتعوا «بحرية ممارسة شعائرهم الدينية والكهنوتية»[4].

لم يكن التجار اليهود من منطلق مصالحهم يحابون عامة اليهود وتكشف لنا وثائق قمران (مرحلة قبل المسيح بأعوام قليلة) صورة الاضطهادات اليهودية اليهودية، بين الصدوقيين والفريسيين والأسانيين (جيش الله) والقرائيين والزيلوتس (المتعصبين)[5]! ولقد شهدت الممتلكات الرومانية بسبب بيروقراطية القادة، تمرّداً للعبيد (سبارتاكوس) والحلفاء من شعوب اللاتيوم وانتفاضة بيرتوريوس في اسبانيا وميتريداتس في آسيا، وقراصنة صقلية في البحر المتوسط[6]، هذه الأجواء خيمت بثقلها على فلسطين والعالم الروماني، وأسهم قيام بومبي بفصل الأقسام الشمالية وإقدام غابينوس

---

(١) سوريا ولبنان وفلسطين ص ٣٧٥، د. حتي.
(٢) المفهوم المادي للمسألة اليهودية ص ٤٦، ابراهام ليون.
(٣) تاريخ أوروبا، بيتر ين.
(٤) العرب واليهود في التاريخ ص ٥٤٣، د. أحمد سوسة.
(٥) التلمود، ظفر الدين خان.
(٦) من أجل حوار بين الحضارات ص ٣٢، روجيه غارودي.

(٥٧ ـ ٥٥م) على تجريد الكاهن اليهودي الأعظم هيركانوس[١] من سلطاته ورتبه الملكية وفرضه ضرائب ثقيلة على اليهود وتقسيم الأقاليم إلى خمسة يحكمها مجلس سنهدرين، ثم قيام أنطونيو بوهب أقسام كبيرة من فلسطين وسوريا إلى كليوبترا[٢]، ثم زوال سلطة الأسرة المكابية على يد هيرودس[٣] وجعل المملكة هلنستية، وقمعه للحركات اليهودية بوحشية وذبح بعض نسائها مستعملاً وجهين، يهودي في وطنه وهلنستي مع المصالح الرومانية[٤].

ثم إنّ العودة من بابل كانت قد حملت معها جوهر الخلاف في المجتمع اليهودي، وكان قيام سرجون بنقل أعداد من القبائل من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب لتحلّ محل الإسرائيليين في السامرة ومنطقتها[٥] وهؤلاء تزوجوا وتزاوجوا مع الشعب اليهودي واتّحدت معتقداتهما[٦] مما أوجد شرخاً بين اليهود المقيمين واليهود العائدين سرعان ما اتّسع مع انتصار المكابيين (١٤١ق.م) وإقدام أجناديوس وبالقوة (١٠٣ق.م) على إجبار يهود السامرة ومعظمهم من أصل عربي بالإختتان، ولذا فإنّ تعدد الطبقات داخل المجتمع فرضت نفسها إن على مستوى العلاقة الدينية أو السياسية.

ولما جاء السيد المسيح واتّبعه البعض، فإنّ هؤلاء كانوا يتكلمون العبرية برطانة ومعظمهم يهود بالاسم من أتباع نهج البيت الهسموني والقاضي بتخيير الشعوب بين التهوّد أو الإبادة[٧]. في هذا الجو اتّسع التطلع نحو

---

(١) هيركانوس الثاني حفيد اديسطموبولس.
(٢) بوشير ص ٢٩.
(٣) جوسييوس ٥ (كتاب).
(٤) المصدر السابق.
(٥) سوريا ولبنان وفلسطين ص ٢١٤، د. حتي.
(٦) المصدر السابق.
(٧) جوسييوس كتاب ٨.

الدين، وراح «الأمل الحلم» بمسيح منقذ يرتفع خطوة خطوة مع ترويج الروح اليهودية له «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً يدعون اسمه عمانوئيل والذي تفسيره الله معنا»[1] و«لأنّ العذراء بنت شعبي»[2] و«هوذا فتاي الذي أحببته وسرّت به نفسي»[3]، و«حينئذٍ تفرح العذراء بالرقص والشبان»[4] و«ارجعي يا عذراء إسرائيل» و«أنت يا بيت لحم... منك يخرج مدبّر يرعى إسرائيل»[5] و«صوت في البرية أعدوا طريق الرب»[6].

ويتابع العهد القديم التمهيد للمسيح المنتظر «أنا قد أنهضته وبالنصر كل طرقه أسهل... أمامك سيجدون وإليك يتضرعون فيك وحدك الله وليس آخر، ليس إله»[7] ويضيف «هوذا عبدي، مختاري الذي سرّت به نفسي»[8] ومعه تصبح أورشليم «مسكناً لا تنقطع أوتاده إلى الأبد (اشعيا: ٣٣).

وقدم عيسى نبياً في زمن الحاجة إلى نبي، استقبله اليهود أول الأمر بحذر وما ان سمعوا تعاليمه حتى جنّ جنونهم «لا تظنّوا أني جئت لأنقض الناموس، ما جئت لأنقض بل لأكمل»، ولما كان ذلك انقلاباً على منهج الروح اليهودية فإنّ الصراع بدأ باكراً.

شكل التلمود بما له من سلطة دينية ومدنية وقضائية على الشعب اليهودي، شكّل واجهة الصراع، فما هو التلمود.

---

(١) متى: ١، نقلاً عن ارميا.
(٢) ارميا: ١٤.
(٣) متى: ١٢، نقلاً عن ارميا.
(٤) ارميا: ٣١.
(٥) متى: ١.
(٦) اشعيا.
(٧) اشعيا: ٤٥.
(٨) اشعيا: ٤٢.

التلمود مكوّن من كتابي الميشنا والجمارة، والميشنا هو القانون المكتوب وأمّا الجمارة فتفسير له، تتألّف من عدة ملحقات تدعى بالعبرية «توسيفوت» و«بسيل توسينوت» وملاحظاتها الهامشية هي للرابي آشير، والبروث هامشيني، اوث للكاتب اليهودي موسى بن ميمون.

ويتألّف التلمود من ستة أجزاء هي:

١ ـ زيرائيم: ويختص بعلم النبات والزراعة.

٢ ـ مدايد: ويختص بالأعياد.

٣ ـ ناشيم: تعاليم متعلقة بالزواج والإرث.

٤ ـ نزيكين: ويتعلق بالتعويض عن الأضرار.

٥ ـ كوداشيم: ويختص بالقداس وطقوس العبادة ليهوه.

٦ ـ تدهورت: أي طهارات[1].

ولما كانت هذه المؤلفات يهودية صرفة وتستعمل لإعداد الطلبة وتدريسهم، والمعاملات والعبادات لليهود دون سواهم فإنّ مسألة الاهتمام والاطّلاع على هذه المؤلفات من الآخرين بقي بعيداً ودون متناول اليد، واستغلت الروح اليهودية ذلك وأدخلت في هذه المؤلفات ما لا يمكن لعقلٍ أن يتصوره ثم استكانت في الظلّ تعلم أطفالها كره الدين المسيحي والدين الإسلامي وكيفية القضاء عليهما! ونتابع:

ويطلق اليهود على الأجزاء الستة (شيشاه سيداريم) أي الأنظمة والأوامر(!!) ولها إضافات كراريس (ماسيكنوث) وفصول بيراكيم، وزائيريم أو زيئيريم الذي يضم أحد عشر كتاب هي:

١ ـ بيراخوث: للبركة والصلاة.

---

(١) حضارات، موسكاني.

٢ ـ بياه: عن الحقول.

٣ ـ ديماء: عن الشك.

٤ ـ كيلائيم: عن الأشياء.

٥ ـ شيبي ايث: خاص باليوم السابع.

٦ ـ تيرموث: عن الأضحية والتقديمات.

٧ ـ ما آسيروث: عن الضريبة.

٨ ـ ما آسير شيني: عن الضريبة العشرية الثانية.

٩ ـ شاللاه: عن العجين.

١٠ ـ أورلاه: حول الأشجار (وهي كلمة وثنية).

١١ ـ بيكوريم: التقديمات.

وأما «موإيد» فيضم اثني عشر كتاباً هي:

١ ـ شاباث: حول السبت.

٢ ـ ايروبهين: طعام السبت.

٣ ـ بيساشيم: قوانين عيد الفصح.

٤ ـ شيكاليم: حول الشاقل ووزنه واستعماله.

٥ ـ ايوما: يوم الكفارة.

٦ ـ سوكاه: وليمة خيمة الرب يهوه.

٧ ـ بيشاه: خاص ببيضة الولية الدينية.

٨ ـ روش ها شاناه: خاص بالسنة العبرية.

٩ ـ تآنيث: خاص بالصوم.

١٠ ـ ميغيللاه: خاص بالوثائق حول الولائم الدينية.

١١ ـ موايدكاتون: خاص بالأعياد الثانوية.

١٢ ـ متشاغيغاه: طقوس الأعياد الثلاثة[١].

---

(١) التلمود ص ٣٠، الأب برانيتس.

وأمّا ناشيم فيضم سبعة كتب هي:

١ ـ جياموث: حول الأقارب في القانون.
٢ ـ كيثوبوث: حول عقود الزواج.
٣ ـ كيدوشين: حول الخطوبة.
٤ ـ غينين: حول الطلاق.
٥ ـ نيداريم: حول النذور.
٦ ـ نازير: حول المنذور.
٧ ـ سوتاه: حول المرأة الزانية[١].

وأما نزيكيم أو نزيكين فيضم عشرة كتب هي:

١ ـ باباكاما: يبحث في الأضرار.
٢ ـ بابا ميتسيا: الممتلكات.
٣ ـ بابا باثرا: القوانين التجارية.
٤ ـ سانهدرين: خاص بالمحاكم.
٥ ـ ماكوث: خاص بالعقوبات.
٦ ـ ايداوث: خاص بالشهادة.
٨ ـ هورايوث: خاص بالأحكام.
٩ ـ ابهوداه زاراه: خاص بالوثنيين (الأديان غير اليهودية).
١٠ ـ ابهوث: خاص بالأبوة.

وأما ماكوداشيم فيضم أحد عشر كتاباً هي:

١ ـ زيباشيم: القوانين.
٢ ـ تشولين: الأشياء النجسة.

---

(١) المصدر السابق.

٣ ـ **ميناشوت**: حول اللحوم.

٤ ـ **ميخوروث**: حق البكورية (الابن الأول).

٥ ـ **ايراخين**: خاص بالتنسك.

٦ ـ **تبوراه**: المقايضة.

٧ ـ **ميلاه**: حول الخطية.

٨ ـ **كيرتيوث**: حول الضريبة.

٩ ـ **تاميد**: القربان.

١٠ ـ **ميدّوث**: حول مقاييس هيكل سليمان.

١١ ـ **كينيم**: حول الطيور.

ويضم تورهوث ١٢ كتاباً هي:

١ ـ **كيليم**: طهارة الأواني.

٢ ـ **اوهولث**: خاص بالخيم.

٣ ـ **نيغائيم**: الأمراض.

٤ ـ **باراه**: الحيوانات وطهارتها.

٥ ـ **توهوردث**: الطيور.

٦ ـ **ميكغااوث**: الآبار.

٧ ـ **ينداه**: خاص بالحيض.

٨ ـ **ماكيثرين**: خاص بالمستحضرات.

٩ ـ **زابيهيم**: خاص بالتدنيس الليلي.

١٠ ـ **تيبهول ايوم**: خاص بالاغتسال اليومي.

١١ ـ **ايادائيم**: خاص بنظافة الأيدي وطهارتها.

١٢ ـ **اوكيتسين**: خاص بالفاكهة.

وبذلك يكون التلمود بشكله كاملاً يحتوي على ٥٢٤ فصلاً في ثلاثة وستين كتاب وأربعة كراسات صغيرة هي:

١ ـ ما سيخيث سوِفيسريم: كراس الناسخين، حول كتب القانون في واحد وعشرون فصلاً.

٢ ـ ايبهيل رابيتي: حول الحداد في ١٤ فصل.

٣ ـ كاللاه: حول العروس في فصل واحد.

٤ ـ ماسيخيث ديريخ ايرتيس: أي مرشد الحياة يشتمل على راباه وزوتا وفصل خاص بعنوان بيديك شالوم (السلام)[١].

...لم يستطع اليهود مهاجمة المسيح عليه السلام في إصحاحات العهد القديم وتعذّر لهم ذلك لأسباب منها، أن التوراة تتحدّث عن مراحل سبقت ظهوره، ثم وذاك الأهم أنها متداولة بين الأيدي والشعوب فإن أقدموا على مهاجمة المسيح فيها جعلوا أنفسهم عرضة للحدث، وعليه استعيض عن ذلك من خلال التلمود وبكل أجزائه وفصوله وحتى التي لا علاقة لها بذلك.

فالتلمود مجموعة قوانين وأوامر تطاع، ولا يمكن التمرّد عليها بحال، أقلّه لدى الشعب اليهودي المطبّق لهذه التعاليم والمنفّذ لهذه الأوامر وهي رغائبه على كل حال، ولم يكن للآخرين مجال الاطّلاع على التلمود في الأزمان السابقة لصعوبة اللغة اليهودية من جهة وللسّرية التي كان يتمّ بها التعليم في أوساط معادية للديانة اليهودية «ليس هناك ما هو أسمى مقاماً من التلمود المقدس»[٢] وهو إلزامي دراسته أولوية مطلقة، وأحكامه نافذة.

ولقد بلغ العهر بالتلمود أن أدخل شتم الأنبياء في أماكن من موضوعاته قد لا تخطر على بال المراقب، مثال ما ورد في باب اغتسال المرأة(!؟) فيقول:

---

(١) المصدر السابق.
(٢) التلمود البابلي ص ٨.

«حين تخرج النسوة اليهوديات من الحمام، فمن واجبهن الحرص على الإلتقاء بصديق (يهودي) أولاً، لا بأي شيء نجس أو مسيحي(!!) إذ أن المرأة إذا فعلت ذلك (والتقت بمسيحي أولاً) وأرادت في الوقت نفسه أن تبقى مقدسة (طاهرة) فعليها أن تعود وتستحم مرة أخرى»[١].

ويكمل «على المرأة أن تحمم نفسها إذا رأت أي شيء نجس ككلب، أو حمار، أو سكان عالم الحياة الفانية (ميت) أو «مسيحي» أو عجل أو خنزير أو مجذوم»[٢].

وأما باب الحيوان فقد ورد فيه «الناس الذين يعبدون أوثاناً المسيحيون والذين يدعون حميراً وبقراً»[٣].

ويضيف «خنزير بري معلق، كأولئك العابدون الذين هم تابعون لذاك الذي تدلى (أي أن الخنزير يعلق كما علّق المسيح عليه السلام) ويوضح من هو الذي تدلى فيقول عنه أنه «جيشو آهانو نسري» أي يسوع الناصري، ويختصره مرات بجيشواو «ايماش شيمو فيزيكرو» «ليمحى اسمه وذكره» و«جيشو شكير» أي يسوع الكذاب و«جيشوا وتوباه» أي يسوع البغيض»[٤]وأما أتباعه فهم «هاميشتا شاڤيم ليهيبهيل فاريل» «وميتاليليم ليلو ايوشا» وتعني: أولئك الذين يتلحنون إلى أسفل بتفاهة وحماقة ويعبدون الذي لن يجيبهم[٥]!

ويحاول التلمود عدم الإتيان على ذكر عيسى عليه السلام كي لا يحتسب ذلك عليه اعترافاً بالمسيح، واستعاض عن الذكر بأوصاف أصبحت لكثرة تداولها

---

(١) ايورديا هاغاه ٤٨.
(٢) فصل بيور هيتب، تعليق على شو لشان آروخ.
(٣) زوهار ٢٦٤.
(٤) كتاب ابخاث روخيل.
(٥) الصلاة اليهودية.

بين الشعب اليهودي معروفة القصد والهدف ومنها «أوثوايش» أي ذاك الرجل «يدعى مسيحي من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة»[١] و«رجل معين» والخ. . .[٢] (على غرار ما مرّ معنا عن أنه ابن زنا)[٣]!

ولم تكتف الروح اليهودية بالتشنيع على المسيح عليه السلام، بل روّجت رواياتٍ هادفة حوله لإثارة الشبهات حيث نجد «قال أنا أصعد إلى أبي، الذي في السماء وأجلس عن يمينه، وهذا ما ستراه يا يوداس، ثم لفظ يسوع الاسم العظيم للإله فهبت ريح وحملته بين الأرض والسماء، ولكن يوداس لفظ الاسم أيضاً وبطريقة مماثلة رفعته الرياح، وبهذا عام الاثنان بالهواء وسط ذهول المتفرجين، وراح يوداس يمسك بيسوع وهو يدفع به إلى الأرض، لكن يسوع حاول دفع يوداس فنشب بينهما قتال متواصل، وعندما تأكد يوداس أنه لن يفوز في النهاية ضد يسوع «بال عليه» فسقط الاثنان على الأرض لأنهما تنجّسا»[٤].

وتابع التلمود إهاناته للمسيح عليه السلام فقال: «إنّ يسوع مات كبهيمة[٥] وشنق على الصليب[٦] وحذّر (إذا التقى يهودي[٧]. . . وحتى لو انغرزت شظية في رجله (اليهودي) فليس من واجبه أن ينحني أمام المسيحي»[٨].

لأنّ تعاليمه كاذبة «قانون المسيحيين المكتوب هو إذا ضربك يهودي على أحد خديك أدر له الآخر، حتى المسيح نفسه لم يتصرّف بمثل ذلك لأننا

---

(١) كراسة ابهوداه زاراه ٦أ.
(٢) كراسة تشاغيخاه ٤ ب.
(٣) كراسة كاللاه ١٨ ب.
(٤) كتاب تولدوث جيشو.
(٥) كتاب زوهار ٢٨٢.
(٦) كتاب سانهدرين ٤٣أ.
(٧) كراسة اورايش شائيم ١١٣.
(٨) كراسة ايورديا ١٠٥.

حينما ضربناه على وجهه غضب وسأل: لماذا تضربني سوف يضربك الله بقوة[1] (وألفاظ بذيئة)!

وهناك كتاب يدعى افين غيلائين (مجلدات شريرة) مكتوبة عن الإنجيل بصورة هزء وسخرية[2].

ونتابع «المسيحيون وثنيون» لذا «لا يجب أن يبقى ذكور الحيوانات (المسيحيين) في حظائر الأغيار (اليهود) ولا الحيوانات مع نساء الأغيار ولا ندع الأطفال في رعايتهم»[3].

ويضيف «غير مسموح اقتراب حيوانات اليهود من الغوييم لأنهم يضاجعونها»[4] وهم «يزنون مع الحيوانات والخرفان الإسرائيلية أكثر من نسائهم»[5] وإن مات مسيحي فالعزاء به يكون «عوّض الله عن فقيدك كما لو أنك تتحدث عن فقد حمار أو بقرة»[6].

وأما الرهبان فهم كوماريم (عرّافون) وغالاشيم (حالقو الرؤوس) والكنيسة إن هي إلاّ «بيت ثفلاه» أي بيت الباطل و«بيت هاتوراف شيل ليشيم» أي بيت الشيطان[7]وأعيادهم «١ يوم ايد» أي يوم الإبادة «أعياد المسيحيين يوم نكبتهم»[8].

لقد لقن اليهودي انه مساوٍ للإله ولذلك «فإن من يضرب إسرائيلياً فهو

---

(١) كتاب نيزاشون.
(٢) شابات ١١٦أ.
(٣) ابهوداه زاراه ١٥ب.
(٤) ابهوداه زاراه ٢٢ب.
(٥) المصدر السابق.
(٦) ايورديا ٣٣٧.
(٧) ابهوداه زاراه ٨، ، ميمونيدس.
(٨) ابهوداه زاراه ٧٨ س، ميمونيدس.

يهين وجه جلالة الله المقدس» من هنا فإنّ على اليهودي (المقدس) أن لا يردّ تحية المسيحي[1] بل يقول: «السلام على ربي»[2] كي لا يذهب سلامه عبثاً أو يتنجس منه.

ومن المحرمات على اليهودي عند المسيحيين أي في منازلهم وأحيائهم:

١ ـ يحرم أكل خبزهم وحليبهم ولحمهم (ذبائحهم)[3].

٢ ـ لا يجوز لبس ثياب من إنتاجهم[4] ولا شراء ما يصنعون[5].

٣ ـ الآنية التي يصنعونها يجب تطهيرها بحوض سعته عشرة غالونات.

٤ ـ ويحرم امتلاك أشيائهم (بخور ـ شموع) أو كتبهم أو بيعها[6].

٥ ـ لا يجب إرضاع أطفالهم ولا تلقينهم أساليب العلم والتربية[7].

٦ ـ لا يجب التداوي مع أطبائهم وحلاقيهم أو مولداتهم[8].

٧ ـ يجب تحطيم أوثانهم ودعوتها بأسماء حقيرة.

ومن المسائل التي يعلمها التلمود «كراهية الأوثان خصوصاً إذا كانت في كنيسة (بثياغاليا) ويجب تسميتها بثيا كاريا (أي بيت الحقارة) وبيت الخنازير وبيت المراحض (كاريا= مرحاض)[9] وأما رجالهم فهم كيدوشيم

---

(١) كراسة غيثين ٦٢آ.
(٢) الرابي كوهانا.
(٣) ايورديا ١١٢.
(٤) ايورديا ١٧٨.
(٥) ابهوداه زاراه ٧٢ب.
(٦) ايورديا ١٥١.
(٧) ايورديا ١٥٣.
(٨) ابهوداه زاراه ٦٢آ.
(٩) الرابي بيشائي عن سفر التثنية.

وبالعبرية المحرّفة كيديدشيم أي رجال مخنثون بدل مقدسون وأما الراهبات فهم كيديشوت أي مومسات وعيد الفصح عيد كيساش أي عيد الشنق وهم «برهم ميزابيليم» أي يتغوطون أمام إلههم[1].

ولم يكن للمسيحية ولا لرجالاتها أي اطّلاع على التلمود وتعاليمه، لذا وفي ظلّ دعايات الروح اليهودية وأكاذيبها في العهد القديم «آمنوا بمقولة شعب الله المختار وعملوا لها»[2]، ولنأخذ وكمثال المؤتمر العام للشعب المسيحي وقراراته بالإجماع وما جاء فيها:

نصّ القرار

. . . حيث أن الرب يسوع، شرع حوالي عام ١٨٧٤ إتماماً للنبوة الإلهية في العمل لتهيئة الطريق أمام يهوه(!!) وليعيد إلى أتباعه الأمناء في الأرض القوة على أن يفهموا(!!) الحقائق بصورة أجلى التي علمهم إياها المسيح ورسله ومضت عليها قرون. . . يتمها في العيون اندفاع آخرين في تعليم التعاليم الكاذبة. . . وان نخبر الحكام عن مملكة الشيطان العاتية ولا سيما ما له صلة بالمملكة المسيحية التي هي شرّ قسم في هذه المملكة المنظورة وعن عزم الرب على تدمير مملكة الشيطان قريباً وما يتلو ذلك أي منح المسيح الملك للشعوب المطيعة في الأرض سلاماً. . .

وتعتقد هذه الجمعية أن يهوه هو الله هو الروح العظيم الذي لم يره أحد من الناس. . . والمسيح يسوع هو رسم جوهر يهوه وارث كل شيء ملك العالم الممسوح من الله وان إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونسلهم هم الذين يؤسسون مملكة المسيح ويكونون رؤساءها. . . وان الممالك الحالية الدينية والسياسية هي ممالك الشيطان خصوصاً أميركا وانكلترا البروتستانتية اللتان

---

(١) الرابي ايارشي.
(٢) الأخوة الزائفة ص ٣٦، جاك تني عضو مجلس الشيوخ الأميركي.

أخذتا على عاتقهما إرشاد الناس إلى المسيحية فسيكون قصاصهما أشد بتلاشيهما أولاً. . . وان مملكة العالم الكامل سوف تكون في أورشليم وستغرق الإنسانية في بحر من الدماء وتبقى راية الشعب الإسرائيلي مرفوعة فوق العالم كله»[1]

(١) كتاب الملكوت رجاء العالم عن مؤتمر أوهايو ٢٤ تمموز ١٩٣١.

القسم الثالث

المرحلة الرومانية

وبعودة إلى زمن يسوع لنجد أن وضع الرومان[١] السلطوي كان يشهد بداية الانحدار[٢]، على الرغم من خضوع عشرين مليون إنسان لهم في ذلك الوقت[٣] ولم يكن عديد الرومان حينها إلاّ مائتي ألف إنسان فقط. (نفس المصدر).

وأما فلسطين فقد شهدت تطورات عدة أهمها قيام فسياسيان بإخضاع يهوذا المتمردة خلال حكم نيرون، وما فعله تيتوس أيضاً بعد أربعين سنة من ارتفاع عيسى عليه السلام [٤]، ويقول اليهود إنّ نساءهم ذبحت[٥] وأن مليون إنسان منهم قتل في تلك الحادثة[٦] وأدّت إلى مرحلة الشتات وهو كذب وتزوير لأنّ ثورة أخرى ما لبثت أن قامت وفي أورشليم نفسها عند ظهور المسيح المنتظر (ميسايا) واسمه باركوخبا أي ابن النجم وأطلق عليه باركوزيا أي ابن الكذب بعد هزيمتهم أيام هادريان[٧].

---

(١) الحضارة ص ٤٨، د. حسين مونس.
(٢) توينبي.
(٣) الحروب اليهودية، يوسيفوس.
(٤) تاريخ الطبري الجزء الأول ص ٨٥١.
(٥) الحروب اليهودية، يوسيفوس.
(٦) المصدر السابق.
(٧) كتاب فلسطين ص٤، المؤرخ اليهودي هيا مسون.

بلغ عدد جيش باركوخبا مائتي ألف جندي يهودي وما لبث آخرون أن التحقوا به فيما قدم البعض الأموال للدعم مما ساعده على احتلال القدس مختلف الحاميات الرومانية، ولكن الأهم من ذلك كله كان الموقف المسيحي الرافض لحركته تلك والتي سرعان ما قضي عليها كما أشرنا على يد جوليوس سيفروس[١] الذي احتلّ القدس فهرب اليهود إلى بيثار ولكن الرومان لحقوا بهم وأعملوا فيهم السيف وشتتوهم من البلاد وبنوا مدينة مكان أورشليم دعوها إيليا كابتيولينا[٢]، ومنعوا دخول اليهود إليها مائتي عام[٣].

ويظهر التاريخ أنه وبعد ثورة باركوخبا «لم يبق من مظاهر اليهودية» في فلسطين إلاّ بعض المدارس والمحكمة السنهدرين التي كانت تنتقل من قرية إلى أخرى[٤]، ثم اتّسعت الهجرات اليهودية إلى أن حصل أول استقرار فعلي لليهود بعد باركوخبا في منطقة جورجيا (الروسية) حوالي عام ١٣٥م بعد عبورهم شاطىء البحر الأسود شمالاً وترانسكافانيا وطوران[٥].

وكانت الحركة اليهودية باتجاه أوروبا الشرقية بطيئة دون أي ظهور تاريخي وتوطنوا منطقتي الفولغا والدون (القوقاز) ثم اختلطوا بالخزر بعد اعتناق ملكهم لديانة يهوه وتزاوجوا معهم وأسسوا مملكة يهودية ظهرت إلى العلن[٦].

والخزر قبيلة تركية الأصل، رحلت من المناطق الآسيوية في القرن الخامس قبل الميلاد، وأدّى بها الخوف من الذوبان بين القوى المتصارعة إلى اعتناق اليهودية دون أن ننسى المال اليهودي ودوره مع مليكها[٧] في القرن الثامن للميلاد.

---

(١) الموسوعة البريطانية.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) نبتوش ص ٩.
(٥) الشخصية اليهودية ص ١٢، د. رشاد الشامي.
(٦) ثمن إسرائيل ص ٩٦، الفرد ليلنتال.
(٧) امبراطورية الخزر ص ٢٢، آرثر كوستلر.

والقبائل الخزرية إن هي إلاّ خليط من شعوب شتى بعضها آري (أوروبي شرقي) وآخر آسيوي أو هوني (قبائل الهون) ثم دخل العبرانيون دون أن يغيروا من الطابع القبلي لهذه الشعوب المتحدة والتي جعلت من تل عاصمة لها وكان بها بعد ذلك مسلمون ويهود ومسيحيون[١].

وقد أزيلت دولتهم على يد الروس والبيزنطيين عام ١٠١٦ في معركة دمّر فيها جيش الخزر بقيادة جورجيوس، فعاد اليهود إلى الترحال من جديد باتجاه أوروبا وعلى الأخص ألمانيا.

وأما الهجرة إلى الجزيرة العربية فقد وجدت موطىء قدم لها عند ملوك مملكة حدباب وهناك راحوا يروّجون أنهم ذوو رحم مع العرب فتهوّد عدد من حمير، وكنانة، وبني الحارث وكعب، وكندة، وغسان وكان تبع قد نقل معه عدداً من الأحبار اليهود إلى اليمن فتهوّد ومعه قوم من بني الحارث بن كعب وجذام وانتقل اليهود منها إلى يثرب فكان منهم بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو ماسلة[٢].

وكعادتهم احتكر اليهود التجارة والمداخيل التجارية ومراكزها، فأحكموا سيطرتهم وعاشوا حياة أمن ودعة حتى قويت شوكتهم فعمدوا إلى ذبح النصارى وإحراقهم في الأخدود[٣].

عندما قام الرسول محمد ﷺ بدعوته تعامل مع اليهودية كدين توحيدي ومذهب يمثل قوة اجتماعية ودينية، فعقد معهم الأحلاف[٤] ولأنّ تعدادهم في يثرب كان كبيراً وكذلك في المدينة ومكة فإنّ مصالحهم كانت

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي.
(٢) مروج الذهب الجزء ٢ ص ٧٨، المسعودي.
(٣) تعدد الأديان ص ١٩٩، جورج قرم.
(٤) المصدر السابق.

تطلب دوراً سياسياً مارسوه على السكان وقادتهم فلما أحسّوا بالتغيير الحاصل مع الدعوة الإسلامية وانتشارها وبالتالي ضياع مصالحهم اختاروا الانحياز إلى النظام القديم الذي حقق لهم السيطرة وراح مثقفوهم يشنعون على الرسول ﷺ ومسألة نزول الوحي[١].

لقد كان الإتجار بالربا وصياغة الذهب عماد السيطرة اليهودية وبما أن دعوة الرسول ﷺ حرمت الربا وأظهرت عدم صحة الإدّعاء اليهودي بالفوقية وبالاختيار الإلهي حتى أنه ﷺ حذّرهم مراراً «يا معشر يهود احذروا من الله» ولكنهم أبوا عليه إلاّ الحرب والخديعة[٢] وكان من أمرهم أن امرأة مسلمة قدمت بمتاع لها تبغي بيعه في سوقهم فعمدوا إلى ربط ذيل ثوبها وكشفوا سوأتها، فوثب رجل من المسلمين للمدافعة عنها فقتلوه. وأذن الرسول عندها بقتالهم وفي بني النضير، قدم إليهم بسلام، ولكنهم من خلفه بعثوا عمرو بن جحش بن كعب ليلقي عليه صخرة في الطريق، ثم انبرى عبد الله بن أبي بن سلول يحرّض عليه القبائل لمحاربته، فما كان منه ﷺ إلاّ أن أجلاهم إلى خيبر مع متاعهم وأولادهم وذراريهم دون نقصان[٣] ولم يلبث سلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وهم من زعماء اليهود أن حزّبوا على رسول الله أهل مكة فقالت لهم قريش «يا معشر اليهود أنكم أهل الكتاب الأول، أفديننا خير أم دين محمد، قالوا، بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه»[٤]، ثم انقلبوا يحرّضون غضفان على حرب المسلمين فكانت وقعة الخندق نتيجة ذلك التحريض.

ثم انه لما كانت وقعت بني قريظة، ومحاصرة الرسول لهم أنه ﷺ

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد قره علي.
(٢) السيرة النبوية الجزء الثالث ص ٤٦، ابن هشام.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

أوكل إلى سعد بن معاذ بن الأوس أن يحكم فيهم، فحكم بقتل رجالهم وتقسيم أموالهم وسبي ذراريهم فأبوا حتى تقدم إليهم الإمام علي عليه السلام والزبير بن العوام وهددهم الإمام قائلاً «والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنكم، فاستنزلوا وقتل منهم سبعمائة رجل[1] ولم يكن حال خيبر وحصن ناعم والقموص وحصن العقيق بأفضل من حال قريظة وبني قينقاع والذين رغم عهد الرسول لهم عملوا على التحريض والفتنة شأنهم في ذلك شأن قومهم السابقين فأجلاهم عمر بن الخطاب عن الجزيرة العربية نهائياً[2]، لكنه سمح لقسم منهم بالعودة إلى فلسطين والتي أدّى فتحها على يد العرب لإنقاذ من بقي من اليهود فيها من الدمار[3] وكان لهم المسلمون منقذين مما هم فيه[4] حيث تحولت فلسطين في ظلّ الإسلام إلى «واحة حرية لليهود»[5].

يقول الرئيس الهندي جواهر لال نهرو «إن الديانة التي بشّر بها محمد وبساطتها واستقامتها والديمقراطية والمساواة اللتين أعلنتهما هذه الديانة، ذلك، حظيت بصدى واسع لدى شعوب البلدان الأخرى التي عانت لأمد طويل نير الحكّام والملوك والطغاة والكهّان والقساوسة الذين لم يكونوا أقلّ طغياناً وتعسّفاً من الملوك، لقد تعبت الشعوب من النظم القديمة ونضجت لتقبل الجديد، فقدم لها الإسلام هذا الجديد[6].

من هذا المنطلق فإنّ افتتاح الأندلس أنقذ يهودها من الفناء وكانوا فيها عرضة للمذلّة والعسف، ولما حكمها المسلمون سمحوا بترجمة كتابهم المقدس الذي كان الغوطيون المسيحيون قد فرضوا عليهم «الحكم العرفي

---

(١) السيرة النبوية الجزء الثالث ص ٤٦، ابن هشام.
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد قره علي.
(٣) دائرة المعارف اليهودية.
(٤) فلسطين ص ١٥، اليهودي هامبسون.
(٥) المصدر السابق.
(٦) نظرات في تاريخ العالم، جواهر لال نهرو.

ومنعوهم من حق المساواة»، وبالرغم من أنهم أي اليهود كانوا كتلة كبيرة فإنّ الصراع المسيحي اليهودي القائم على البغض والتعصّب أدّى إلى سوء وضع هؤلاء اليهود إذ كانوا «يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد» وكانت الكنيسة وقد اشتدّ ساعدها تحاول تنصير اليهود بالقوة وتستعمل لذلك العنف، ففي عصر الملك سيزبوت (سيفسوط) فرض التنصّر على اليهود أو النفي أو مصادرة الممتلكات فاعتنق النصرانية كثير منهم رياءً وكذباً (٦١٦م)[١]، ثم ركنوا إلى التآمر واتصلوا بيهود المغرب لمعاونتهم غير أن مؤامرتهم انكشفت قبل نضجها (٦٩٤م) في عهد الملك أجيكا، والذي وبتأييد الأحبار في طليطلة اعتبرهم مرتدين عن الدين النصراني، فنزع أملاكهم في سائر الولايات الإسبانية وحولها وحكم عليهم بالتشرّد والرقّ الأبدي للمسيحيين ثم قرر أن يهبهم عبيداً وأن لا يسمح لهم باسترداد حريتهم ما بقوا يهود أو أن يؤخذ منهم أبناؤهم منذ السن السابعة ويربون على دين النصرانية»[٢].

وعلى مدى قرون ثمانية وفي ظل الإسلام أصبحت اسبانيا البلد الأوروبي الوحيد الذي يتمتع فيه اليهود بحماية الدولة[٣] وصار عددهم كبيراً جداً هناك[٤].

عند انهيار الحكم الإسلامي في اسبانيا، وبدءاً من عام ١٥٤٥ فرض على من بقي من العرب واليهود التنصّر وبالقوة، وأقيمت لهم محاكم التفتيش حيث أحرق الكثيرون منهم، وقام كردينال طليطلة الورع الذي كان يرأس محاكم التفتيش بالإيعاز لقطع رؤوس جميع من لم يتنصّر من المسلمين واليهود، كما وتمّ قتل مائة ألف مسلم دفعة واحدة[٥]، وأصاب اليهود من القتل والتذبيح ما لم يعانوه من قبل!

---

(١) ابن الأثير الجزء الرابع ص ٢١٣.

(٢) تاريخ لانجدوك، الراهب دوم فيزيت.

(٣) دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول ص ٥١، محمد عبد الله عنان.

(٤) حضارة العرب، غوستاف لوبون.

(٥) المصدر السابق.

كنّا قد أشرنا في البدء إلى بطء انتشار الدعوة المسيحية وحتى بعد قرن من انطلاقتها، وقام رسل السيد المسيح عليه السلام وتبعاً للمضايقة اليهودية لهم، بالانتشار حتى سواحل لبنان وسوريا ومن ثم روما، وكان أولئك التلامذة أناساً عاديين ضعافاً أمام الأزمات[1] فلم يكن أي إنسان ليرى فيهم قديسين لاحقاً[2] وكانوا يعتبرون يسوع أنه واحد من الأنبياء[3]، فلقد أعاد تفسير ناموس موسى مركزاً على روح الناموس ورفض القيادة الدينية اليهودية، ولذا ظلّ الاعتقاد بيهوديته سائداً ولفترة طويلة «لقد كان يسوع يهودياً، يحترم ناموس موسى وعادات اليهود ويحافظ على المواسم والأعياد ويحضر العبادة في الهيكل وكانوا ينادونه باسم رباي أي المعلّم (باليهودية) ويبدأ حديثه بقوله: أما أنا فأقول لكم بدلاً من العبارة اليهودية التقليدية قال الرب»[4].

لم يقم يسوع في حياته بإقامة ووضع تفاصيل العبادة والطقوس والمستلزمات العبادية الأخرى لرسالته، وحتى أن المسيحيين بعده عاشوا جماعات صغيرة معزولة تمارس القليل من الشعائر وبعضها مستقى من العهد القديم نفسه، ثم إنّ اليهود أنفسهم اعتبروهم يهوداً محافظين قبل أن يعيدوا النظر لحرب هذه الجماعة المارقة في الدين وطردهم من المجمع اليهودي.

واستمرّ المسيحيون سنوات دون اسم، معتبرين أنهم لازالوا يهوداً شاهدوا المسيح المنتظر وعايشوه وتبعوه وينتظرون خروجه من جديد، متممين الصلاة والعبادة في الهيكل اليهودي نفسه إلاّ أنّ هؤلاء وبعد معمودية حنّا المعمدان اتجهوا نحو الانفصال عن اليهودية واتخذوا يوم الأحد يوماً

---

(١) تاريخ الكنيسة الجزء الأول ص ٤١، جون لوريمر.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

للرب واليوم المقدس لكسر الخبز والتقدمة الإلهية[١].

كان السائد يومها العنصر الأسخاتولوجي وفكرة انتظار رجوع المسيح ثانية كما وعد[٢]، وراحوا يجتمعون بانتظاره في بيوت الأتباع نظراً للضغوط والتهديد اليهوديين، والذين منعوهم من إقامة صلواتهم في الهيكل ولم تكن فكرة الكنيسة قد ظهرت بعد والتي تأخر ظهورها حتى بدت مسألة الاعتراف للرسل والقساوسة فأصبح مجمع أورشليم شبه كنيسة تحت قيادة يعقوب، تم إنشاء لجنة السبعة لتوزيع الأطعمة على الفقراء ومن خلال هذه اللجنة ظهرت المسيحية للعلن وبدأ انضمام الكثيرين إليها، فلم يقف الكهنة والصدوقيون متفرجين وقام اسطفانوس معلناً «ان الله لا يسكن في هياكل وصنوعات الأيدي» فهاجمه جمع اليهود وجرّوه إلى باب أورشليم ورجموه هناك حتى مات، ثم اتّسعت أعمال القتل اليهودي بالمسيحيين تحت قيادة شاوول الطرسوسي حتى لم يبق في أورشليم مسيحي واحد وفرّ من نجا منهم إلى السامرة وقيصرية وتبع شاوول الهاربين حتى دمشق[٣]، عندها اتّسعت الهجرة المسيحية باتجاه قبرص وأنطاكية[٤] وهناك ظهرت المسيحية تحت اسم بهدف فصلها وتمييزها عن اليهود واليهودية[٥].

في هذا الوقت تطورت فكرة الكنيسة من منطلق عبادي فظهرت للوجود كنيسة سريانية بين الآراميين وكنيسة الناصريين في بيللا شرق الأردن سنة ٧٠م، إلاّ أنهما لم يكونا مراكز عبادة بمعناها الكامل وإنما تمّ اعتبارها كمراكز لانتظار ظهور المسيح ثانية ورغم محاربة اغريباس (هيرودس) وملاحقته لهم فإنّ المسيحيين واظبوا على الاجتماعات في تلك الكنائس البدائية تحت اسم

---

(١) أعمال الرسل ٢٠.
(٢) متى: ٢٤، ٣٢، ٣٦ ـ مرقس: ١٣ ـ لوقا: ٢١.
(٣) أعمال الرسل ٩.
(٤) المصدر السابق ١١.
(٥) فيوسابيوس.

التهوديين ثم أتى الجيل الثاني فاتجهت الكنيسة لتصبح أممية لا يهودية[1] وأخذ الصراع وجهه.

كثيراً ما حاولت الروح اليهودية أن تستوعب المارقين المسيحيين مستعملة القوة والقسوة لردعهم دون جدوى فعمدوا إلى إبدال منهجية الصراع مع المسيحيين بتحويل هذه الحركة إلى حركة انشقاق تهودي.

إنّ مشكلة التهوّد أي الحياة كيهودي خطر كاد يقضي على المسيحية في مهدها، إذ لم يكن لدى هؤلاء نظم عبادية، وسرعان ما اصطدم المبشرون المسيحيون وجلّهم من اليهود اليونانيين، بحزب الختان اليهودي، ومسألة الولاء لليهودية أو الولاء لروما، ومسألة الذبح والطعام، ورغم براعة بولس فإنّ مجمع أورشليم لم يجد حلاً لهذه المسائل وراحت اليهودية المسيحية في المبشرين تضغط حتى اضطرّ بولس نفسه لختن تيموتادس رفيقه كي يسكتهم، ولم تهدأ المشكلة اليهودية داخل أتباع المسيحية إلاّ بسبب معارك الرومان واليهود في أورشليم، والتي أدّت إلى فقدان اليهود قدرات الضغط على المسيحية فراحت تبتعد في تعاليمها رويداً رويداً عن صلب الديانة اليهودية.

وسرعان ما ظهر عدد من أسفار العهد الجديد (للدلالة عن بعده عن الدين اليهودي في العهد القديم) ومما ظهر الرسائل الرعوية ورسالة العبرانيين ويعقوب وسفر الرؤيا.

أدّى سقوط أورشليم بيد الرومان (٦٦ ـ ٧٠م) إلى ظهور الكنيسة الأبيونية التي اعتمدت على إنجيل متى وأبقت أورشليم قبلة صلواتها، ولكنها لم تعمّر طويلاً نتيجة اتّساع الشرخ مع اليهود، إذ أنه وفي خضم نتائج المعركة العسكرية وإحساس الروح اليهودية بأنها فقدت قدرة المواجهة مع المسيحيين عمدت إلى إبدال كتبها الدينية من اليونانية إلى اللغة العبرية، وبذلك فقدت

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ٥٩.

النسخة السبعينية للتوراة مصداقيتها وقداستها والتي كان المسيحيون يعتمدون عليها للصلاة، ثم قام اليهود بحرب شعواء على المسيحية من جديد وعلى أتباعها إن في فلسطين على يد باركوبا (١٣٢ ـ ١٣٥م) أو في أنطاكية وروما وسائر مناطق نفوذهم التجاري مصممين صلاة خاصة ضد الدعوة المسيحية تقول «لينقطع رجاء النمامين وليفن الأشرار في لحظة، ولينقطع أعداؤنا»[(١)] (من بركات هافيهم للرابي صموئيل هاكاتون).

كان ردّ الفعل المسيحي على ذلك المرارة وعدم الثقة، وأخذ الحقد على اليهودية يزداد وازدادت معه الكراهية لهم، ومن خلال رسالة لتيطس تطورت النظرة نحو اليهودية على أنها «اليهودية مصدر الخرافة والفساد»[(٢)]، وفي سفر الرؤيا ظهر إلى العلن أن اليهود هم أتباع مجمع الشيطان ومع برنابا وأغناطيوس «أنه من الجنون أن نتكلم عن يسوع وأنت يهودي» وبدأ الشرخ يتسع وازداد الكره، وسقط التهويد وإن ترك أثراً دفيناً!

لم تقف الروح اليهودية عند هذا الحدّ، بل عمدت إلى استغلال عدم ظهور المسيح ثانية وتأخر مجيىء الرب فدفعت أمام المسيحية مبدأ الدوسيتية دافعة الغنوسيين ليشكلوا أول انحراف فعلي في الديانة المسيحية الجديدة، وراحت الدوسيتية تروّج وبدفع يهودي «أن جسد المسيح كان مظهراً وليس حقيقة وهكذا فإنّ مسألة صلبه وتألّمه ليس حقيقياً» ثم توسّعت الدوسيتية لتشكك في وجود المسيح كإنسان وأن الذي صلب عنه كان «سمعان القيرواني» مستغلة التراث الفلسفي اليوناني الشرقي الذي يرفض مبدأ اختلاط الإله بالجنس البشري.

ولقد كانت الغنوصية نزعة تجمع بين الفكر الفارسي والمصري والأفلاطوني معتبرة أن توت هو العقل الإلهي المتجسّد، وهو الذي كتب ووضع الشرائع

---

(١) دائرة المعارف اليهودية ص ٢٧١ جزء ١١.

(٢) تيطس ١.

للناس[١] واستغلها اليهود أيّما استغلال خصوصاً بعد فشل ثورة باركوخبا وبروز عدم الثقة لأنّ الله لم يخلّصهم على يده (باركوخبا)[٢] كما وعد، واتّخذ اليهود من سيمون الغنوسي اليهودي في الساحة إلهاً واعتبروه مخلّصاً لهم (سيمون الساحر)[٣] ويقول ماكجفرت[٤]: إنّ تعاليم الغنوسية كانت متطابقة شبيهة) مع تعاليم بولس ويوحنا ويسوع نفسه، وكانوا يعتبرون أن المسيح كائن إلهي جاء من السماء وأنّ العهد القديم لم يكتبه الإله يهوه وفصّلوا الكائنات إلى قسمين، قسم يشارك في النور السماوي الإلهي وقسم حرموا منه(؟!) وأن الله (الأب) خلق العقل (الابن) لكي يعطي المعرفة[٥].

كانت الغنوسية تشكّل خطورة على الدين الجديد، لأنها راحت تفسّر المسيحية وتضع لها تعاليم من لدنها ومن منطلق ما تؤمن به ونجحت بنشر تفسيراتها هذه بين الناس لا بل تركت أثراً على توجيه الفكر المسيحي في المستقبل، وبذلك أمكن للروح اليهودية دق إسفين «الجدل» في النظرة إلى تعاليم الدين الجديد، وتشتيت التطلعات العبادية لدى أتباعه، بحيث أن العديد من المفكرين المسيحيين انحازوا إلى توجيهات الغنوسية ووضعوا حول آرائها الكتب وروجوا لها، ليس هذا فقط وإنما جرف التيار مفكرين كنسيين فسّروا الكتاب المقدس برموز التعاليم هذه، ويمكن تصوّر ما أحدثوه من أثر في المجتمع المسيحي وما أوجدوه من انشقاقات فيه[٦].

وأمّا المارسونية والتي ظهرت أوائل القرن الثاني الميلادي على يد الكاهن التاجر الأسبق مارسيون فإنها أوجدت شروخات عدة في الجسم

---

(١) عالم المصريين ص ٦٤، جاك شامبليون.
(٢) تاريخ المسيحية الجزء الأول ص ١٠٥.
(٣) جاستن مارتن.
(٤) تاريخ الفكر المسيحي ص ١٥١، ماكجفرت.
(٥) إنجيل الحق، نجع حمادي.
(٦) تاريخ الكنيسة الجزء الأول ص ١١٢.

المسيحي لاتزال آثارها تتفاعل حتى اليوم، ولقد روّج مارسيون «إنّ إله العهد القديم إله ضعيف وغير حقيقي ودون المستوى المطلوب منه، وأنه شرير وديكتاتوري خلق البشر ودفعهم إلى الخطيئة، وعاقب الأبرياء (اليهود) دون سبب لأنه يقول: «أنا مصدر النور، وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه (اشعيا: ٤٥) فكيف يكون الإله ذاك هو يسوع؟ وهل يعقل أن الإله الذي جعل دبتين تفترسان الصبية الصغار (ملوك ثاني: ٢) هو نفس الإله الذي تكلّم في المسيح قائلاً دعوا الأولاد يأتون إليّ (متّى: ١٩)»[1].

ومن خلال نظرته هذه، أسهم مارسيون بفصل اليهودية والمسيحية وكان ذلك مطلباً يهودياً صرفاً هدفه الحدّ من انتشار الدين المسيحي بين الشعب اليهودي من منطلق صلة الديانتين، كما وأنّ قيام مارسيون بزرع بذرة الشك أوجد سلسلة طويلة من الجدل حول ماهية يسوع عليه السلام.

ويتابع مارسيون: «إنّ الإله الحقيقي إله محتجب، ظهر بشخص يسوع ليخلّص الناس من الإله يسوع» وهذه الفكرة كانت المقدمة والإيذان لانتشار ألوهية يسوع بين أتباعه، وأخذ مارسيون يروّج لأفكاره عبر مقارنات بين الإله يهوه المحارب والإله يسوع المنادي بالمحبة، وكانت أفكاره وتعاليمه رغم أهميتها على المستوى المسيحي تحمل بذور التناقض مع أصل انبعاث الدين وجوهر رسالة المسيح عليه السلام وتتناقض مع المبدأ الذي أشار إليه المسيح نفسه بأنه جاء ليصلح الديانة اليهودية، لقد أدّى الفصل بين الديانتين بالأسلوب العشوائي لمارسيون إلى إيجاد ظلال من الشك والحيرة حول حقيقة رسالة المسيح، وهل أنها دمج بين يهوه (رسالة موسى) وبين يسوع كإله للرحمة بشخصه «ان الديانتين يمكن أن تتجمعا في كائن واحد أبدي»[2] وبتجمّعها معاً

---

(١) المصدر السابق ص ١١٦.
(٢) المصدر السابق ص ١١٧.

تجتمع الصفات بين إله الحرب (يهوه) وإله المحبة يسوع. وحول ذلك كتب ايريناوس يقول: «لقد جدف مارسيون على الله وأهمل الكثير من تعاليم المسيح ووضع نفسه في مرتبة أعلى من الرسل الذين سلموا لنا الإنجيل»[1].

ولقد كان لتحرّك مارسيون بإيحاء من الروح اليهودية وانتشار تعاليمه أن الكنيسة وجدت نفسها أمام أسئلة محرجة لم تكن قد استعدّت لها بعد، والأسئلة هذه عصفت حتى شطرت الكنيسة بأكثر من اتجاه وتوجّه لأنّ النقاش الذي ولّده مارسيون حول طبيعة الله وصلته بالمسيح وتفسير الكتاب المقدس بحسب النظرة الشخصية له أدّيا إلى اتّساع الخلاف داخل الكنيسة وأتباعها، وكان انتصار آخر للروح اليهودية.

وفي منتصف القرن الثاني للميلاد ظهر «مونتانس» وأعلن أن المسيح قادم إلى الأرض، وأيّده بذلك نبيتان «بريسكا» و«مكسيميليا» حيث نادتا بالصوم والامتناع عن المحارم وشرب الخمر بانتظار يسوع، واعتبرتا أن الوحي (وليس الكهنة كعادة اليهود) هو أساس العبادة الحقة (مبدأ وحي يهوه) والتعاليم المرسلة عبر الروح التي تملأ الأنبياء، وتحلّق حول النبيتين أتباع كثيرون ما لبثوا أن اصطدموا بالمسيحيين الأصليين إن صح التعبير ودار صراع طويل طردت المونتانية على أثره من الدين والمجتمع ولكنها تركت بقايا في الفكر المسيحي أسهم لاحقاً بدوره في توزيع الاتجاه العبادي إلى متاهات.

ولم يكتف اليهود بإثارة مثل هذه الحركات الدينية، ولكنهم تعمّدوا الإكثار من بثّ الإشاعات عن قرب ظهور المسيح وساندوا الأنبياء المدّعين لمبدأ الظهور القريب والجديد، حتى ضاق الناس بالرؤى التي تروج لذلك مثال «رؤيا أخنوخ الأول والثاني، وكتاب اليوبيل، ودعوات موسى، ورؤى باروخ، وحروب أبناء النور ضد أبناء الظلام» وكان الهدف خلق ضياع ونشر أجواء عدم الثقة بمبدأ وجود المسيح نفسه ومبدأ رسالته.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٨.

ولم يكد عام ١٥٦م يطلّ، حتى عمد اليهود إلى تحريض سكان «سميرنا» في آسيا الصغرى ضد المسيحيين فكان أن أحرق وقتل الكثيرون، وبينهم بوليكاربوس الذي أحرق حياً حتى الموت[١]، وفي ليون وفيينا دفع المسيحيون وبسبب التحريض اليهودي عليهم ليكونوا طعاماً للوحوش، وأجلس آخرون منهم على كراسي محماة[٢] فاتسع الحقد، ولم تغفر المسيحية.

وكان صراع من نوع آخر، حيث أن الروح اليهودية استغلت الانبعاث الفلسفي المنتشر ودفعته بوسائل متعددة لديها للتهجّم على الديانة المسيحية والتي اعتبرها الكثير من الفلاسفة منبعاً للخرافات والتعصّب وروّجوا لذلك بين أتباعهم فأحدثوا الأثر المؤذي المطلوب يهودياً.

فالفيلسوف سيلوس (١٧٨م) اعتبر «أن أصل الديانة المسيحية ينطلق من سخافة الاعتقاد بأنّ الله خلقهم على صورته، وأنه نزل إلى الأرض ليأخذ صورة المسيح، وأن الله يعلن لهم الأمور قبل حدوثها» إلى حدّ أنه «نسي العالم كله وأغمض عينيه إلاّ عنهم»[٣].

وأما الفيلسوف مرقس أوريليوس فإنه اعتبر «أنّ الديانة المسيحية ديانة خرافات وتشجع البدع» وردّ على المسيحيين الذين اعتبروا أنّ ظهور الأوبئة «غضب من الرب وقرب نهاية العالم» فاعتبرهم أفّاقين ونادى بالقضاء عليهم.

وفي خضم ذلك كان مارسيون يواصل نشر أفكاره حول الكتب المقدسة والقوانين البدائية، فانبرى له ايريناوس المؤسس الأول للفكر المسيحي وداعيته إلى وحدة العبادة معلناً «أن اليهودية والمسيحية جزء واحد، فالله الذي

---

(١) يوسابيوس جزء ٤ فصل ١٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) تاريخ الكنيسة الجزء الأول ص ١٢٨، جون لوريمر.

خلق العالم وأعلن نفسه لليهود هو نفسه إله المسيحيين وأن يسوع ابنه، والكتب المقدسة لليهود هي نفسها الكتب التي يبني عليها المسيحيون إيمانهم» وتابع: «ان سلطة الأساقفة في الكنائس مستمدة من الرسل وهؤلاء استمدوا سلطتهم من بطرس الذي أخذ السلطة عن يسوع» وبذلك أوجد ايرينايوس المبدأ لتأسيس الهيئة الكنسية معتبراً أن «المعمودية وعشاء الرب هما واسطتان للاتحاد السري مع الله» وأن كلمة الله تجسدت في يسوع المسيح ابن الله أي فكره(؟!) فالكلمة والله مترادفتان(؟!) لأنّ الكلمة هي نفس الله في الجوهر، فالأب هو الابن الغير منظور والابن هو الأب منظوراً» وضاعت المبادىء المسيحية الأولية واتسع الاجتهاد وصار لكلٍّ أتباعه، وكان نصر آخر للروح اليهودية.

كان ايرينايوس موناركيا خلق فكرة أو مبدأ التطابق بين الأب والابن قبل ظهور «التثليث» لاحقاً في الديانة، وعدّ وبحق أولّ منسق للاهوتية الدين قبل أن تصل فيما بعد إلى الشكل العبادي الكامل المتبع في الديانة المسيحية. ولكنه وعن غير قصد دفع مناوئيه لإيجاد بدائل لفكره هذا فكان لكلٍّ أفكاره أو ما سمي لاحقاً بالانحرافات والتي أوجدت الخلاف بين الشرق والغرب، وراح الجدل يتصاعد وبإيحاء يهودي وإذكاء النصرة والتوجيه والتجييش، بين أتباع الديانة.

فالشرقيون اعتبروا عيد الفصح عند اليهود في الرابع من نيسان عيدهم وناقضهم الغربيون معتبرين أنه يجب أن يكون يوم أحد بعد الرابع عشر من نيسان، ثم ظهرت أناجيل جديدة (بطرس توما وفيليب والإنجيل المصري) وفيها من التفاصيل حول ولادة يسوع الكثير من التخيلات (والتي ثبّتت بعد ذلك لحلّ الخلاف) مما دفع الكنيسة المسيحية للإنجراف في الصراع بين الطرفين حول أي الأناجيل أصحّ وأيهما باطل، مما دفع بابياس (١٣٠م) بوضع أسس الإنجيل في أربعة أجزاء (إصحاحات) مع رسالة بطرس، ثم أقدم ايرينايوس على تأييده لاحقاً، أما تاشيان السوري (١٨٠م) فوضع إنجيل يضم

الأسفار الأربعة دون رسالة بطرس وسمّاه (الدياتسارون) وجاءت القائمة الموراتورية (٢٠٠م) للتوفيق بين الأناجيل فجعلته أربعة وعشرين سفراً، واستمرّ ذلك حتى عام (٣٦٧م) فكان الإنجيل المتداول والذي وضعه القديس اثناسيوس أسقف الإسكندرية وجرى عزل بعض الكتب الإنجيلية لأسباب مختلفة.

وفي العبادة تمّ إدخال مفهوم ابن الله بعد إضافتها إلى يسوع رب وتعني بأحرفها الأولية كلمة سمك باليونانية لذا أصبحت السمكة رمز الإيمان المسيحي وأضيف إليها للدلالة حرف T اليوناني القريب الشبه من الصليب فاختلط جزء من وثنية التعامل مع الفكر المسيحي وأصبحت جزءاً منه مثال التقويم المستعمل في أيام الأسبوع، وكذلك أسماء الأشهر والتي هي كناية عن أسماء لآلهة رومانية كالشمس والقمر والكواكب والمريخ (المريخ ادتوي هو إله ساكسوني) وعطارد (وودن= إله سكسوني) والمشتري (ثور= إله سكسوني) والزهرة (فريغ= إله سكسوني) ويناير اسم للإله يانس، ومارس اسم إله الحرب، ويوليو اسم يوليوس قيصر وكذلك أغسطس[١]، وأما سيتمبر وأكتوبر ونوفمبر فهي أعداد رومانية تعني السابع والثامن والتاسع.

ثم إنّ الخلافات والاقتباسات والاجتهاد أوجد هرطقات دخلت في صلب الديانة المسيحية، وبين الجدل والجدل المضاد، وبين الشك وبين اليقين وبين من مع ومن ضد، تغلغلت الروح اليهودية ليس لإشعال النار فقط وإنما لتوجيه الديانة المسيحية ومن ثم تدجينها، حتى تمّ إدخال كلمات جديدة في الإنجيل تتحدّث أنه «كان بينهم بعض(!) اليهود» وليس كل اليهود وكان نصر آخر وفي صلب الإنجيل هذه المرة بحيث تمّ استبعاد أناجيل عدة تتحدّث عن اليهود صراحة تحت سبب معين أنها غير موثوق بها أمثال إنجيل بطرس كما سيمر معنا، فما هو الإنجيل!

---

(١) المصدر السابق ص١٥٢.

إنّ كلمة إنجيل هي دخيل يوناني أصله مركّب من كلمتين الأول وتعني «سارّ» والثانية تعني «الخبر» فيصبح المعنى الكامل للإنجيل «الخبر السار» أو «البشرى»[(١)].

استعمل اليونانيون الكلمة في حياتهم المدنية، واستعملها اليهود للإشارة إلى قرب خلاصهم بظهور المسيح (بسورة أو بشورة) وترجمت هذه الكلمة في النسخة اليهودية للعهد القديم المعروفة بالسبعينية والتي بدّلت الكلمة بسورة بلفظ إنجيل ومنها انطلقت تسمية «العهد الجديد»[(٢)].

وفي البدء الرسالي، ردد تلامذة المسيح عليه السلام تعاليمه من الذاكرة وكانت تلك التعاليم بسيطة سلسة استمرّ العمل بها سنوات، ثم جاء تدوين محدود لبعض ما قاله يسوع عليه السلام مثال قصة الآلام، واتّسع التدوين تدريجياً مع مسار اتّساع الديانة والأتباع فبدأ تدوين ملامح وشخصية المسيح عليه السلام على غرار ما حصل في زمن مرقس (يوم كفر ناحوم مرقس١) أو منطق الجدالات الخمسة[(٣)] وظهرت كتب عن حياة المسيح عليه السلام وموته وقيامته وتمجيده.

في الروايات الأربع (متى مرقس لوقا يوحنا).

وفي القرن الثالث كان المجلد الڤاتيكاني ثم المجلد السينائي والمجلد الإسكندري (القرن الخامس) والمجلد الافراحي (القرن الخامس) والمجلد الغربي (القرن السادس) وكان لكلٍّ منها دور وأتباع وحوفظ على شبه إنجيل موحّد بنصه اليوناني تحت اسم «نشرة الأند» وهو المستعمل حالياً[(٤)].

---

(١) الكتاب المقدس ص ١٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد ص ٢٣.
(٤) مرقس: ٢.

ولم تأخذ الأناجيل الموضوعة منهجية موحّدة، لا زمنياً ولا جغرافياً لأنّ طريقة النقل والإعداد لكل إنجيل أخذت عمّا أورده الرسول وما روى دون التقيد بجدول يحدّد إطاراً واحداً كعمل لتلك الأناجيل، وأدّى ذلك إلى خلق مدارس اجتهادية بين الأتباع تتناقض في الكثير من آرائها العبادية وطريقة الممارسة.

والتناقض هذا والذي أججته حركات التهوديين والمونتانيين والمارسيون في القرن الأول اتّسع وتعمّق إن على مستوى طبيعة المسيح أو حول التكوين والدور الرسالي، وكان لصراع الكنيسة مع هذه الهرطقات (التناقض) أثرها السلبي والإيجابي على خط مسيرة الاندفاع للدين أو انتشاره بين الشعوب بحيث ضاع التوجه الحقيقي إلاّ ما ندر، وازدادت سلطة الأساقفة ليصبحوا ممثلي وخلفاء الرسل على الأرض، ومن بعدهم ممثلو الله في مراحل القرون الوسطى.

يقول ايديناوى: إنّ الرسل مستئمنون على الإنجيل وأنهم سلموا الأمانة للأساقفة، وأدّت هذه الفكرة مع الوقت وكثرة الأساقفة واتّساع الديانة إلى خلق «سينودوسات» هدفها توحيد النظرة العبادية المسيحية ومن ثم الكتب المقدسة وتحديد دور الكنيسة القيادي عن طريق «قانون الإيمان الرسولي التوحيدي» والذي أسهم بإيجاده إلى حدٍّ كبير ترتليان (١٦٠م) حيث صاغ بفكره اللاهوتي المصطلحات والتعبيرات والرموز للعبادة المسيحية هادفاً جمع الكلمة حوله.

لقد وضع ترتليان «مبدأ علم اللاهوت والناسوت في المسيح عليه السلام» وأنه شخص واحد في طبيعتين وأعطى الكنيسة الإشراف على مبدأ العبادة والخلاص والأحقية في الإشراف على تفسير الكتاب المقدس[١] منعاً للعبث

---

(١) تاريخ الكنيسة الجزء الثاني ص ٣٢.

والتأويل، ثم هاجم الفلاسفة الوثنيين «لقد انخدع الهراطقة بالفلسفة لأنها مصدر الأيون، وما ثلاثية فالنتنيوس وإله مارسيون الرواقي وفناء الروح للإبيغوريين وإنكار القيامة ومساواة المادة بالله في تعاليم زينو وحقارة تعاليم أرسطو الجدلية كلها لعنة حتى على أنفس واضعيها»[1].

وسرعان ما بدّل ترتليان ولاءه دون إيضاح منه، ولكن انتماؤه إلى المونتانيين المدعومين من اليهود جعله يعلن أنه «يخاف من التحلل الخلقي الجاري في الكنيسة المسيحية»[2] وذاك أثر يهودي آخر.

ولم يكن ترتليان وحده متقلّب الرأي والموقف، فالمعضلات الكثيرة التي واجهها المسيحيون خصوصاً مسائل الحلال والحرام والطعام واللباس وأسلوب العبادة والقتال والحرب (عدّت في الكنيسة الأولى عادة وثنية) لأنها وبحسب المسيح عليه السلام لا يمكن أن نساوي بين الولاء لعهد الله وبين الولاء للبشر»[3]، إضافة إلى ظهور الخلاف حول «عقيدة المسيح الكلمة» و«اللاهوت الملكي» وراحت العلاقة بين الله الأب والمسيح الابن بحسب الناموس تتفاعل، و«أخذ الناس وتبحريض من آخرين (لم يذكرهم كتبة العهد الجديد وإن كان المعنى واضحاً) يتساءلون هل بقي الله في السماء بينما يسوع يقوم بعمله على الأرض؟ وهل كان يسوع أزلياً في مساواة مطلقة مع الله في سلطانه ومجده؟ وهل كان الاثنان منفصلين ومتحدين في نفس الوقت؟ وإذا كان المسيح الابن مساوياً لله الأب فكيف ترك المسيح السماء ونزل إلى الأرض؟»[4]، أسئلة يهودية كانت تطرح ولا يمكن لمسيحي بعدها إلاّ أن يضيع عاجزاً عن الإجابة حتى بلغ التشويش حدّاً جعل جميع القيمين على

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ترتليان، فيليب كارينجتون في تاريخ الكنيسة ص ٣٩٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكتاب المقدس، العهد الجديد الجزء الثاني ص ٤٤.

الدين المسيحي ينغمسون وعامة الأتباع في جدل ليس له جواب، وكان ما أن يتم وضع إجابة حتى تخلق ويخلق لها سؤال جديد أدهى وأمرّ، وكان لأسلوب الفصل اليهودي هذا فعل النار تحرق ما هو صحيح أو عكسه، وكان نصر يهودي آخر.

فالمدافعان (ترتليان وهيبولتيس) دافعا عن فكرة «عقيدة المسيح الكلمة» أي أنّ المسيح كلمة الله صارت جسداً في يسوع، وأن من تجسّد فيه لم يكن الأب الأزلي (الله) ولكنه الكلمة الذي ولد من عقل الأب في يسوع»[1] أي السرّ الأعظم.

وأما الملكية الديناميكية[2] فاعتبرت أن يسوع ان هو إلاّ إنسان ولد من العذراء مريم، وكانت حياته مقدسة بحلول الروح القدس عليه عند معموديته ثم صار إلهاً بعد قيامته.

والملكية الانتحالية دافعت عن مبدأ أن الابن يسوع على قدم المساواة مع الأب، وأما الأب (الله) فإنّه ولد من عذراء وعاش كإنسان في شكل (هيئة) يسوع وتألّم ومات على الصليب.

ولم تتحد المسيحية بعد هذا أبداً، وكان نصر آخر للروح اليهودية وفي أورشليم قام الكيمندوس بوضع صيغة مؤداها:

«ان المسيح أعطى الناس الكلمة للتحرر من الخطايا والكلمة هي المسيح نفسه في مرتبة فوق عالم البشر وفي عالم البشر(؟؟) فهو سماوي بل هو الله نفسه وليس أقل من الله أو تابعاً لله»[3] (استغفر الله)! واعتبر أن الصلاة شراكة بين العبد والله.

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ٤١٤، فيليب كارنجتون.
(٢) ظهرت مع ثيودوتس عام ١٩٠م تحت عنوان التبني.
(٣) استروماتس الجزء ٦.

عدّ أكليمندس ارثوذكسيا في نظرته اللاهوتية هذه ولقيت اجتهاداته صدى واسعاً في الشرق وكثر أتباعه حتى أيام أوريجانوس يقول يوسيوس[1]: «إنّ أوريجانوس تعاطى تعليم اللاهوت الشفهي» وأخذ يفسّر الكتاب المقدس ضمن مبادىء ومفاهيم خاصة به، استقاها من «دراسته للعهد القديم والتقاليد والتفاسير اليهودية ومن مناقشة العلماء اليهود واستشارتهم حين وضع دراسته العلمية الهكسابلا اي السداسية[2]، وهي عبارة عن دمج بين الفكر اللاهوتي المسيحي مع تعاليم العهد القديم (التوراة) ثم قام بوضع الأنظمة العبادية المسيحية من هذا المنطلق «نحن نرتقي درجة درجة في معرفة الله، وكل درجة هي المسيح، في الأولى نعرفه كإنسان ثم كملاك ثم ككائن سماوي، أولاً كرب وكراعي صالح ثم كملك، أولاً هو الحمل الذي يحمل كل خطايانا ثم يصبح جسده طعامنا الحي، بهذه الطريقة نصل إلى الآب، فالرجل الذي كان نازلاً إلى أريحا هو آدم (المسيح الإنسان) وأورشليم هي الفردوس، وأريحا هي العالم، والكاهن هو الناموس، واللاوي (اليهودي) يمثل الأنبياء، والسامري ربنا»[3].

ويضيف «وأما الله فليس له جسد ولا ينقسم كما الجسد، ولا نستطيع تشبيهه بالأشياء والحركة الجسدية لأنه لا يمكن أن يكون هناك إله إن لم يوجد من يمارس سلطته عليهم» وأما المسيح فهو «ابن الله المولود من الآب منذ الأزل، وهو بهاء مجد الله ورسم جوهره، والابن من طبيعة الأب لأنه مولود منه وغير مخلوق، والابن خاضع للأب، والروح خاضع للابن»[4]. وكان انتصار لا مثيل له للروح اليهودية لانزال نلمس آثاره إلى يومنا هذا.

---

(١) تاريخ الكنيسة الجزء ٦.
(٢) تاريخ المسيحية ص ٥٨، بول جونسون.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تاريخ الفكر المسيحي ص ٤٢٠، ترنر.

عندما جاء ديونسيسوس أسقف الإسكندرية عام ٢٥٠م فإنه تابع خطى أوريجانوس وطور أفق تعاليمه ورسّخها، ثم عمد إلى نشر مبدأ التثليث (الأب والابن والروح القدس) بعدما هيأ أوريجانوس أجواء تقبّله.

ثم كان مجيء سيبريان (٢٥٨م) فجعل من السلطة الأسقفية سلطة عليا وشكك في هرطقة كهنة اسبانيا والأسقف اسطفانوس (روما) فكانت خطوته هذه التمهيد لقيام الكنيسة القبطية في الشرق والتي اعتبرت أن مسألة المعمودية يجب أن تكون صحيحة ترفع عن المتقلبين والمرتدين عن الدين تحت الضغط والإرهاب. ولما كان الكثيرون من اللاهوتيين غير أمناء ولم يقطعوا علاقتهم الدنيوية كلياً فإنّ ذلك خلق حالة من التنافس وكشف المستور كما أن التنافس بين أنطاكية والإسكندرية ازداد حتى وصل مع آريوس في القرن الرابع إلى الحدة البالغة في التعامل وبدأت نذر الحرب.

عندما تولّى بولس الساموساتي أسقفية أنطاكية أعلن أن «يسوع كان أكثر من إنسان فقد أعطاه الله العقل الأزلي وعاش مع الله تماماً، لذلك أقامه الله من بين الأموات وأعطاه سلطاناً إلهياً وجعله مخلّص البشرية وديّانها»(١)، فكان ذلك دفعاً آخر باتجاه الحرب وعليه فلم يكد دقلديانوس (٣٠٣م) يتولّى زمام الأمبراطورية حتى راح يعدم المسيحيين بالجملة ثم تبعه جاليريوس ومكسيميليانوس (٣٠٦م) وكان عهد قسطنطين أخيراً نقطة التحوّل (٣١٣م)(٢) أدّت الإعدامات إلى ظهور نزعات جديدة، كان منها الدوناتيون الذين خرجوا إلى العلن مطالبين بمعاقبة من سلّم الكتب المقدسة إلى الرومانيين ليحرقوها، وعارضهم جناح مدعوم من قسطنطين فعمد قادة الدوناتيين للإستيلاء على أملاك المسيحيين الأغنياء ووزعوها على الفقراء مطالبين بالعودة إلى صُلب

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ٢٤١ الجزء الأول، ماكفرت.

(٢) تاريخ الكنيسة ص ٥٧، هانز لتيزمان.

الدين حين كان يسوع يعيش بين الفقراء[1]، وظهر الميليتيون في مصر واتّسع الانقسام ونشأ الإحباط والقهر فاتجه عدد من المؤمنين نحو الرهبنة والتنسّك.

لم تكن الرهبنة صفة وحالة مسيحية، فالبوذيون قبلهم والبطالمة في مصر (٣٢٣ ـ ٤٤ق.م) والكاتوشاي في منف إضافة إلى كهنة معبد هليوبولس وجماعة وادي قمران اليهودية عاشوا حياة زهد كردّ فعل باتجاه الأصالة الدينية، حتى أن فقرة وردت في العهد الجديد أشارت إلى أن يسوع كان يحب الدنيا ولا يرغب بالزهد بحسب تلك الآية «كان يسوع أكولاً وشريب خمر»[2] (سفر متى: الإصحاح١١) ولكن أتباع ماركيون والمونتانيين والمتطرفين والمحاربين المتجولين كانوا متقشفين في حياتهم ويسكنون الكهوف وبين هؤلاء فردتينيوس وسبعون من جماعته سكنوا صحراء النطرون زهداً لهم[3].

وزادت الضرائب الرومانية والصراع داخل السلطة الكنسية الأمور تعقيداً بحيث أن تلك الكنيسة لم تعد «المكان الذي يستطيع فيه المسيحي العيش بحياة مسيحية حقيقية»[4] وكان الاتجاه نحو الرهبنة.

ويعتبر أنطونيوس (٢٥١ ـ ٣٥٦م) أبا الرهبنة المتوحّدة، فقد عاش في حصن روماني (دير الميمون حالياً) لمدة عشرين عاماً وبعده جاءت رهبنة دير النطرون، قام بها جماعات اتّخذت من نظام السنهدرين اليهودي نظاماً لها، ومن هذا النظام تمّت صياغة أساطير عن هؤلاء ومحاربتهم للجن والشياطين وقيام الغرباء بنقل الأطعمة إليهم[5]، وإحيائهم للموتى فاندفع الكثير من

---

(١) تاريخ المسيحية ص ٨٤، بول جونسون.
(٢) تاريخ الكنيسة الجزء الثاني ص ١٣٢.
(٣) المصدر السابق ص ١٣٤.
(٤) المصدر السابق ص ٢٦٣.
(٥) حياة مقاريوس، لوكارير ص ١٩٩.

المسيحيين للإقتداء بهم وطوب الكثير منهم قديسين، وكانت نقطة أخرى لصالح الروح اليهودية.

كان مجيء قسطنطين وبالاً على اليهودية وما اختزن من كره وحقد عليهم لدى الشعوب قد أخذ يفعل فعله، وما لبث الأمبراطور المسيحي الجديد أن بدأ حملته تحت «تأثير الحجج اللاهوتية الكنسية التي اتّخذت من معادات اليهود نهجاً» وبناء على توصياتها أصدر قسطنطين تعميماً جاء فيه «إن القوم (اليهود)... الذين أفسدوا أرواحهم... العميان... هم أكثر الشعوب عداء... ومن السخف أن يتباهوا أننا بدون تعاليمهم غير قادرين على حفظ الأمور بطريقة صحيحة بعد قتلهم سيدهم المسيح... فهذه إرادتنا... ليكن معلوماً لدى اليهود أنه إذا تجاسر أي واحد منهم بعد صدور هذا القانون على أن يهاجم... ويجب تسليمهم فوراً إلى أتون النار»[1] (النص بحرفيته كما النقاط ويبدو أنها نعوت عن اليهود تمّت إزالتها لاحقاً من أساس النص).

وفي عصر ثيودوسيوس (٣٩٣م) تمّ إقصاء اليهود عن العمل في دوائر الدولة، وحظر عليهم بناء معابد لهم، كما حظر عليهم التزاوج مع المسيحيين أو مصادقتهم أو العبادة في معابدهم»[2] حتى أن الأسقف امبروسيوس رفض السماح لهم بإعادة بناء معبد يهودي بعد احتراقه واعترض على الأمبراطور ثيودوسيوس بغضب قائلاً: «لماذا أيها الأمبراطور، تشجّع بناء مكان للكفر والإلحاد، انه مأوى للمجانين الملعونين من الله، سوف يعتبر اليهود هذا اليوم (بناء الكنيس) عيداً بين أعيادهم يذكرونه دائماً، وعليك أن تقرر ما إذا كنت مع المسيحية أم مع اليهودية»[3].

وفي الإسكندرية، أحدث اليهود فتنة كبيرة بين المسيحيين، فقام «ذهبي

---

(١) تاريخ الكنيسة الجزء الثالث ص ١٣.
(٢) المصدر السابق ص ١٣١.
(٣) المصدر السابق.

الفم» وهيّج عليهم المسيحيين منادياً «ليس في اليهود من يعبد الله، ان مجمع اليهود مسكن للشيطان وعبادة الوثن»[1].

وكان ردّ اليهودية على ذلك كلّه إحداث المزيد من الاهتراء داخل المجتمع المسيحي وارتباطه العبادي حتى أن «كثيراً من المسيحيين مارسوا عادات يهودية لجلب الحظ أو الشفاء أو النجاح في الحياة، وحملوا الأحاجي والتعاويذ اليهودية ورددوا عبارات عنهم لقّنت لهم في المجامع (الكنيس) عند حلف اليمين، وفي الصوم والأعياد، وكانوا يستدعون الرابيين اليهود ليصلّوا لهم مباركين أرزاقهم»[2] وسجّلت الروح اليهودية نصراً إضافياً.

لقد أخذ التأثير اليهودي يتعمّق شيئاً فشيئاً بكامل الحياة المسيحية ان على مستوى الفكر أو الأداء أو المنهجية العبادية حتى تمّ إفساد الكهنة الذين «عاشوا حياة مترفة، فيها، شذوذ النساء وتعطّر الرجال يجعّدون شعورهم وتلمع أصابعهم بالخواتم فباتوا عرساناً أكثر منهم أكليروس حتى البابا نفسه داماسوس دغدغ آذان السيدات مرات»[3] وازداد ذلك سوءاً بعدما انحدرت الأمبراطورية الرومانية عن مجدها تحت ضربات الهون واللومبارد فاتّسع المجال أمام السلطة الكنسية لتصبح هي القوة المسيطرة فعلياً في أوروبا[4].

لم تكن الروح اليهودية لتهدأ، وسرعان ما عاد الخصام والتناحر في الوسط المسيحي، وفي الواجهة غدا ناسوت المسيح ولاهوته من جديد بما يتعلق بالأقانيم الثلاثة سبباً لتجدد الصراع، فهل أن الأب والابن والروح القدس متساوون أم أن الابن والروح أدنى مرتبة من الأب الله؟ وهل هما صورتان أم شكلان عن أقنوم الأب؟ وطرحت حلول وأفكار في مجمعي نيقية

---

(١) أثر الكنيسة على الحضارة ص٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الكنيسة الجزء الثالث ص ١٣٦.

(٤) قصة الكنيسة ص ١٧٩.

(٣٢٥م) والقسطنطينية (٣٨١م) لم تثمر إذ برز خلاف جديد في نهاية القرن الرابع وبات السؤال الآن هل هناك إمكانية لاتحاد الناسوت واللاهوت في شخص المسيح؟ وكان مجمع افسس (٤٣١م) وخليقدونية (٤٥١م) لتوحيد الموقف والنظرة الدينية ولكنهما فشلا وتعمّق الشرخ أكثر ولايزال.

لا تظهر أحداث التاريخ المدوّن وجلّ واضعيه مسيحيون عن تلك الفترة إلاّ شذرات عن أفعال اليهود، ولعلّ الكثير من ذلك كتب ولكنه أزيل في زمن قريب على مثال ما لاحظناه في أوامر قسطنطين حيث خلخل الموضوع وتمّ وضع نقط مكان الكلمات المسيئة لليهود، والبعض القليل مما نجد حول اليهود يظهر أنهم لم يتركوا صغيرة أو كبيرة داخل صلب الديانة المسيحية إلاّ وعملوا فيه عبثاً وتخريباً وتحريفاً.

يقول غارودي: «إنّ الأمر الذي يميز مسيحية العصور الوسطى هذه هو أن الكنيسة منذ انتصارها الأول في عهد قسطنطين ادّعت ممارسة نفوذ أو سلطة عقائدية مطلقة على العالمين السياسي والأخلاقي، وهذا الانتقال من كنيسة يسوع المسيح المصلوب إلى كنيسة الله القادر على كل شيء بمراتبيتها من موظفي المطلق كان يستتبع تزييفاً عميقاً للعقيدة وللتنظيم وللمسلك الاجتماعي لدى المسيحيين، وعلى حين أنه كان في وسع المسيحية بأصولها ذاتها، أن تكون العروة الوثقى مع الشرق (الديانة الإسلامية) فإنّ الكنيسة لم تصبح قوة سياسية إلاّ بعد اندماجها بثقافة الغرب وبنيته، كانت عدوى لاهوتها من الفلسفة اليونانية ولاسيما الثنائية الأفلاطونية المتمثلة بالجسد والروح، من عالم محسوس وفوق طبيعي إلى تنظيم غريزي، وأدّى تنظيم الكنيسة على غرار بنى الاستبدادية والمراتبية في الأمبراطورية الرومانية إلى مثله لدى الكنيسة، بحيث أن هرم السلطات الروحية مماثل لهرم السلطات المدنية إلى درجة يصعب معه معرفة من الرئيس الأعلى البابا أم الأمبراطور[1].

---

(١) حوار بين الحضارات ص ٢١٦، روجيه غارودي.

والحالة الدنيوية هذه بما فيها وعليها من مساوىء أو حسنات ومن منطلق مصالحها أضعفت وسائل المواجهة والحماية، وباتت النظم الدينية والعبادية عرضة للأهواء وللتقلبات وأخذ كلّ يدلي بدلوه ووراءه أتباع ومؤيدون حتى اختلطت الأشياء وبعدت المرامي ولم يعد هناك إمكانية واضحة لمعرفة الأسود من الأبيض.

يقول الأب جيراردي[1]: «إنّ الحلف الأول كان حلف يهوه مع الشعب اليهودي وأما الحلف الثاني فكان قيام يسوع عليه السلام بالإبانة أنه من أجل السعي إلى الله فلا بدّ من الإقلاع عن دعوى الانتماء إلى الشعب المختار، ولكن الكنيسة أخذت تتشبّه وبغرابة بالدين الذي حاربه المسيح عليه السلام وراحت تدعي مرة أخرى مقولة الشعب المختار الذي أصبح لديها هذه المرة بمعنى أن الغرب مؤتمن وحيد على الحضور الإلهي» وبذلك عادت المسيحية إلى مرحلة التهود من جديد! على الرغم من محاولات أولية لتصحيح المسار وعدم الانجراف نحو اليهودية على غرار ما قام به امبروسيوس (أسقف ميلان) في عهد جراتيان وسعيه للتصدي للوثنية اليهودية، يقول كوكران: «من وجهة نظره لم يكن هناك أمل في الخلاص للأمبراطورية ما لم تنفصل عن الأخطاء اليهودية الوثنية والهرطقة، وقد كان امبروسيوس مستعداً لاستخدام أسلحة الشيطان لتحقيق ملكوت الله»[2]، وأدّت حركته هذه لازدياد سلطة الكنيسة على الدولة (٣٨٤م) كما وبدأ العمل بالنظام اللاتيني العبادي تحت وصايته.

وأما سابيوس جيروم (٣٧٠م) سكرتير البابا داماسوس فقد اتّصل بالعلماء اليهود في بيت لحم، وخلافاً للنص اللاتيني المتداول من العهد القديم «عمد جيروم إلى ترجمة النص العبري (المشوري) مباشرة فأنهى الأناجيل عام (٣٨٢م) والعهد الجديد كله عام (٣٨٦م) والكتاب المقدس

(١) مسيحيون من أجل الاشتراكية، جيراردي.
(٢) المسيحية الأصلية ص ٣٥٠، كوكران.

عام (٤٠٤م) ويمكن تصوّر أثر علاقاته مع العلماء اليهود وكيفية ترجمته للأناجيل ومحتوياتها.

وأما يوحنا فم الذهب (٤٠٧م) الأعظم في الكنيسة الشرقية واسمه يوحنا كريسوستوم فقد دفع منصبه ثمناً لمواقفه من اليهودية والأساقفة المترفين، وتمّ عزله في مجمع القسطنطينية ونفي إلى آسيا الصغرى(١).

كما أن أوغسطينوس أسقف كنيسة هيبا (الكنيسة الشرقية ٣٥٤م) فإنّ أصله كان مانوياً ثم عمد بعد تولّيه الأسقفية إلى تحطيم الكنيسة الدوناتية محاولاً توحيد الكنائس في شموليتها، واستخدم وسائل القمع والقوة بتأييد من الأمبراطور، ووحّد مسائل العلاقة الشخصية للإنسان مع الله، والاتحاد معه، ودعم صيغة التثليث في نفسه جوهر الإله، معتبراً أنّ الكنيسة هي جسد المسيح، ومن خلال كتابه «مدينة الله» أسهم في إيجاد مبدأ الاختيار الإلهي للكنيسة كي تحكم العالم»(٢).

عندما تولّى البابا ليون الأول السلطة الكنسية، عمد إلى نقض عقيدة نسطور القائلة بأنّ للمسيح أقنومين، وكذلك تطرّق أوطافي في خلقه للطبيعتين وأسس العقيدة الخليقدونية القائلة إن:

الابن الوحيد هو ربنا يسوع المسيح الكامل في اللاهوت، والكامل في الناسوت إله حق وإنسان حق ذو نفس ناطق وجسد جوهر واحد (هوموادسيون) مع الأب بحسب اللاهوت، وبحسب نفس الجوهر معنا في الناسوت وهو مثلنا في كل شيء سوى الخطيئة، مولود من قبل الأب قبل كل الدهور بحسب اللاهوت، وولد من مريم العذراء والدة الإله بحسب الناسوت، هو مسيح واحد وابن واحد ورب واحد المولود بطبيعتين غير ممتزجتين ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين، الله الكلمة الرب يسوع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الكنيسة الجزء الثالث ص ٢٠٤.

المسيح (مجمع افسس الثاني ٤٤٩ ـ مجمع خليقدون المسكوني الرابع ٤٥١م) وهنا نرى كيف أمكن للروح اليهودية تحقيق التشرذم المطلوب لرسالة المسيح عليه السلام وعلى المستوى الديني والاجتماعي والسياسي بعد ذلك.

وبدل أن تتوحّد التطلعات الروحية المسيحية في مجمع خلقيدون فإنه عمق الخلاف واتسع بعده الانقسام داخل الكنيسة وانقسمت الكنيسة الشرقية بين مؤيد خليقدوني ورافض لخليقدوني.

ثم انقسمت جماعة الرفض بين جوليان ومونجو (بطرس) وعقيدة ثالثة أيّدت اطافي. ولم يكد جوستنيان الأمبراطور البيزنطي يتولى العرش (٤٨٣ ـ ٥٦٥م) حتى حاول جمع المسيحية من جديد دون نجاح وتبعه هرقليوس (٦٣٨م) ثم كورش المقوقس وفي عهده كان الفتح العربي الذي أنقذ الكنيسة الشرقية من ظلم البيزنطيين وحملاتهم عليها»[1].

ما يمكن ملاحظته هو أن تتبع مسار اليد اليهودية في تحريك النعرات والانقسامات بين أتباع وقادة الدين المسيحي كان مؤثراً وفاعلاً وبالأخص مع من كان يلجأ لاستشارة اليهود والعمل برأيهم كما مرّ معنا، وأدّى تطور الكنيسة إلى جعل الأساقفة موظفين كباراً في الدولة على غرار ما فعل هرقل في القرن السابع عندما عيّن سايرس المقوقس أسقفاً على الإسكندرية واحدة بالسلطتين الكنسية والمدنية[2]، هذه الوضعية أوجدت التنافس والكيد طمعاً باستئثار السلطة والمراكز وراح الأساقفة وفي ظلّ السلطة السياسية الممنوحة لهم مدنياً يحرّمون، ويحلّلون، وأدّت مثل هذه التطورات إلى ظهور كتب للقراءة الدينية اليومية عن العهد القديم، وبعض رسائل الإنجيل، وعاد «التوجه نحو أورشليم في الصلاة ليأخذ وضعية الثبات وانتشرت مظاهر تكريم

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ١٤٠، ولستون.

(٢) تاريخ الكنيسة ص ١٤٠، ولستون.

القديسين وتسميتهم، وانزلق الوجود المسيحي والعالم معه نحو ظلمات العصور الوسطى[١].

أشرنا في السياق إلى أن رسالة عيسى عليه السلام، في روحانيتها وقدسيتها بقيت في حدود التعاليم العامة خلال سني دعوته الثلاث، وقام بعده تلامذة ومن سمي بالقديسين بوضع النظم العبادية، حيث غلب على هذه الوضعيات التفاوت والتباعد.

ومنذ بدء ظهور الكنيسة، بانت مشكلة الأناجيل الإزائية، والتي تتشابه في ثلاثة أناجيل وهي أقسام أربعة فيها، أعداد بشارة يسوع على يد المعمدان، وبشارته في الجليل، وصعوده إلى أورشليم ومن ثم بشارته في أورشليم ثم موته وقيامته[٢].

ومن جدول إحصائي نجد[٣]:

	متى	مرقس	لوقا
ـ عدد الآيات التقريبي:	١٠٧٠	٦٦٦	١١٥٠
ـ المشترك بين ثلاثة:	٣٣٠	٣٣٠	٣٣٠
ـ المشترك بين مرقس ومتى:	١٧٨	١٧٨	ـ
ـ المشترك بين متى ولوقا:	٢٣٠	ـ	٢٣٠
	ـ	١٠٠	١٠٠

(١) تاريخ الكنيسة الجزء الثالث ص ٢٥٨.
(٢) العصر الوسيط ص ٢٥، يوحنا قمبر.
(٣) المصدر السابق.

كانت الخلافات داخل الإنجيل بين تلميذ وآخر من تلامذة السيد الثغرة التي استطاعت من خلالها اليهودية وروحها النفاذ إلى داخل المجتمع المسيحي.

فإنجيل متّى وعلى سبيل المثال والمعتبر أغنى الأناجيل وأكثرها استعمالاً للكتب وكما يبدو في وسط يهودي مسيحي وباللغة الآرامية[1]، وهو يحتوي على أفكار رئيسية تتمحور حول أن يسوع عليه السلام بشخصه وتعاليمه ان هو إلاّ امتداد للعهد القديم وإكمال له[2]، وكما يظهر من متى فإنّ يسوع سليل داوود وابن عذراء سكن في الناصرة ومصر وكفر ناحوم وكان ملكاً متواضعاً يمتطي جحشاً (الصورة اليهودية)، وتمت حكمة الله في شخص يسوع وأعماله وتعاليمه بنوع مخالف لحكمة البشر (أي اليهود) لأنّ العهد القديم أنبأ بمسيح قوي جبار ومتواضع مما جعل الأمر يلتبس على اليهود حتى نبذوا ملكهم»(؟!).

ويكمل إنجيل متى فكرة موسى الجديد، النبي والمعلم والمخلّص ولكنه أعظم من موسى لأنه ابن الله ومخلّص البشر»[3].

ولقد أثار اليهود الجدل حول هوية مؤلف إنجيل متى وحقيقته لزمن طويل، غير أنّ ما يمكن تأكيده أن متى الرسول هو مؤلفه الحقيقي بحسب شهادة بابياس (١٣٠م) أسقف هيرا بولس وأحد الآباء الأربعة الرسوليين، نقل عنه في كتابه «الكتب الخمسة في تفسير كلمات الرب» كذلك يستشهد منه أوسابيوس بنص ورد فيه «رتب متى الكلمات في اللغة العبرية(؟!)» كما وأن ايرنياوس (٢٢٠م) أكّد أن متى هو صاحب الإنجيل باسمه»[4].

ويسود اعتقاد مسيحي مؤدّاه أن متى ألّف إنجيله بالعبرانية لجماعة مسيحية من أصل يهودي فكان أن ظهرت في إنجيله صلوات يهودية» ثم ما هو أخطر من

---

(١) المصدر السابق.
(٢) العهد الجديد ص ٣٩ ـ ٤٠، كلية اللاهوت جامعة الروح القدس.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

ذلك أي «الإدّعاء الخطر بأن نسب يسوع يعود إلى أربع نساء أجنبيات هنّ: تامار الكنعانية[1] وراحاب الزانية من أريحا[2] (والتي خانت بلدها لصالح اليهود) وراعوث المؤابية[3]، وبتشبع الحثّية[4]، ويقول إنجيل متى: «في مولد يسوع المسيح ابن داوود ابن ابراهيم ولد إسحاق وإسحاق ولد يعقوب (جد اليهود) ويعقوب ولد يهوذا... ولد... ولد... ويهوذا ولد فارص وزارح من «تامار»... ولد... ولد... وسلمون ولد بوعز من «رحاب»... وبوعز ولد عوبيد من راعثو وعوبيد ولد يسّى... ويسى ولد داوود... وولد سليمان من امرأة أوريا (الذي قتله داوود) ومتان... ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف زوج مريم ومن مريم ولد يسوع الذي يقال له المسيح»[5] وكأن إنجيل متى أعاد نسب المسيح إلى اليهودية عن طريق زوج أمه يوسف.

ولقد أقدم متى على وضع لقب الناصري للمسيح مخالفاً بذلك بقية الأناجيل مما خلق تعقيدات حول هل أن الاسم نسبة إلى الناصرة[6] أم أنه بدعة الناصريين[7]، أم لأنه نذير مكرس للرب (صفة يهودية)[8] أم جذريسي (لقب يهودي)[9] أو أنه المحفوظ[10] وهي لقب يهودي آخر.

كما وأن متى استعمل صيغاً، (قد تكون أدخلت بعد عهده) يهودية

---

(١) سفر التكوين: إصحاح ٣٨.
(٢) سفر يشوع: إصحاح ٢.
(٣) سفر راعوث: إصحاح ٤.
(٤) سفر الملوك الثاني: إصحاح ١١.
(٥) متى: ١ ـ ١٦.
(٦) متى: ٢١.
(٧) أعمال الرسل ٢٤.
(٨) سفر العدد: إصحاح ٦.
(٩) سفر اشعيا: إصحاح ١١.
(١٠) سفر اشعيا: إصحاح ٤٢.

صرفة على غرار مسألة التعمّد بالماء وكان اليهود يلجأون لتعميد الوثنيين بالماء عند إيمانهم بالدين اليهودي «فيعتمدون على يديه في نهر الأردن»[١]، كذلك مسألة التخاطب مع الله وبنفس التقليد اليهودي يقول متى: «هتف من السماوات هاتف هذا ابني الحبيب الذي ارتضيت»[٢] وفردّ عن المسيح مبدأ صحة التوراة «لاتزول التوراة ياء أو نقطة ما لم تبلغ كلتاهما الغاية»[٣] فهل أن متى قال ذلك؟ وإن يكن، فهل أن المسيح عليه السلام قال ذلك؟ وهو الذي أعلن في أول رسالته أنه جاء ليقوم مسار الديانة اليهودية ويصلح اعوجاجها، وأين يكون الاعوجاج إن لم يكن على رأسها؟ أم أنه كالعادة وإصبع اليهودية يملي ويتكفل الزمن بالباقي؟

لقد أدخل متى الصلاة اليهودية «الطلبات الثمانية عشر» (أو أدخلت عنه) وجعلها في خطبة يسوع عليه السلام على الجبل محاولاً إعطاءها ثقة تاريخية «أبانا الذي في السموات ليقدس اسمك، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك على الأرض كما في السماء، يسر لنا خبزنا يومنا وفي محنة لا تدخلنا ومن الشرير نجّنا»[٤] (العهد القديم، العدد ٢، اشعيا ٢٩، حزقيال ٢٠، ٣٦، ارميا٣١) وهي صلاة يتلوها المؤمن المسيحي يومياً ويلقنها لأطفاله ويؤمن بها، والكثيرون لا يعلمون أنها صلاة يهودية صرفة سابقاً.

ثم إنّ متى أخذ عن اشعيا نصوصاً وأبدلها «وتمّ ما قيل على لسان اشعيا» من أنه «أخذ عاهاتنا وحمل أمراضنا»[٥] وهي ومن أصل النص مع اشعيا غير أن النص يقول: «وأخذ أوهاننا وحمل أمراضنا».

---

(١) متى: ٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) متى: ٥.
(٤) متى: ٦.
(٥) متى: ٨.

ومع تنزيه الرسول متى عن الإساءة إلى مولاه، فإنّ ذلك لا يمنع الحقيقة القائلة إنّ الروح اليهودية استغلت وعبثت وتدخلت وحرفت وللتأكيد فإننا نعود إلى متى نفسه وحكمةٍ له يقولها: «ما من أحد يرقع ثوباً بالياً (أي الدين اليهودي) لئلا ينتـزع بعضه، ويتسع الخرق»[1] ويكفي متى أمانته في نقل ذلك عن المسيح عليه السلام، غير أن بعض الصفات المتداولة (يهودية) اجتماعياً حينها لامست أفكاره ودخلت كلماته بهدف إيضاح القصد «فعنهم إرحلوا. . . وغبار أرجلكـم انفضوا»[2] وكانت اليهودية قبله تعتبر أن غبار الأرض دنساً ويجب نفضه عن الأرجل[3] أو على غرار طرد الشياطين «أنا بروح الله اطرد الأبالسة»[4] وكان اليهـود أيـام المسيح يعتبرون أن الشيطان يملك الأرض ولذا فإنّ صراخهم ليسوع كان ومن أورشليم «هوشعنا لابن داوود، هوشعنا في الأعالي»[5] أي بمعناهـا العبري أغثنا أو أنقذنا خلصنا، ومأخوذة من المزمور ١١٨[6].

وأما فكرة قيام يسوع من الموت «ما إله أموات بل إله أحياء»[7] فهذه الفكرة مأخوذة من حزقيال(٣٧) واشعيا (٦)، وكأنه عقب قيام انطيوكس ابيغانيوس بقتل اليهود، فانقسم اليهود بين مؤيد للقيامة بعد الموت (الفريسيون) والرافضين لمبدأ القيامة بعد الموت (الصدوقيون) فجاء متى متحدّثاً عن قيامة ذات شكل جديد[8].

---

(١) متى: ٩.
(٢) متى: ٩.
(٣) أعمال الرسل: ١٣.
(٤) متى: ١٢.
(٥) متى: ٢١.
(٦) سفر المكايين الثاني: إصحاح ١٠.
(٧) متى: ٢٢.
(٨) العهد الجديد ص ١٣٧.

وفي اليهوديات وصف البرق ومجيء المسيح ثانية نظر إليه يهودياً على أنه استكمال لتحرّك يهوه وليس لمجيء عيسى[1]، وهذه المسألة خلقت بلبلة ظللت الأناجيل الأخرى فكان لكلٍّ منها روايته (الإنجيليون في مرقس ولوقا، ويوحنا ٢٠ وتوما ومتى ٢٨ ويوحنا ٢٠) وهناك إنجيل بولس وحده خمسة ظهورات للمسيح يصعب التوفيق بينها[2] ومعطيات الإنجيل، ولقد حصر متى مسألة ظهور المسيح ثانية بالشعب اليهودي وحده[3]، ثم جعل مسألة الإيمان من منطلق ما روّجته الروح اليهودية وحده بحيث التصقت التعاليم المسيحية واليهودية لديه التصاقاً كأنّ له أثر بالغ لاحقاً نظراً لكثرة أتباع متى!

وكما إنجيل متى فإنّ إنجيل مرقس أثار اليهود حوله الجدل، غير أن شهادات فابياس ويوشينوس وترتيليانوس والكيمونضوس الإسكندري، وادريجانوس وغيرهم أثبت أن مرقس هو مؤلّف الإنجيل الثاني، والذي حرص فيه مرقس على خلق توازن بين يسوع ابن الله ويسوع الإنسان[4] ويقال: إنّ مرقس كتبه لمسيحيين من أصل وثني مقيمين خارج فلسطين وشرح لهم فيه عادات اليهود وأعيادهم معيداً يسوع إلى البرية ليقارب النظرة بين خروج اليهود الأول مع موسى من مصر وخروجهم الثاني مع يسوع في عملية إعادة لمصداقية الوعد الإلهي»[5].

وشدّد على مسألة سوء معاملة اليهود ليسوع أثناء صلبه (وهو أمرٌ نادر في الأناجيل الأخرى) فيقول: «وكان المارة يشتمونه ويقولون يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام»[6].

---

(١) شهود يهوه ـ الرب آت.
(٢) البشرى ص ١٦٧، للأب يوحنا قمبر.
(٣) متى: ١٠.
(٤) البشرى ص ١٧٧، قمبر.
(٥) المصدر السابق.
(٦) مرقس: ١٥.

ولقد تقيد مرقس بالتعميم الرسولي كما فعل لوقا معتبراً أن يسوع نبي كإيليا، أرسل ليعلّم ويشفي، وهو متعبد زاهد ومتجرّد من حبّ الدنيا وكان لوقا وضع كتابه بعد موت بولس أي عام (٦٧م) أو عام (٨٠م)[١].

ولم يتعرّض إنجيل للهجمات (واليهودية منها على الأخص) كما تعرّض إنجيل يوحنا، وكان خلاف ليس على أصله فحسب على المستوى التاريخي وإنما أيضاً على المحتوى الإنجيلي، وأصالة رسالته الفكرية والأدبية، وأظهر البعض التصاقه باليونانية فيما عرف بعد ذلك بالأبحاث «اليوحنّوية» المشبوهة وبالأخص خلال القرن السابع عشر وحتى أوائل القرن الحالي أي في مراحل انبعاث السلطة اليهودية المالية.

ويقترب إنجيل يوحنا من الفكر اليهودي الربيين في مواقع ثلاثة هي التوراة واعتبارها تجسيداً لإرادة الله، وموضوع المسيح، واسم الجلالة يهوه، وتبيّن لاحقاً مدى التقارب بينه وبين وثائق قمران اليهودية القديمة والأصيلة، ولقد بشّر يوحنا بنقض الهيكل وزوال السلطة التقليدية من أورشليم وانتهاء قدرات التوراة بالخلاص، ولذا نقم عليه اليهود.

يعتبر يوحنا مثال الإعلامي البارز، حيث راح يظهر قساوة اليهود وتصلّبهم وعدم إيمانهم وعنفهم ضد المسيح «مما خلق حالة نفسية معادية لهم في أوائل الدعوة المسيحية، وكان هدفه فصلٌ كامل لليهودية عن الديانة الجديدة وكَشَف بدعة الأبيونيين المنادين بيهودية التعاليم المسيحية بحيث «تقيدت (العبادات) بالتقليد اليهودي على حساب الإيمان المسيحي التام»[٢].

وأما بولس، فقد ولد في طرسوس من عائلة يهودية من سبط بينامين وكان اسمه في اليهودية شاوول كاسم أول ملك على إسرائيل، ثم حصل على المواطنية الرومانية عن طريق والده فسمي بولس، وعند انتقاله إلى أورشليم

---

(١) لوقا: ٢١.

(٢) البشرى ص ٣٨٦، قمبر.

توّج حياته بالثقافة اليونانية المدعومة بالثقافة اليهودية الدينية، ثم انتمى إلى الجماعات اليهودية المتصلبة[1]، وتعمق بدراسة التعاليم. آمن لاحقاً بالمسيح عليه السلام وتبعه باعتبار أن رسالته مكملة ومصححة لتعاليم موسى عليه السلام والتصق بيسوع حتى قيل عنه أنه «بيرنا» أي ابن التشجيع[2] بشر عن سيده في أورشليم وطرسوس وأنطاكية وقبرص وبمفيلية وليقونية وميسية (سوريا) وفيليبي (الرومانية) وتسالونيكي (بحر إيجه) وبيريه وأثينا وقورنتس (اليونان) وقيصرية وروما[3]. وفي كلّ منها أقام «جماعة مسيحية ذات اكتفاء ذاتي»[4] وكان عوناً على اليهودية يظهر مثالبها من منطلق معرفته بخفاياها فحاول اليهود قتله في أورشليم[5]، وفي فيليبي[6]، وبيريه وأثينا وقورنتس وفي كل مكان ذهب إليه، ثم أثاروا حوله وحول إنجيله شبهات لازال صداها يتردد حتى اليوم، وكاد يقتل في قورنتس على يدهم (٥٢م) (غاليون) وفي قيصرية (٦٠م) على يد فستس، واستشهد في روما عام (٦٧م).

وأما بطرس وقبل إيمانه المسيحي فإنه كان يهودياً متعصّباً ومضطهداً لأتباع الكنيسة ثم اعتنق المسيحية وأخذ يبشّر بها، فاتهمه اليهود أنه «يحرّف الإنجيل الرسولي، وينادي بالتحرر من شريعة الختان (الديانة اليهودية) وشريعة موسى، ويركّز على يسوع وحده» وعمل اليهود على خلق المصاعب أمامه علاوة على التشكيك والطعن برسوليته واتّهموه وروّجوا عنه الإسفاف وغموض التعابير»[7] مع ضعف الشخصية والنقل والنحل والإدّعاء وأثاروا

---

(١) أعمال الرسل: ٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البشرى ص٦٤٢.
(٤) أعمال الرسل: ١٤.
(٥) أعمال الرسل: ٩.
(٦) أعمال الرسل: ١٦.
(٧) رسالة بولس إلى أهل قورنتس.

حول رسائله الجدل ناسبينها لغيره (رسالته إلى أهل افسس وأهل قولس)[1].

وأظهر إنجيل الرؤيا كيف أن الروح اليهودية استطاعت خلق المشاكل للدين الجديد وبنجاح حتى أضعفت الكنيسة روحياً وعبادياً وجففت فيها المحبة (الرسائل السبع ٢) ثم دعمت ظهور أنبياء كذبة عاثوا فساداً في قلب الجماعات المسيحية المحلية كافة»[2].

ولم تقف منهجية الصراع عند حدود، واستعمل فيها الطرفان ما تيسّر لهما من أدوات سعياً لإلغاء الآخر وإبادته إن أمكن ولكن الروح اليهودية ورغم صدمات الانهزام العسكري طورت مواجهتها ونظمت أسلوبها وبذلك كتب لها النجاح في نهاية الأمر.

وكانت مسألة الاستيعاب تتجدد مع الطرفين بحسب نقاط الضعف أو مكامن القوة لديهما، فالمسيحية حاولت ولثلاثة قرون القيام بحركة تصحيح واستيعاب اليهودية ولو بالقوة في نسق التعامل المتماثل منها نحو الشعوب الوثنية المحيطة، وإبان المدّ العسكري عملت على مبدأ الاستقطاب فلما فشلت تحوّل ذلك إلى صراع إبادة في غمرة ضياع الردّ اليهودي العسكري.

وأسهمت الروح اليهودية في التمهيد ودون قصد لانتشار الديانة المسيحية وهي وخلال أعوام طويلة كانت تهيىء الأرضية لمثل هذا الانتشار وإن اختلف توجهه بين ما تريد وما حصل فعلاً، وكان ترددها المتواصل عن مجد إسرائيل وقرب ظهور المشيح[3] ما جعل فشل الأمل من ذلك ارتداداً نحو المسيحية والتي نظر إليها كما أشرنا على أنها جزء من اليهودية، وحتى أن الكثيرين من اليهود تقبلوا فكرة مجيء المسيح وآمنوا بيسوع أول

---

(١) البشرى ص ٦٤٨.
(٢) العهد الجديد ص ١٢١٩، جامعة الروح القدس الكسليك.
(٣) صفينا: ٣.

الأمر على أساس أنه المخلّص «وكانت أورشليم وكل اليهودية وكل جوار الأردن يخرجون إليه»[1] ومنهم كان الصدوقيون والفريسيون بحيث راح يحاول استمالتهم وإذ يأس منهم يأسوا منه»[2] وصاح «إذهبوا إلى النعاج الضائعة من بني إسرائيل»[3] وما لم يستطعه المسيح في حياته لم يستطعه تلامذته من بعده ولا أتباعه والقيّمون لعشرات السنين ومن ناحيتها فإنّ الروح كانت تدرك أن مجال التواصل مع المسيحية مستحيل لأنّ مسألة البقاء تفرض وقعها وعليه فإنّ خشيتها كانت تزداد بقدر ازدياد يسوع عليه السلام في كشف الأوراق «لا تخافوهم، ما من محجوب إلاّ وسيكشف»[4] واتهمهم بانتهاك حرمة السبت وسوء الإرشاد الرسالي[5] ولاح خطر الإبادة على مبدأ الوجود.

أثاروا حوله الشك «جيل شرير زان يلج في طلب آية»[6] وهددهم «هكذا يصبح الآخرون أولين والأولون آخرين»[7] وكان كشف أوراق جلي المسيحية أولاً، ولم تكن الروح لتهدأ مقابل الخطر، وسعت للصدام ليس مباشرة وإنما خلف السلطة الرومانية الوثنية أولاً فدفعوا إليه من يسأله «أيجوز أداء جزية إلى قيصر أم لا» وكان ردّه «ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[8] ثم نادى ومرارة الفم «أورشليم، أورشليم يا قاتلة الأنبياء[9] وهناك وعند «قيافا»[10]

---

(١) متى: ٣.
(٢) إنجيل متى: ٣.
(٣) إنجيل متى: ١٠.
(٤) إنجيل متى: ١٠.
(٥) إنجيل متى: ١٢.
(٦) إنجيل متى: ١٢.
(٧) إنجيل متى: ٢٠.
(٨) إنجيل متى: ٢٢.
(٩) إنجيل متى: ٢٣.
(١٠) قيافا رئيس أحبار اليهود عام ٢٨ حتى ٣٦م.

قررت الروح اليهودية قتل يسوع[1]، قبضوا عليه، أحضروه أمام الأحبار، ثم بصقوا في وجهه ولطموه ولكمه بعضهم وسخر منه قيافا «تنبأ أيها المسيح وقل لنا من ضربك»[2] وأوثقوه وإلى بيلاطس قدموه فسأله «أأنت ملك اليهود؟» فردّ يسوع أنت قلت[3](!!) وتعالى صراخ الأحبار «ليصلب»[4]ثم هتفوا «دمه علينا وعلى أولادنا»[5]، دمه علينا وعلى أولادنا كتبها الإنجيل ورددتها المسيحية لقرون ثم أُعطي اليهود صكّ براءة حتى مما كتبه الإنجيل عن اعترافهم بدمه فكيف ولماذا؟

ونتابع مع الإنجيل «عرّوه، وضعوا على رأسه إكليل شوك، وفي يمناه قصبة، وجثوا أمامه هازئين «سلام يا ملك اليهود» وبصقوا عليه وانتزعوا منه القصبة وأخذوا يضربونه على رأسه»[6] اقتسموا ثيابه بالقرعة بينهم فلما صلبوه «وقف الأحبار والشيوخ منادين بهزء خلّص نفسك، أنزل الآن عن الصليب فنؤمن بك»[7]، بعدها شككوا حتى بعملية الصلب وروّجوا سرقة تلاميذه له[8]، ثم عمدوا إلى إخراج مسحاء عدة من بينهم[9] حتى بات السؤال أيّهم المسيح الحقيقي وضاع الكثير من الأتباع بحثاً عن المسيح الحقيقي[10]، وانتصرت الإرادة اليهودية وترسّخت مبادئها في عمق الذات الدينية المسيحية وكان:

---

(١) إنجيل متى: ٢٦.
(٢) إنجيل متى: ٢٦.
(٣) إنجيل متى: ٢٧.
(٤) إنجيل متى: ٢٧.
(٥) إنجيل متى: ٢٧.
(٦) إنجيل متى: ٢٧.
(٧) إنجيل متى: ٢٨.
(٨) إنجيل متى: ٢٨.
(٩) الأخوة الزائفة ص ٣٥، جاك تني.
(١٠) المصدر السابق.

أولاً : اتساع الجدل بين المسيحيين حول حقيقة حادثة الصلب، والشكّ فيما إذا كان يسوع حقاً حمل الصليب أم سمعان، وبات عدد من الكنائس دون رمزٍ للصليب أو المسيح لعدم إيمانها بعملية صلب المسيح.

ثانياً : المحامي اليهودي بولس (كما يصفه المعاصرون) هو الذي عمم الأناجيل ونشرها وجميع ما فيها من بنات خياله ولا علاقة للمسيح بها.

ثالثاً : لا علاقة لليهود بصلب المسيح بتاتاً.

رابعاً : لم يكن يهوذا الأسخريوطي إلاّ وسيطاً بين المسيح والسلطة الرومانية والوسيط لم يخن ولم يسلّم المسيح للصلب.

خامساً : المسيحية ليست ديانة منفصلة قائمة، وإنما هي رديف واستمرارية لليهودية، والعهد الجديد ليس إلاّ أحد فصول التوراة.

سادساً : المسيح مات على الدين اليهودي[1].

انه وبقدر ما أوجدته الأمبراطورية الرومانية من حماية للمسيحية فإنّ الأخيرة ورثت حضارة الانحدار الروماني، وقامت الكنيسة على نفس الهيكل التنظيمي للدولة ووريثها فوق الجماعات البشرية المنضوية تحت لوائها من الفلكر فاندرونج (البرابرة) الجرمان إلى الصقالبة الروس وحتى مرحلة الكنيسة العالمية[2]، فلما قامت نوازع الشك وبدفع يهودي أذكى الهرطقات (اليعاقبة والنسطورين والأريوسيين وغيرهم) على مثال «إننا لا نجد كلمة ثالوث في كل الكتاب المقدس من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا، وكلمة ثالوث لم

---

(١) الصانداي تايمز، الأندنبرت، لوبوان، بي بي سي.

(٢) الحضارة ص ٢١٨، د. مونس.

تدخل في الكتابات الأكليكية والمؤلفات إلاّ أواخر القرن الثاني بعد الميلاد في مجمع نيقية»[١].

وكان للبعض من المفكرين المسيحيين حسن النية لمحاولة تنظيف ما يعلق برسالة المسيح من شوائب ونشر ما يؤمنون به من معتقدات بحسب الإمكانيات والمفاهيم المتاحة في تلك الأعصر، ولكن الحوافز رغم أصالتها وطيبتها لا تغني عن عبث العابثين والمكيدين وكانت الروح اليهودية تلتقط الآراء ثم تذرها لتفعيل الحيرة والشك والخلاف وبقدر نجاحها بذلك كان هدفها يبدو جلياً وراحت تنتظر إيناع الثمر.

فتعاليم الصدوقيين على سبيل المثال المتعلقة بموت النفس هي تعاليم تنطلق من رؤيا الروح اليهودية للمسألة[٢]، ساعدهم اليهود على نشرها وصولاً من خلال الجدل إلى إنكار مبدأ القيامة بالمسيح وبالتالي حقيقة الصلب أو عدمه، «لأن جسماً من لحم ودم لا يحيا في السماء»[٣] ولم يكن ذلك ليمس الروح بسوء فيهوه كائن يعيش في وسطهم ولا يموت وهو نور وبالتالي فإنّ يسوع هو المتضرر الأكبر وحده من مثال هذه الآراء، وانعكاس ذلك على أتباعه أبلغ ضرراً.

إنّ إثارة الشك والتنافر والتناحر وتعميق الخلافات في المذهب الواحد كان هدفاً يهودياً صرفاً لأن «من شأن الامتثال للإيمان (الغير يهودي) أن يحمل الشعب على الامتثال لنصائح رعاة الرعية فينمو خاضعاً لشرائعهم والتي سنها الله لذلك وجب علينا أن نقوّض أركان كل إيمان، وننزع من عقل الخوارج (المسيحية الخارجة عن دين يهوه) أي اعتقاد بالله(!!) وبالنفس(!!) شاغلينهم(!!) بقوانين وحاجات مادية مع إعلان حرية الضمير، حتى يتلاشى

---

(١) عقيدة الثالوث المقدس ج٢.
(٢) قاموس الكتاب المقدس.
(٣) حسب ما يقول بطرس.

الدين المسيحي وبعده بقية الأديان. . . إن مساعدتنا لقيام كفرة محدثين لدى الأديان يساعد خططتنا ويدفع الآخرين لمساندة تعاليم ديانة موسى»[1] (دون قصد منهم).

ولمرة نادرة أوردت جريدة التايمز[2] «إن اليهود ومن منطلق البغض للدين المسيحي نظموا منذ أجيال تدابير سعوا من خلالها لإحداث انشقاقات داخل الدين بواسطة جمعيات سرية دفعت الحكومات وشعوبها ضمن مراحل متساهلة من الراديكالية إلى الاشتراكية وثم الإباحية والفوضى مقدمة لحكم إسرائيل للعالم إن هدفهم الأولي إفساد الأخلاق وتقبل الرذيلة ووأد الروح المسيحية».

لم يكن هناك من مجال لمواجهة سلاح الشك فالبيئة والمجتمع المسيحي لم يكونا مؤهلين للرد وإظهار الحقيقة، ثم إنّ محدودية وبطء اتّساع الرأي وافقه الزمني على مراحل الجغرافيا كله أدّى إلى تحوّل الكذب والتزوير والرياء والدجل وبتعاقب الزمن مسلمات يصعب دحضها رغم المحاولات للبعض، فالشمولية في المسألة أكبر من إمكانية الاستيعاب وكتابة التاريخ من جديد أمر مستحيل.

إنّ تعليب الوعي يتطلب مهارات وزمناً، وتوجيه الرأي في متاهات هو أسلوب يهودي صرف، فالنقد والنقد المضاد يصرعان المبادىء ويشوشان على المثل والقيم الفكرية والفلسفية، ولقد خلق الألماني رومانتسيم روحاً جديداً وخيالاً سامياً للكثلكة فقام اليهودي هايتي يسخر من شعراء الرومانتسيم ويهدم قيمهم ويضحك من الكثلكة ووجودها فشطر بذلك الرومانتسيم المعينة للدين، وآمن كثيرون وشكّ كثيرون.

وآمن الناس بالسياسة والأخلاق والفن ظواهر سموّ للفكر البشري وجاء

---

(١) هيكل سليمان ص ٧٦، يوسف الحاج.

(٢) التايمز عدد ٨ أيار ١٩٢٠.

اليهودي كارل ماركس وأثبت أن هذه الظواهر تنمو فوق أقذار المجتمعات واقتصادياتها فآمن كثيرون وشكّ كثيرون.

وأقام تولستوي وفزلين وابسن مفاخر أدبية فجاء اليهودي ماكس نوردو مهاجماً الأدباء والشعراء كقومٍ بلهاء معتوهين حضارتهم وأدبهم كذب وادّعاء، وأمن بمقولته كثيرون وشكّ كثيرون.

وأمّا المرأة فحملت منذ القدم سمات العبادة والتآلف فجاء اليهودي واينجر مستعيناً بما يملكه من قدرات الدسّ فأظهر أن المرأة أقذر المخلوقات على وجه الأرض وأنها بؤرة أوساخ، فآمن برأيه كثيرون وشكّ كثيرون.

ثم إن الفلسفة كانت منتهى الذكاء ووسيلة للفهم والوعي فجاء اليهودي برغسون وقلب بتحليلاته تلك المعتقدات مزدرياً عقولها التي لا تعرف إلاّ القليل من الحقيقة، وآمن كثيرون وشكّ كثيرون.

أخذ الناس الدين كمنطلق للمحبة والتعاون والتطلع نحو الخير، وجاء اليهودي سلامون ريناخ فأظهر أن الدين ليس إلاّ خرافات وعادات، فآمن بمبادئه كثيرون وعارض كثيرون.

وعاشت الأجيال المسيحية هذا التعارض والتناقض حتى بات معه أن الدخيل لم يعد يعرف من الأصيل تحت ظلال الشك الذي زرعته الروح اليهودية، وكان نتاج ذلك أن امتلكت الروح اليهودية سلطة توجيه القرار على المستويات الفكرية والدينية والسياسية مستعملة المال كقوة وسلطة ونفوذ.

يقول الدكتور «ديوي بيغل» من كلية ويسلي للاهوت المسيحي ما مفاده «إنّ كل جماعة مسيحية تدّعي أنها على حق، إلاّ أن ذلك ليس صحيحاً لأنها تتناقض والتفسيرات بينها»[١]، مشيراً إلى أن البعض من الجماعات المسيحية

---

(١) الوحي والنبوءة، ديوي بيغل.

تؤمن كليّاً بمبدأ الوجود اليهودي في فلسطين من ضمن وعد الرب لهم بها، ويتابع الدكتور ديوي:

«إن نبوءة عودة شعب إسرائيل إلى فلسطين تحققت عند العودة من بابل، ولا علاقة لإسرائيل القرن العشرين بتلك النبوءة كما وأنّ وعد الله لهم بالأرض لم يكن وعداً دائماً بل وعداً مشروطاً أخلّ به اليهود مرّات فخسروا ذلك الوعد»[1].

ولم يستطع الدكتور إكمال مهمته فقد أطيح به من المجتمع المسيحي لأنه قال الحقيقة فكيف أمكن للروح قلب المعادلة من صراع مسيحي يهودي إلى استيعاب يهودي للمسيحية؟ الوسائل أكثر من أن تعدّ، وفي التاريخ سجلّ واف يجدر متابعته!

---

(١) المصدر السابق.

القسم الرابع

العصر الوسيط

بدت «تل أبيب» أشبه بمدينة أشباح، الشوارع الخالية والمحلات المقفلة، وندرة العابرين، حتى دور العبادة واللهو أقفرت من زائريها.

ولم يكن اليوم سبتاً، ولا عطلة رسمية، كما أنه لم يكن يوم حرب أو تهديد بالحرب من جانب العرب، وما كان يحدث في العاصمة كان يحدث كذلك في المدن والقرى المحيطة بها، آلاف المواطنين التزموا بيوتهم، متحلقين حول أجهزة التلفزة والاستماع، يتابعون بشغفٍ وتلهّف النتائج النهائية لاختيار «بطل الكتاب المقدس»[1].

ولو أن ذلك حصل في دولةٍ أخرى، لحظي بالتندر والنكات أما في إسرائيل فإنه يمثّل قمة الإلتزام لدى الأجيال اليهودية بالتعاليم، والتي يصعب على أي يهودي أيّاً يكن مركزه الاجتماعي التهاون أو الإقلال من دورها في بقاء الشعب اليهودي عبر تاريخٍ لم ترحم اليهودية فيه من حولها من الأمم، فلم ترحمها تلك الأمم فيما بعد.

ومنذ فشل ثورة باركوخبا (١٣٢ق.م) والحقد اليهودي ينغرز في الذات اليهودية حتى الأعماق، وكره الآخرين يبدو أو يحتجب تبعاً للظروف، حتى

---

(١) فيستنيك إسرائيل، العدد الأول.

إذا ما قدم عيسى عليه السلام برسالته، تفجّر ذاك الحقد بأجلى مظاهره عنيفاً مدمراً، ما لبث أن جرف بتياره الوجود اليهوديّ نفسه، نظراً لانتشار الديانة المسيحية بشكل واسع ولم تستطع الروح اليهودية رغم محاولاتها وأد هذا الانتشار في الأقطار المحيطة بفلسطين وما بعدها.

ولقد وجدت الروح أن معاركها العسكرية، إن على مستوى المواجهة مع الأمم الأخرى، أو حتى داخل الوجود اليهودي، قد أذهبت منها العناصر القتالية المقاومة وأبقت على عناصر الجبن والمسكنة والخبث[1]. وعليه فقد سعت لإيجاد بدائل تستطيع من خلالها إعادة إحياء ما أمكن لها من السيطرة وان خلف ستار بانتظار الزمن الموعود، الذي يمكن لها فيه أن «يعطيك الرب مدناً عظيمة جيدة لم تبنها، وبيوتاً مملوءة كل خير لم تملأها (كما وردت في النص) وآباراً محفورة لم تحفرها، وكروماً وزيتوناً لم تغرسها، ثم. . . ترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم»[2].

ولقد عاش اليهود بانتظار الإرث، بعد فناء الشعوب، فترة، ثم راحوا يحاولون استعادة إرثهم من الشعوب الأحياء بإيمان مطلق دون أن يتركوا وسيلةً ما للوصول إلى غايتهم مما خلق ردّات فعل عنيفة لدى الآخرين نحوهم. «الحقيقة المقررة عند الرابيين أنه يمكن لليهودي أن يأخذ أي شيء يخصّ المسيحيين أيّاً يكن السبب حتى بالاحتيال، ولا يمكن أن يعتبر هذا العمل لصوصية لأنّ اليهودي لم يأخذ سوى ما يخصّه هو»[3].

ولما كانت مسألة التعامل مع الآخرين في ظل الانسحاق قد فرضت نفسها لذلك «إذا كان ليهودي ما علاقة طيبة مع آكوم، يجوز ليهودي آخر المجيء إلى الآكوم نفسه والتعامل معه للاحتيال عليه واقتناص ماله لأنّ ثروة

(١) انثروبولجيا اليهود، جمال حمدان ص ٢١.
(٢) سفر التثنية: إصحاح ٦، ١١، ٢٣، ٢٤.
(٣) أ. رومل ص ٢٠.

الآكوم يجب أن تعتبر مشاعة الملكية»[1]، وعلى مثل هذا المنوال راحت الروح اليهودية ترسم خطّ الصراع القادم، ولما كان الخوف من الآخرين قد بدأ يتغلغل في الذات اليهودية، ولما كان الانحلال والتشرذم اليهوديين قد فرضا نفسيهما عقب فشل ثورة السماريين (الكوثيون اليهود) والذين أبيدوا بشكل دموي على يد الغساسنة المسيحيين (٥٢٩م) ثم أعقب ذلك قيام اليهودية بالتحالف مع الفرس (٦١١م) وإقدامها على تدمير مدينة القدس وذبح سكانها المسيحيين بالكامل[2] لذا فإنّ صورة التعامل اللاحق وكيفيتها باتت واضحة المعالم، إذ لم تمرّ إلاّ سنوات قليلة حتى هوجم اليهود في فلسطين فلم ينج من القتل منهم إلاّ من فرّ إلى مصر أو الأقطار الأخرى[3].

لم تكن الروح اليهودية مهيأة لمثل هذه الأحداث، وما كان في الحسبان أن يتشرذم الشعب في مختلف الأقطار والسيف مسلّط فوق عنق البعض منهم، والبعض الآخر يسير خلف ركاب الطمع والاكتساب، فمن جورجيا السوفْيتية إلى كييف ولتوانيا في القرن الثامن الميلادي[4] إلى ضفاف الراين فكولون ومنيس[5] ثم بولندا أثناء الحملات الصليبية على الشرق، والتي تقول أسطورة يهودية: إنّ اسمها مشتق من المعنى العبري «بولين» أي ابق هنا[6] نشأت مجتمعات أو تجمعات يهودية حملت أسماءها، حارة اليهود في مصر، والمسبتة في اليمن والملاح في المغرب[7] والشتتل وهي كلمة بيديشية تعني المدينة الصغيرة وان لم تكن سوى «حي من الأحياء القذرة شوارعه ملتوية

---

(١) شوشين هاميشيات.
(٢) الموسوعة البريطانية.
(٣) هيا مسون ص ١٣.
(٤) تاريخ موسكو ص ٧.
(٥) الصبغة الآرية في الدولة اليهودية ص ٢٤، سلزر.
(٦) المصدر السابق.
(٧) دائرة المعارف اليهودية.

كمناقشات التلمود»[1]، والقاهال بمعناها العبري الجمهور[2] ثم ما عرف لاحقاً باسم الغيتو.

وقبل أن تصل الروح اليهودية إلى مركزة قواها في القاهال بزمن، فإنها عمدت إلى التحرّك خفية خشية دفع المزيد من الأثمان، ومنذ ذلك الحين بدأت تطبيق نظرية سيطرة الظلّ تتحرك من خلالها عبر الحدث التاريخي والاقتصادي للشعوب. ولم يتغير شيء بالنسبة لها، إلاّ في كيفية وضع الوسائل التي تحقق الأهداف، وسائل جديدة لأهداف قديمة، وخطة مركّزة بأسلوب الدهيّ المتعمق، دون حاجة لرسم الخطط بل يكفي أن يكون خط سير الكنيس موازياً لخط سير المخططات بحيث أن موسى هيس مثلاً كان حاخاماً شيوعياً وصهيونياً في الجمعية الاشتراكية اليهودية الروسية في الوقت نفسه ودون خجلٍ أو خوف أو تساؤل من الآخرين عن كيفية ذلك.

وبما أن الأمم تبنى على المبادىء التي تؤسس لها الأنظمة، فإنّ فساد أي نظامٍ منها يؤدّي إلى فساد شريحة من هذه الأمة قلّ أو كثُر عددها، دون أن يظهر فساده في كثير من الأحيان سوى لذوي العقول المدركة الواعية مع ندرتهم بين الأمم والشعوب، فيما يظلّ ثابتاً في نظر العامة من الناس الذين لا تعنيهم قراءة التاريخ بشيء في غمرة الصراع على الوجود. مع أن التاريخ يواصل مدّ حركته دون انقطاع وإن غيّر مساره هنا أو عدّل بها هناك حاملا أوجه الصراع المتجدد عبر الأزمنة.

وفي البدء كانت القوة تسير الحدث، ويفرض الذراع على الواقع التطلعات والأهداف، ثم ما لبث العقل في تدرّجه الزمني أن فرض وجوده، وراح يوجّه التاريخ من سدّة القيادة، مستغلاً المستويات الفكرية للبشر ومبدأ الوعي المتنامي، ومن المنطلق عينه سعت الروح اليهودية للسيطرة على عقول

(١) مسار التاريخ اليهودي، هوارد مورلي ص ١٩١.
(٢) القاموس المركزى ٦١٨.

الناس عبر امتلاك القدرات السياسية والاقتصادية والفكرية.

فوسائل الدعاية أصبحت من القوة أضعاف أضعاف ناتج السيف أو البندقية في اليد، ومن خلالها أمكن للروح دفع الفرد نحو اللامبالاة والانحلالية ليغدو محجوب العينين عن الحقيقة، فتحويل الفرد إلى مجرّد شيء ثانوي يقنعه بتقبّل أداء دور بسيط في الحياة ويدفعه إلى منتهى حدود اللامبالاة بما يجري حوله.

لقد تعلّمت الروح اليهودية من أخطاء الآخرين ومن أخطائها هي بالذات ولذا وضعت مسألة قلب المفاهيم والقيم في سلم أولوية حركتها، ولما كان الأطفال بطبيعتهم واستعدادهم الفطري للتأثر بما يملي عليهم أو يزيّن لهم فعله وهم رجال المستقبل، بمقدار النجاح في توجيههم يكون نجاح الخطط المستقبلية وبنتيجة الدعاية وتعليب الوعي تتوقف الجهود والرغبة والاندفاع، وحيثما تنعدم الجهود تندر الإنجازات، وعندما يطمس الدين تنعدم الأخلاق، وبانعدام الأخلاق تموت الأسرة ويضل المجتمع، وعندها يختلط اليقين الفاصل بين الخير والشر بالضلالة، ويقف الفرد عاجزاً عن الفهم، وكيف أن هؤلاء الذين ينفقون المال للدفاع عن اندماج الأمم يتجنبون بذكاء مصاهرة الآخرين من الأجناس، وبينما ينادون ويدعون للمبادىء العالمية، يمارسون التعصّب القومي لليهودية بأقصى درجاته، وعندما يشهّرون بمساوىء التعالي عند الأجناس نراهم يدّعون أنهم شعب الله المختار، وإذ يستنكرون الاضطهاد بأعلى ما لديهم من الأصوات نجدهم يموّلون ويؤسسون ويعملون على اضطهاد الآخرين وإفشاء الحروب، ويعيشون منذ ألفي سنة أمة داخل الأمم يقتاتون من خيراتها ويعملون للقضاء عليها بشتّى الوسائل، مستغلين العقل والعلم والمال كلّ في موضعه، مستخدمين الخبث والدجل والرياء حتى بات يصعب تبيان الحقيقة جليّة لكثرة ما زرعوه من شوائب دهرية عبر كل أمة أقاموا بينها وفي وسطها «لا بدّ لنا أن

نقتفـي أثـر التلمـود فـي الخـرافـات والآداب الأوروبيـة»[1] دون أن ننسـى محدودية القدرة لدى الكثير من الأمم على فصل الخرافة واليقين عن بعضيهما في معظم الحالات وتبعاً للأعصر، والمفاهيم والوعي بدءاً من العصر الوسيط وحتى أوائل القرن العشرين الذي امتلكت الروح اليهودية فيه السلطات كاملة بين يديها فكيف أمكن لها ذلك؟

---

(١) تاريخ اليهود للدكتور ميلمان.

سيطرة الظلّ

يقول نعيم قطان[1]: «إنّ اليهودية شهدت مجد الأمبراطوريات وانحطاطها وشاركت فيها، كنّا شركاء الأمبراطورية الإسلامية وطردنا معها من اسبانيا، مع أولئك الذين يتغنّون بمجد محمد ﷺ، والسقوط أصاب الإسلام هناك (الأندلس) لكنه لم يصب يهوديتنا، لم نكن السلطة. ولم يكن انحطاط الأمبراطورية انحطاطاً لنا، اختلافنا (يقصد عن المسلمين) وقانا، وانتماؤنا (يقصد تبدّل الولاء) حثّنا على الاشتراك في الوسط الجديد»[2] وكذلك كان فعل الروح اليهودية، التلطي خلف الآخرين، حتى إذا ما أصابهم التلف وخشية الزوال وجدوا ظلاً آخر للإختباء خلفه، بل انهم كثيراً ما سعوا للتحالف مع عدوّ حليفهم الأساسي عند شعورهم بقرب انتهاء مجده ويحدثنا التاريخ بصيغة السرد كيف تحالف اليهود مع الرومان لحرب المصريين ثم بدّلوا ولاءهم عندما أحسّوا بضعف روما وسيطرتها للتحالف مع الفرس ضد الرومان ثم أعادوا التحالف مع روما ضد الفرس ثم مع المصريين ضد روما، وهكذا ولقرون!

ثم حدث تبدّل رئيسي أثناء نشوء ما عرف بالبورجوازية الأوروبية وكان

---

(١) نعيم قطان يهودي عراقي من مقالته الصمت المهين.

(٢) مجلة الأزمنة الحديثة.

نشوؤها مرحلة جديدة لعمل الروح اليهودية واتّساع سيطرتها كما سوف نلاحظ وهي مرحلة من السيطرة ما كانت لتتأتى للروح لو لم تكن قد عملت لها طويلاً رغم كل الظروف المحيطة بحركة الهجرة اليهودية أو الوجود اليهودي في الأقطار، وكان عمل الروح من خلف الظلّ قمة في الأداء الاحتيالي وعبر طرح الشعارات المضللة وذرّ الفتن بين الشعوب تحت صيغ المساواة والحرية والعدل ومن خلف الأحزاب والتنظيمات والجمعيات والهيئات، وبتوجيه القيادات الحليفة والعدوة على السواء نحو الهدف أمكن لهذه الروح وعلى المدى الطويل تنفيذ المخطط الموضوع والهدف المراد «لقد التحقنا بجيوشكم وحاربنا فوق طاقة أعدائنا، ولكن الدعوة اليهودية إلى عدم العتق ومعارضتها للحرب، هي التي تلوّن حركة اللاعنف العالمي، لقد التحقنا بعالمكم الرأسمالي في منافسة مقصودة(!!) ولقد قام ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي بإعطاء القوة العالمية التي تحارب المؤسسات والمعتقدات التقليدية زخمها الرئيسي»[1] والهدف واضح وجلي، دعم الإرهاب والقلاقل والثورات لتدمير المعتقدات، ولو كانت بعض تلك الثورات تشمل قتل بعض اليهود كما سنرى لاحقاً، فالمهم لدى الروح ناتج التدمير على الأمم الأخرى!

ولقد استوجب عمل الظلّ دعم المنحرفين عن الدين المسيحي كما رأينا وتحت شعارات مختلفة، لم تكن الروح اليهودية معنيّة بأحقيتهم ومصداقيتهم من عدمه، فكل ما كان يعنيها ازدياد الشرخ في الأمة المسيحية وقد اتّسعت بها الأرجاء، فكان أن دعمت الثورات الدينية بكل السبل وأيّدت الحركات المسيحية تحت شعار الإصلاح وطبيعي أن الروح كانت أبعد من أن تهتم بالدين المسيحي وهي تسعى للقضاء عليه، وكان هدفها شرذمة القوى المسيحية المواجهة لها بهدف إضعافها لكي يسهل القضاء على أساس وصلب وجودها، ضمن العقيدة الدينية الواحدة، والتي يصعب في حال بقاء وحدتها،

---

(١) من كتاب أنتم أيها الأمميون.

يصعب على تلك الروح تحقيق مرادها المنشود «صبّوا جام غضبكم على الشعوب التي لا تميّزكم، وعلى الممالك التي لا تتوسل باسمكم، ودعوا حنقكم الغاضب يستولي عليها، اضطهدوها بغضب، وحطموها من تحت سماوات الرب»(١)، ومن هذا المنطلق تمّ دعم اللوثريين والمورمن والسبتيين في مراحل لاحقة.

ولـم تتـوقـف عمليـة الظـل علـى استخـدام الأفـراد بـل تعـدتهـا إلـى المجتمعات والهيئات والجماعات، وكانت الجمعيات وحتى المتطرف منها ضد اليهودية وسيلة من الوسائل الكثيرة بين يدي الروح عرفت كيفية استغلالها وتوجيهها من مثال الماسونية وشهود يهوا.

اختلف الباحثون حول الماسونية كوجود وأبعاد وأهداف، منذ التأسيس وحوله في الأعصر القديمة وحتى زماننا الحاضر، ولقد زاد الغموض حولها من الرغبة فيها لدى الفرد والجماعات في أقطار العالم، لأن الغموض مرغوب في الطباع البشرية وبالأخص منها تلك الطباع التي تخضع للمعاناة الروحية أو المهنية.

ولقد أسهم الباحثون في انتشارها عن قصد أو غير قصد، حتى أن بعضهم قاتل للدفاع عنها أو للهجوم عليها، وفي كلتا الحالتين كانت الماسونية ومن خلفها الروح تقطف الثمار.

إنّ لـدارس المـاسـونيـة فـي عمقهـا رؤيـا واضحـة عـن أسلـوب الـروح اليهودية المستعمل من قبلها لتنفيذ المخططات، فتورية الهدف الحقيقي خلف شعار السلام والمحبة يهدف إلى نزع حوافز الردّ والمواجهة مع الفعل اليهودي ونجاحه، ومسألة حجب الدين تتوخّى إضعاف الالتزام به، وقضية عدم التبعية تئد الولاء للأوطان، ولا يعنينا هنا ما يثار عن نشأتها وأين ومتى كواقع

(١) شابات (118a) ١١٨أ.

تاريخي، ولا ما يحاوله البعض من إظهارها كدعوة إنسانية بحتة، ولا ما يثار حولها من نقد مدافع أو نقضٍ مضاد، لأنّ الهدف هو المعني بالحقيقة أن يفهم وأن تحفظ الكيفية التي يتم من خلالها استغلال الآخرين.

يقول شاهين بك مكاريوس، رئيس أعظم شرف مقام العقد الملوكي، وعضو شرف جمعية أبطال الماسونية، وعضو محفل اللولو بأميركا، ومحفل سليمان بالقدس، ومحفل الثبات في مصر، ومحفل سورية بدمشق، ومحفل النيل الإيطالي، ومحفلي لبنان وفلسطين، ومحفل اسكله سليمان بيافا، ورئيس ومؤسس محمل اللطائف وفينيقية والحائز على درجة النخل والصدف ودرجة ٢٢ وغيرها: إن «الكهنة المصريين في هياكل منفيس أوجدوا قاعدة للشرائع المتعلقة بعبادة الآلهة، وأصبحوا وسطاء بينهم وبينها فرأوا وجوب تكثير الطالبين في جمعياتهم ليشتد بهم أزرهم... فصاروا يمتحنون الطلاب بتجارب شتّى حتى إذا رأوا من أحدهم إقداماً وبسالة أقسم يميناً معظمة أن لا يخون ولا يبوح بما علمه من الأسرار فأدخلوه جمعيتهم مسرورين».

ومن هؤلاء نشأ استعمال التجارب في الجمعيات وكان الكهنة ولخشيتهم من أن يعبث بالأسرار أو تذهب عظمتها ستروا الحقيقة(!!) تحت رموز... ثم جاء أعاظم رجال اليونان كتاليس وسولون وفيثاغورس وديموكوتيوس وأورفه وأفلاطون وايدوكس وهيرودوتس وليكوغورس... ويقال إنّ موسى أول من نقل الأسرار المصرية إلى شعبه اليهود ومنهم انتقلت إلى اليونان فالرومان»[1] والذين كان لهم في عهدهم امتيازات لم ينلها غيرهم!

ويحدد مكاريوس شرائع الماسونية فيقول:

المادة الأولى: يجب عليك أيها الماسوني أن تكرم الله وتعبده بإخلاص متبعاً شرائع نوح(؟!) لأنها شرائع إلهية يجب الرضوخ والإذعان لها وما تأمرنا

---

(١) الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية ص ٢٢٩.

به، وعليك أن لا تتبع شرائع فاسدة وتعاليم كاذبة فلا تأثم نحو الله.

فإن توقفنا عند المادة الأولى لبحث ما ورد بها نجد وبجلاء أن الدين المسيحي والدين الإسلامي هي شرائع فاسدة لأنها ليست من شرائع نوح واتباعها إثم أي ببساطة خلق حالة فك ارتباط بين الأتباع وديانتهم السابقة وعدم إيلاء تعاليمها أي اهتمام أو مصداقية في غمرة اتّباع الماسونية.

المادة الثانية: يجب عليك أن تكون أميناً ملك فلا تخونه مهما توالت عليك الرزايا ويجب عليك إن علمت بخيانة أن تعلم الملك بها(؟!).

المادة الثالثة: (بيت القصيد)، يجب عليك أن تخدم الجميع وتتحد معهم بمحبة عظيمة صارفاً نظرك عن دينهم ونحلهم(!!).

المادة الرابعة: عن العلاقة بين الأخوة الماسونيين.

المادة الخامسة: عن حفظ الأسرار والتعاليم.

المادة السادسة: تتعلق بطاعة الأستاذ الماسوني.

المادة السابعة: دفع الدين.

المادة الثامنة: دور الأستاذ الماسوني.

المادة التاسعة: العلاقة بين الماسونيين.

المادة العاشرة: لا يقبل الطالب بناء إلاّ بعد سبع سنوات تجربة.

المادة الحادية عشرة: لا يجوز للأستاذ إدخال أحد في الماسونية إن كان غير حرّ الولادة ويجب أن تكون أعضاؤه سليمة وصيته حسناً(!!).

المادة ١٢ و١٣ و١٤ و١٥: تتعلّق بالواجبات[١].

إنّ مسألة شرح هذه المواد تعود بنا إلى التاريخ تلقائياً وما خلّفته

---

(١) المصدر السابق.

الحركات السياسية والاجتماعية فيه، فطاعة الملك واجبة في زمنٍ كان فيه لويس الرابع عشر ينادي «أنا السلطة» دليل على مدى ذكاء الروح في تعاملها مع الملوك والقادة واستغلال ذلك لونهم، ولنر:

«في سنة ١٣٥٠ مسيحية اجتمع الأخوة الماسون برئاسة إدوار الثالث ملك إنكلترا وأضافوا إلى المواد السابقة ما يأتي:

١ ـ عند قبول أخ حديث يجب أن تتلى عليه القوانين واللوائح الماسونية.

٢ ـ يجب امتحان الأساتذة لمعرفة أهليتهم للخدمة.

٣ ـ متى اجتمع الرئيس والمنبهان في محفل فعلى حاكم المدينة أو والي الولاية أو شيخ البلد أن يكون قريباً من الرئيس ليساعده في كبح جماح العصاة ونوال العشيرة الماسونية حقوقها(!!).

٤ ـ حول الإخلاص للملك والأخوية الماسونية والمحفل.

٥ ـ مسألة اجتماعات المحافل[1].

فإن عدنا إلى المادة الثالثة من الشرائع والمادة الثالثة من الإضافة تبين لنا وبوضوح كيفية وضع السلطة في يد رئيس المحفل بأمر ملكي مقابل دعم الملك وكبح العصيان ضده.

وأما الدستور الماسوني والذي ينشر بين العادية من الأتباع فيحمل صفات القداسة والطهارة في التعامل من مقال:

١ ـ قدّم العبادة والإكرام لله.
٢ ـ أحبب قريبك.
٣ ـ لا تفعل الشرّ.
٤ ـ إعمل الخير.

---

(١) المصدر السابق.

٥ ـ اتبع ديانتك واحترم ديانة الآخرين.

٦ ـ أحبب الأبرار وأشفق على الضعفاء (المادة الحادية عشرة من شرائع الماسونية ترفض إدخال الضعفاء إليها).

٧ ـ اتبع صوت ضميرك.

٨ ـ كن كأب للفقراء والمحتاجين.

٩ ـ أكرم الغريب.

١٠ ـ إجنح للحق... الخ[١].

إننا إذ ندع هذه التعاليم جانباً لبعض الوقت فلأنّ ما جاء فيها ليس إلاّ لذرّ الرماد في عيون الأتباع السذج من المبتدئين، والذين لا يحق لهم الاطّلاع على جزء من الحقيقة إلاّ بعد سبع سنوات من الانتساب للجمعية الماسونية فيما يحتاجون إلى سنوات أخرى وسنوات للاطّلاع على الحقيقة ومنها:

عندما تخمد نيران الثورات التي أضرمناها معاً في سائر البلدان وعندما يعلن رسمياً سقوط الحكومات القائمة وتحلّ سلطتنا محلّها عندها نحكم بإعدام كل جمعية سرية ونلغي الجمعيات السرية كلها وننفي أعضاءها إلى أقاصي الأراضي الأوروبية وهكذا نفعل بجهابذة الماسون من غير اليهود.

وحالما ينادى بحكومتنا تنتهي مهمة الأحرار (الماسون) وننزع من شعاراتنا لفظة «حرية مساواة آخاء» فقد فزنا بما نروم».

«لقد استعملنا الوسائل والحيل للفوز عندما لم تكن أمتنا قادرة على ذلك، ولذا أوجدنا ماسونيتنا الخاصة والتي يجهل أسرارها الحقيقية وغايتها هؤلاء الحيوانات(!!) واستطعنا التفريق بينهم».

«يجب علينا أن نقوّض أركان كل إيمان وننتزع من عقل الخوارج (عن

---

(١) المصدر السابق.

الدين اليهودي) الاعتقاد بالله وبالنفس شاغلينهم بضرورات رياضية ومادية».

«ومتى أصبحنا أسياد الناس لا ندع سوى ديانتنا لأننا شعب الله المختار ومصيرنا يقرر مصير العالم كله» و«نجعل بعد ذلك وكلاء جميع البلدان يهوداً أو من صنائعنا لبدء العهد اليهودي».

«لقد أشغلنا الناس بالملكية والإباحية فأتعبنا الحكومات والشعوب ولم يفهموا أننا لن ندع أحداً يشاركنا السلطة»[1].

وقد يعترض البعض محاولة للفهم أو يعترض الآخر من دون فهم عمّا ورد وعليه فإنّ الجواب بسيط وبلسان مكاريوس نفسه والذي رغم محاولته إبعاد صفة اليهودية عن الماسونية أجبر على كشف المستور منها وذلك في كتابه تاريخ الإسرائيليين وإذ انطلق من بدء وجودها التاريخي حتى مراحل عصره مع إظهار النوابغ منهم عرج في كتابته على الأمة الإسرائيلية قائلاً: «مر على الأمة الإسرائيلية أدهار طويلة هائمة في أنحاء الأرض بعدما نزلت بها نوازل الأقدار التي هدمت أركانها حتى تفرّق اليهود في جميع الأمصار... وكأنّ الأمم في العصور الماضية أكبرت ذكاء هذه الأمة فانقلبت عليها حسداً وغيرة وافترت بالأكاذيب والإشاعات عنها... ولو أنّ الإسرائيليين نالوا حقّهم من المساواة منذ زمن طويل لسبقوا سائر الملل ولا نرى مسوغاً للناس اضطهاد اليهود لذكائهم ومقدرتهم في الأعمال... الخ»[2] وجاء الردّ سريعاً من الحاخام باشي حبر الطائفة الإسرائيلية في مصر عبر كتاب يقول فيه:

«طالعت بكل سرور التأليف الحديث «تاريخ الأمة الإسرائيلية» لسعادة مؤلفه الفاضل شاهين بك مكاريوس فأعجبت بدقة روايته وموافقته لأصحّ المؤلفات التي وضعها مؤرخو الأمة الإسرائيلية... ولي الثقة أنّ الجميع

---

(١) هيكل سليمان ص ٧٦، يوسف الحاج.
(٢) تاريخ الإسرائيليين لشاهين بك مكاريوس.

يقبلون على مطالعة هذا السفر(!!) ويكونون عضداً لمؤلفه الفاضل لإبراز جواهر مؤلفاته العائدة بالنفع العظيم على أبناء الطائفة (اليهودية طبعاً)»[1].

ومن رسالة أخرى أرسلها الحاخام مسعود حاي بن شمعون وكيل حاخامات مصر جاء فيها: «بعد التحية والاحترام... إنّ كتابي هذا ينوب عني بالاعتراف بفضلكم العظيم في تأليف تاريخ الأمة الإسرائيلية... ولقد قارنته بأعظم كتب المؤرخين من أبناء أمتنا فوجدته قد تقدمهم في شموليته ومصداقيته.

وأما الكتب التي راجعت كتابكم عليها فهي أولاً «اليوسيفون» و«هادوروت» و«صحاح داڤيد» وتواريخ «كلمن شولمن» وهم «دبري يمي عولام» و«سلحاموت هايهوديم» و«قدمونيون هايهوديم» و«دبري يمي إسرائيل» وغيرها من أشهر كتب مؤرخي الأمة وعندي أن فوائد كتابكم هذا عظيمة»[2].

وفي عودة إلى الدرجة الثالثة (من الماسونية) الأستاذية نجد قصة حيرام وقد وجدوا جثته بعد عناء وأخبروا سليمان الحكيم بذلك:

«ولما أفاق الملك من غشيته أمرهم أن يرجعوا إلى جثة حيرام أبيه ويضعوها في قبر يليق بشأنه وأن موته فجأة تسبب في ضياع الأسرار للأستاذ البناء الحرّ وأوصاهم بحفظ كل حركة أو كلمة تخرج من أفواههم عند تأدية هذا الواجب» وأمر سليمان بإقامة هذه الشعارات لتقوم مقام الأسرار الأصلية للأستاذ[3].

وفي العقد الملوكي ص ٤٩ تحت عنوان خطب الرؤساء الثلاثة:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هيكل سليمان ص ١٢٦، يوسف الحاج.

«أهنئكم أيها الرفاق بنيل هذه الدرجة إذ هي أساس عمارتنا ومفتاح عقودها . . . وأنكم لازلتم ولا بدّ متذكرين ما كوشفتم به حال ترقيكم إلى درجة الأستاذ من أن أسرارها الأصلية فقدت بقتل حيرام إلى أن تيسر الاهتداء إليها».

ويتابع في الصفحات ١٩٥ و١٩٦ و١٩٩ أن تاريخ البناية الحرة ينحصر في ثلاثة أزمنة وهي:

أولاً : زمن المحفل الأول الذي افتتح لسنتين مضتا على خروج بني إسرائيل من مصر على يد موسى وأمولياب وبيزاليك وهم رؤساء المحفل الأول للماسونية وكان افتتاحه على أرض خاصة عند جبل حوريب في صحراء سيناء سنة ٢٥١٥ للنور الحقيقي وهو نفس المكان الذي تجلى فيه الله لعبده (موسى) وفي ذلك المحفل نزلت أشكال الرموز السريّة وهي سرّ أدق الشهادة وتابوت العهد والشريعة المقدسة والوصايا.

ثانياً : المحفل الثاني أو المحفل المقدس وكان رؤساء هذا المحفل سيدنا سليمان ملك إسرائيل وحيرام ملك صور وحيرام أبيف وافتتح سنة ٢٩٩٣ للنور الحقيقي في سفح جبل موريا المقدس على البقعة التي أقيم عليها المحفل الأول.

ثالثاً : المحفل الثالث أو المحفل الملوكي، وهذا المحفل هيىء في أورشليم وكان افتتاحه سنة ٣٤٦٩ للنور الحقيقي وكان رؤساءه زريابل أمير الشعب وحجي النبي ويشوع بن يوصاداق ثم سأل الرئيس الرفيق المبتدىء في هذه الماسونية الملوكية:

س : أرجو أن توضح لي وجه المشابهة بين أعضاء هذا المقام (مقام العقد الملوكي) وبين أولئك الأصول العظام.

ج : هي وجود نواب المقام الأكبر الملوكي لأورشليم، فإنّ الرؤساء الثلاثة هنا ينوبون عن زربائيل وحجي ويشوع ويسمون بأسمائهم والكاتبان ينوبان عن عزرا وتحميا وهما الحافظان الناشران لقانون

طريقنا والحاضران في مجمع الأحبار المقدس (سنهدريم).

ثم يكمل الرئيس وأنتم أيها الرفقاء الثلاثة أنفسكم تنوبون عن الثلاثة النزلاء الصادقين الذين عثروا على أسرار العقد الملوكي ثم يقرأ الرئيس من ص ٣٤ بعض الأسئلة.

س : أيها الأجانب قد بلغنا أنكم ترغبون في مشاركتنا فمن أين أنتم؟

ج : من بابل.

س : وماذا تريدون؟

الطالبون: لما سمعنا أنكم عازمون على بناء هيكل أورشليم ثانية لإله بني إسرائيل أتينا نسألكم قبول مساعدتنا.

ويتابع من الصفحة ١٦٠ الأسئلة والأجوبة بين الرئيس والطالب:

الرئيس : لماذا كنت بغير نعال؟

جواب : رمزاً إلى أمر الله لموسى ويشوع بعده وهو «إخلع نعليك».

س : لماذا كان عدد الدقات أربعاً؟

ج : لما كان العقد الملوكي أسّ الدرجات الماسونية ومتممها فالعدد أربعة هو أكثر الأعداد موافقة له أي المبتدىء والشغال والأستاذ والرفيق.

س : وبماذا أمرك الرئيس الأول؟

ج : أن أنحدر ثانية في العقد والقسم من كتاب النبي حجي.

س : أرجو أن تذكره لي.

ج : الفصل الثاني من سفر حجي من عددا ١ إلى ٩ من التوراة كما يلي ثم يسرده تباعاً[1].

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

فأما فرق الماسونية فهي ثلاث: الماسونية العامة يليها الماسونية الملوكية ثم الماسونية الكونية.

وللرمزية الماسونية العامة ٣٣ درجة رمزية، يغلب عليها طابع الجمعية الخيرية وتنادي للاعتقاد بالله والأخلاق الحسنة وهي المتداولة في معظم أقطار العالم باستثناء اليهود والكثلكة، وأما الفرقة الماسونية الملوكية المعروفة بالماسونية الرمزية العامة «العقد الملوكي» فهي رغم ارتباطها الظاهري بالماسونية العامة تنفصل عنها بطريقة لا يعلمها إلاّ الراسخون في تاريخ الماسونيات الثلاث، ويقوم مبدؤها على تقديس ما ورد في التوراة واحترام الدين اليهودي والعمل على تجديد مملكة سليمان، تحت اسم الوطن القومي لليهود.

ولفهم عمل الماسونية الملوكية (العقد الملوكي) لا بدّ لنا من العودة ولو قليلاً نحو التاريخ لنجد:

إنّ تشارلز الأول ملك إنكلترا (١٦٤٩م) والماسوني العظيم تعرّض لمؤامرة قادها كرومويل وأدّت إلى إعدام الملك، فحقد عليه الماسون وراحوا يعملون على خلعه وقتله[١].

ولما كان ذكاء كرومويل ومعرفته التامة بألاعيب الروح اليهودية تحت صبغة الماسون، يحتّم عليه مواجهتهم فإنّه دفع بعض الساسة المقرّبين منه إلى طرح مبدأ نقل اليهود إلى فلسطين «إنّ أمّة إنجلترا وسكان هولندا سيكونون أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وعد بها أجدادهم لتكون ميراثاً لهم إلى الأبد»[٢]!

كان هدف كرومويل من مثل هذا الطرح العمل على اكتساب ثقة

---

(١) تاريخ الماسونية ص ٣٦٦.

(٢) الصهيونية والعنصرية ص٢٨.

الماسون مع أنه وكما يبدو كان يحاول التخلّص منهم عبر نقل اليهود إلى فلسطين وفي الوقت عينه يقيم حاجزاً بشرياً بين مصالح بريطانيا والمصالح الاسبانية في الشرق[1].

ولكن كرومويل رغم بطشه ودهائه لم يكن يملك ما يستطيع به مجابهة الروح اليهودية المتغلغلة وبعمق بين القادة والشعب البريطاني عن طريق الماسونية والتي ما لبثت بعد فترة أن ردّت الصاع لكرومويل فقام الجنرال جورج منك (١٦٦٠م) الماسوني الشهير واستقدم إليه ابن تشارلز الأول وراح يجمع الأتباع والمؤيدين مستخدماً شارات ورموز الماسونية لتسيير حركته هذه ثم تم خلع كرومويل في ٨ مايو ١٦٦٠م وعيّن تشارلز الثاني ملكاً على انكلترا فعاشت المحافل الماسونية في أيامه أزهى وأنمى ما عاشته، وكان ردّ جميل تشارلز الثاني أن أطلق على المحافل الماسونية في بريطانيا اسم «الصناعة الملوكية»[2]!

وأمّا الفرقة الثالثة فهي الماسونية الكونية وهي فرقة غير معروفة إلاّ لنفر قليل جداً من اليهود الرومانيي السلالة، وغاية هذه الفرقة استخدام الماسونيتين السابقتين لإنشاء الفوضى في العالم على قاعدة «فرّق تسد» ولا يوجد لهذه الفرقة إلاّ محفل واحد في نيويورك ولا يعلم مقرّه إلاّ المعنيون به من أبناء التفتيش وهو الذي يدير وينظّم الحركات الفوضوية والثورية السياسية ويستعمل الثروة اليهودية والشرائع والقوانين والجمعيات والمنظّمات والأفراد[3]. في سبيل دعم سلطة الروح اليهودية على الأمم.

إنّ معرفة كيفية عمل الجمعيات الماسونية (كما مرّ بشأن كرومويل) يحتم علينا رغم السرد والإطالة أن نعرج على معرفة قادة هذه الجمعيات عبر

---

(١) محمود عباس ـ أبو مازن ـ القضية ص ٥٤.
(٢) تاريخ الماسونية ص ٣٦٨.
(٣) هيكل سليمان ص ٣٤.

التاريخ مستثنيين منهم الهرميات التي هي دون الهرمية الأولى في القيادة أمثال الأطباء والتجار والمحامين والفرد العادي ونجد أنّ معظم قادة العالم الأوروبي والبارزين منهم بشكل خاص كانوا رؤساء في الماسونية الملوكية وكذلك في أميركا والشرق العربي ومن هؤلاء:[1]

- الرئيس الأميركي جورج واشنطن الذي يوصف بأنه بطل الماسونية ورئيس الولايات المتحدة الأميركية الأول.
- الخديوي توفيق باشا رئيس الماسونية المصرية وحاكم القطر المصري.
- المركيز لافاييت الإفرنسي، جنرال الثورة الأميركية.
- الأمير عبد القادر الجزائري، قائد الثورة الجزائرية.
- الأمير عبد الرحمن الداخل، الأندلس.
- الدوق أوف كنت والد ملكة بريطانيا، رئيس أعظم للمحفل الكندي.
- البرنس نابليون مورات ملك نابولي، أستاذ المحافل الإفرنسية.
- البرنس دي نابلي، ولي عهد ملك إيطاليا.
- فرديريك الثاني ملك بروسيا (١٨٣٧م) أعظم الماسونيين.
- البرنس فردريك تشارلز الابن الثاني لوليم ملك نذرلند (١٨٩٠م).
- جمال الدين الأفغاني.
- الشيخ محمد عبده ونال رتبة البلح والصدف.
- البرنس أوف ويلس ولي عهد بريطانيا، أستاذ أعظم للمحافل الماسونية (١٨٧٠م).
- ملك بريطانيا الفرد الكبير (٨٧٥م).

---

(١) فضائل الماسونية، مكاريوس ص ٤٠ وما بعدها.

ـ الملك إدوارد الأول (٩٢٥م).

ـ الملك هنري الأول (٩٣٠م).

ـ الملك إدوارد (١٠٠٤م).

ـ وليم الظافر ملك نورمنديا (١٠٦٦م).

ـ هنري الأول ملك إنكلترا (١١٠٠م).

ـ هنري الثاني ملك إنكلترا (١١٥٢م).

ـ ريتشارد قلب الأسد قائد الحملات الصليبية (١١٨٢م).

ـ إدوارد الأول ملك إنكلترا (١٢٧٢م).

ـ روبرت برس ملك اسكوتلندا (١٣١٤م).

ـ إدوارد الثاني ملك اسكوتلندا (١٣٤١م).

ـ إدوارد الثالث ملك انكلترا (١٣٥٠م).

ـ روبرت ستيوارت الثاني ملك اسكوتلندا (١٣٧١م).

ـ هنري الرابع وهنري الخامس ملك انكلترا (١٣٩٩م).

ثم جميس الأول (١٤٢٤م) وهنري السادس (١٤٢٤م) وجميس الثاني (١٤٤٤م) وجميس الثالث (١٤٦٠م) وإدوارد الرابع (١٤٦٤م) وجميس الرابع، وهنري السابع (١٥٠٠م) وهنري الثامن (١٥٠٩م) وإدوارد السادس (١٥٤٧م) وجميس ستيوارت السادس (١٦٠٣م) وتشارلز الأول (١٦٤٩م) وتشارلز الثاني (١٦٦٦م) وجميس الثاني (١٦٤٨م) ووليم الثالث (١٦٨٨م) وجورج الأول (١٧١٤م)... الخ[1].

وأما من بعض الآخرين ممن ترك على التاريخ بصماته فنقتطف منهم:

ـ العالم الفرنسي بورت.

---

(١) المصدر السابق.

ـ يوسف الشلفون صاحب جريدة المقطم والمطبعة البيروتية.

ـ الدكتور اسكندر بارودي.

ـ الدكتور فارس نمر صاحب المقتطف والمقتطم.

ـ ناصيف مشاقة قنصل بريطانيا في دمشق (١٨٩١م).

ـ سعيد تلحوق وبشير ناصيف وحمد حمادة وسليم جنبلاط من محفل لبنان.

ـ شفيق المؤيد ياور السلطان عبد الحميد.

ـ الجنرال غرانت قائد الجيش الأميركي.

ـ القديس أوغسطينوس.

ـ القديس الوا أسقف نواريون.

ـ القديس الماك أسقف رودس.

ـ القديس دونستان أسقف كنتربري والرئيس الأعظم للماسون.

ـ الكاهن هنري دي بلوا.

ـ غوندولف أسقف روشستر.

ـ ولتر جفرد أسقف يورك.

ـ كونراد كوين.

ـ جان دي ميديسيس (!!)

ـ جورج منك... الخ[1].

قادة كثيرون، تركوا بصماتهم على التاريخ في الماضي والحاضر، وأدباء وفلاسفة وشعراء حركت كلماتهم الشعوب وأوجدت مبادىء عليا لما

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٩.

تزل حتى أيامنا هذه ركيزة للوجود البشري، كهنة ورجال دين ثوّار، أحجار مختلفة فوق رقعة الحياة تحرّكها وتحركنا معها يدٌ إجرامية خبيثة تختبىء خلف مثلنا العليا، حرية، مساواة عدالة، أين منها اليهودية في فلسطين الآن؟ أم أن الإيمان بها يطبّق علينا نحن الأمم الأخرى؟ سؤال يجيب عن نفسه بنفسه ومنه يمكن فهم ما يجري حولنا وأسباب هذا الإلتفاف حول كيان العدوّ ومن ثم فهم أسباب عدم اعتراض أحد ما في العالم كلّه على عدم تطبيق إسرائيل للحرية، أو المساواة أو العدالة فالأمر لا يعدو كونه شعارات هادفة تم وضعها بعناية ودهاء ومكر. فالحرية بشموليتها تقتضي حرية مزاولة العبادة، وتقتضي حرية الضمير، وحرية الإيمان بالمعتقدات، ذلك ما فهمته الأمم وما سعت إليه، وكان خطأها أن تقبّلت جميع الأنشطة اليهودية على أنها جزء من حرية الدين، مع أنها كانت بعيدة عنه ذات أغراضٍ ومنفعة يهودية محضة.

لقد صور اليهود أنفسهم كشعب بريء معذّب مضطهد من الأوروبية المسيحية، مع أنّ هذه الأوروبية وبحكم واقع وجودها لم تكن تنظر لمكان ميلاد المرء لأنّ منظومة الدول بشكلها المعروف لم تكن قد قامت بعد، وكان يجمع الشعوب الأوروبية روابط القرابة والدم أي نفس منطق الوجود اليهودي بما عرف لاحقاً تحت اسم أمة داخل الأمة، ودولة داخل الدولة.

وحين طرد فرديناند وإيزابيلا العرب من اسبانيا عام ١٤٩٢م شرّد ثلاثة ملايين مسلم، وقتل منهم ما لا يقلّ عن مليون طفل وامرأة وشيخ ونصّر من لم يستطع الهرب من محاكم التفتيش عنوة، ولم يكن بين هؤلاء المبعدين إلاّ ما يقاربماية وأربعين ألف يهودي فقط(١) هاجر معظمهم إلى الراين، ولكن الروح اليهودية وبما تملكه من دهاء استغلّت ذلك أحسن استغلال وراحت تروّج في أوروبا والعالم عن مذبحة اليهود على يد محاكم التفتيش والمثير

---

(١) حضارة العرب، لوبون ص ٢٧٠.

للسخرية أن يمحى مصير ثلاثة ملايين مسلم وببساطة هكذا فيما دون آلاف الكتب التاريخية والأدبية والفلسفية وغيرها عن محنة اليهود في اسبانيا!

لقد كانت الحياة في أوروبا وبمجملها قاسية على جميع السكان بمن فيهم اليهود والأمم المهاجرة الأخرى والقليلة العدد نسبة إلى حجم السكان فقد كان اليهود لا يتعدون الآلاف هناك.

وكان أجداد البرلينيين، الفيلتاب أو الفلتز لايزالون يأكلون جثث آبائهم الميتين في القرن العاشر الميلادي[١]، وكان أكل لحم البشر شائعاً بين سكان إيرلندا وحتى بين أهل الدانمرك في القرن الحادي عشر ميلادي، وكان اللحم البشري من لوازم العيش بين القبائل هناك وما كانوا يعرفون الجنائز بشكلها الحاضر[٢] وكان اليهود أقلية لا يعتدّ بها[٣] ومع ذلك فإنّ الروح اليهودية أبدلت الحقيقة عن كل ما جرى ويجري وأبقت على مظالم الشعوب الأوروبية نحو اليهود حتى كأنه لم يعد هناك وفي العصر الوسيط إلاّ اليهود والظلم لليهود ومذابح اليهود، وتبعها كتبة التاريخ المتزلفون لقادتهم (الماسونيين) أو الساعين وراء المال والشهرة في تحريف التاريخ من بعض جوانبه لإظهار مأساة الشعب اليهودي على حدّ زعمهم وضرورة إنشاء وطن له.

كانت البورجوازية الأوروبية في أول نشأتها معادية لليهود بسبب المصالح، غير أنها ومع الوقت وتحت ظلّ الحاجة في غمرة الحركة التجارية المتسعة تحوّلت نحو الاستعانة باليهود من ضمن منطلق الحاجة إلى المال كوسيلة، وقد سنّ نص اتفاق في مدينة فرنكفورت عام ١٣٥٢م أن على الأمبراطور أن يستوفي من المدينة نصف الأموال التي تجنيها من اليهود[٤] مما

---

(١) المختارات ص ١٤، أنجلز.
(٢) قصة الحضارة ص ١٩ الجزء الأول، ديورانت.
(٣) امبراطورية الخزر ص ٢٣٦، أرثر كوستلر.
(٤) المفهوم المادي للمسألة اليهودية ص ١١٢.

يعطي دلالة عن حجم وكم الاستغلال اليهودي للدورة المالية في المدينة.

وما كاد عام ١٣٣٦م يهلّ، حتى قامت حركات ضد الاستغلال اليهودي شملت الألزاس وبافاريا والنمسا وبوهيميا، وأدّت الأحداث الرهيبة عام ١٣٥٠م في مدينة ستراسبورغ وما حولها إلى قيام عمليات إفناء حقيقي لليهود الموجودين هناك بدعم من الجمعيات الحرفية (المدينة للمال اليهودي) وذكرت إحدى الوثائق لعام ١٣٨٤م أنه «بعد أن ذبح بورجوازيو مدينة نيدلينغن جميع يهود المدينة استولوا على أملاكهم»[١].

وفي عام ١٤٣١ حمل فلاحو البالاتينا السلاح في مدينة «أومز» وفرضوا على مجلس المدينة تسليمهم اليهود لأنهم أفقروهم وجرّدوهم من ثيابهم الأخيرة (بسبب الربا) غير أن المجلس الذي كان قد تمّ شراؤه من قبل اليهود رفض مطلب الفلاحين.

ويتضح أن العداء لليهودية أو ما عرف لاحقاً بالسامية ومعاداتها، يعود في واقع الأمر إلى الدور اليهودي والوظائف الاقتصادية التي شغلها في أوروبا، وفي المقدمة مسألة إقراض النقود (الربا) لأنّ ذلك أوجد مبدأ الرهونات العقارية والحجوزات ونقل الملكية إلى المرابي اليهودي عندما يعجز المدين عن سداد دينه، لذا فإنّ الملاّكين المفلسين كانوا يلجأون إلى تنظيم حملات على اليهود بهدف التخلّص من الالتزامات المالية المدينة.

كما وأنّ أنانية اليهود أنفسهم، وسعيهم للعمل في سبيل الحفاظ على مصالحهم الخاصة دون الأخذ بالاعتبار واقع حال طالبي القروض وظروف معيشتهم وعوائلهم، في غمرة محدودية العمل الوظيفي أو التجاري في ذلك الزمن، وقيام اليهود بتخزين الأموال بشكل مخالف للقانون تهرّباً من الوضع الضريبي من جهة وتسهيلاً لسرعة الحركة المالية من جهة أخرى، فإنّ الأنظمة

(١) المصدر السابق.

الحاكمة كانت تعمد دائماً إلى إيجاد الذرائع والتي كان اليهود يسهلون على الأنظمة إيجادها من خلال سلبية تعاطيهم مع الشعوب وجشعهم والطمع الضارب في أنفسهم مما كان يجعل تلك الأنظمة قيمة على المال اليهودي تستملكه بسهولة، أو تستثمره بالاتفاق مع اليهود أنفسهم.

وللدلالة، فقد عبرت مجموعة صغيرة من اليهود بحر المانش إلى بريطانيا، وسرعان ما تحوّلت إلى طبقة من كبار المرابين وظيفتهم تقديم القروض للمضاربات السياسية(!!) والاقتصادية، وبعد أن جمعوا ثروات هائلة عن طريق الربا، تخلّوا عنها مكرهين لمصلحة الخزينة العامة وتم طردهم من البلاد عام ١٢٩٠م تحت تأثير الضغط الشعبي وبما أنّ الأنانية كانت تتحكم بعمل المرابي اليهودي، فإنّه لم يحدث أي انتعاش اقتصادي للبلاد التي كان يعيش فيها، وبالعكس فإنّ العوائد المالية للطبقة العاملة والوسطى وحتى طبقة الأغنياء، كانت تصب في جيب اليهودي كفردٍ مطلق الأرباح دون خسارة، ولقد دفعت اليهودية وبسبب هذه المسألة ثمناً باهظاً إبان أحداث الطاعون الأسود الذي قضى على ربع سكان أوروبا عام ١٣٤٨ حتى ١٣٥٠م واعتبر اليهود مسؤولين عن ذلك الحدث فأحرق عددٌ منهم.

وما كاد الإصلاح المضاد أواخر القرن الخامس عشر في الكنيسة يبدأ حتى أصبح اليهود يعتبرون أدنى من الإنسان وقد سرى هذا القانون في إيطاليا وألمانيا أي ضمن الممتلكات البابوية بحيث «تم عزلهم ضمن محل إقامة محدد، وأعلنت عليهم الأحكام، واستبعدوا من الوظائف وفرضت عليهم أزياء معينة وغطاء الرأس المخروطي، ثم أصدر البابا بولس الرابع عام ١٥٥٥م مرسوماً يقضي بعزلهم ضمن غيتوات[(١)]. في الوقت نفسه بدأت المرحلة الاستعمارية الأوروبية التجارية لأفريقيا وتمّ اكتشاف أميركا، وفي غمرة جنون السعي لاستعمار الأقطار بدأت حروب المصالح بين الدول تطغى

---

(١) تاريخ الحضارات العام ص ٨ المجلد الرابع.

على سياساتها، وفي بريطانيا اعتنق كرومويل المذهب البيوريتاني الذي يدعو إلى غزو المذهب العبراني والأخذ بعاداته دون العادات المسيحية بسبب نشاط الماسونية في ذلك القطر وهكذا قدر ليهوه (رب اليهود) أن يحيا من جديد وأن يلعب دوره في توجيه الفكر الإنجليزي وينطلق معه إلى المستعمرات الجديدة ولقد كانت طبقة التجار الإنكليز تتشكل في معظمها من البيوريتانيين وتشعر بالقلق على مصالحها من التحرّك الهولندي والاسباني، وكان اليهود الهولنديون يقومون بنشاط مكثّف لنشر التجارة والسيطرة الهولندية وفي الوقت عينه تماماً كان اليهود البرتغاليون يقومون بنشاط مماثل وكذلك اليهود الأسبان، ومقابل الدعم والمعلومات من هؤلاء للتجار البيوريتانيين عن الملكية التجارية للدول التي يعيشون فيها حملت إنكلترا لواء الدعوة إلى فلسطين (أي عودة اليهود إلى فلسطين) ولكن كان على اليهود انتظار أن تستكمل بريطانيا شكلها الأمبراطوري الاستعماري لتحقيق هذا الوعد، وكان الفضل للماسونية في ذلك!

ويعلّق دايفد بولك على ذلك بقوله إن «الاتحاد الغريب بين سياسة الأمبراطورية وبين نوع من الصهيونية المسيحية الأبوية اتّضحت في السياسة البريطانية للأجيال القادمة»[1].

وأما خارج بريطانيا فقد كانت المشكلات اليهودية أصعب من أن تحل، فقد كان اليهودي مكروهاً أينما حلّ، لم يستطع العيش بسلام في آسيا وأخرج منها إلى أوروبا، فلم يستطع العيش أيضاً وأخرج منها مرّات ومرّات بسبب عدوانيته وخبثه، رغم أن «الحوليات اليهودية» تلقي تبعة الاضطهاد على المسيحي الأوروبي وحده ومع أن شعب الله المختار هو الذي سعى للجوء في بلد العدو الخالد المسيحي ومع أنه لم يكن مرغوباً به بحال، ومع أنه استنزف خيرات تلك البلدان لسنوات وسنوات فإنّ مقولة الاضطهاد الديني غلبت على

(١) الصهيونية والعنصرية، ريجينا الشريف ص ٣٠.

ما عداها رغم توضيح ناحوم غولدمان بأنّ «الاختفاء التدريجي لعداء السامية يمكن أن يشكل خطراً جديداً على الوجود والقضية اليهودية»[1] فالاضطهاد الديني ومبدأ معاداة السامية ما هما إلاّ وسيلتين من وسائل الاستغلال اليهودي وزوالهما يؤدي إلى خسارة ناتج هذا الاستغلال!

(١) بتريبونا ليودي ١١/٣/٦٨.

التغلغل اليهودي

«عندما نهبط نصبح الطبقة الكادحة الثورية، والموجهين لكل الأحزاب الثورية(!!) وعندما نرتفع تصعد معنا قوة أموالنا الرهيبة[1]».

كلام واضح، يتسم بالصلف والغرور، ويحمل في طيّاته أشائر لما تقوم به الروح اليهودية من جرّاء تغلغلها بين الأمم، ولعلّ أصعب ما في التاريخ معرفة الحقيقة وبالأخص إن كان وراء الحدث التاريخي قوة تعمل ليسود قانون صهيون، وفي خدمتها المال والسياسة والتجارة تشتري بهم القادة فتترك من خلالهم بصماتها على مسار الحدث التاريخي.

فالمصلحة الخاصة تتحكم بالإنسان ومواطن ضعفه جلية وبالأخص أمام المال أصل كل بلاء، وليست تعابير الحرية والمساواة والديمقراطية إلاّ سلعة جذابة وفاتنة يمكن بيعها فوق رصيف الكلمة، إذ كيف يمكن لحكومات تمّ شراؤها أن تعمل على تطبيق هذه المبادىء المخالفة لمنهجية عبوديتها لدى الممولين؟ وكيف يمكن للقادة المرتشين وضمائرهم الميتة أن يحفظوا الأوطان؟! ومن يُشترى بفلس فبفلسٍ يباع عند انتفاء حاجة مستعبديه إليه.

هكذا كان عمل الروح اليهودية عبر التاريخ ومن خلال سيطرة الظلّ التي

---

(١) تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية، من كتابة الدولة اليهودية.

مارستها طويلاً، ومنذ سبي بابل تمّ رسم الطريق منها هي أستير تمارس ما أصبح منهجاً لليهود من بعدها، مستغلّة في ذلك جسدها لتجعل الملك الفارسي أحشويرش ينحني أمام طلبها بعودة قومها اليهود الأسرى في بابل إلى فلسطين[1]، ليس ذلك وحده ما جرى ويحسب العهد القديم نفسه فإنّ اليهود هناك أعملوا القتل في مبغضيهم من السكان البابليين ومن بني هامان حتى ضجّت المملكة[2].

وهنا نقف: عند الوسيلة التي استعملتها أستير لحمل الملك على الخضوع لأمرها، وعند التزييف التاريخي عن عمليات القتل للانتقام التي قام بها اليهود مع الاحتفاظ بفهم نفسية الشعب اليهودي بتفضيله الثأر والانتقام ولو كان ذلك كذباً وادّعاء.

تحوّلت أستير نبية لدى الشعب اليهودي، وما فعلته أضحى قدوة مقدّسة ومشروعة للاستعمال في مواضع أخرى وتواريخ أخرى وأما التاريخ فاحتفظ بالرواية الإسرائيلية دون تعديل، وهكذا نفهم أن «الحقيقة» ليست بالضرورة هي الحقيقة أي ما جرى وما حصل فعلاً، وعلى سبيل المثال فإنّ موقعة سان مارتل أو ضريح الشهداء بين الفرنجة والمسلمين على نهر اللوار في فرنسا سنة ٧٣٢م لم تكن سوى موقعة أوليّة في مسار الفتح الإسلامي، وخسر المسلمون فيها تلك الموقعة وأسموها بلاطة الشهداء.

وقد عمد كتبة التاريخ الحديث إلى جعل هذه الموقعة تغيراً حاسماً في تاريخ العالم، ويقول إدوار جيبون: «إنّ حوادث هذه الموقعة أنقذت أباءنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدني والديني».

وأمّا المؤرخ أرنولد فيقول: «كانت نتائج هذه المعركة النجاة للإنسانية وضمان سعادتها مدى قرون[3] ويقول السير إدوارد كريزي: «إنّ هذا النصر

---

(١) العهد القديم أستير الإصحاح الأول.

(٢) المصدر السابق الإصحاح ٩.

(٣) أسطورة الاتحاد الروماني.

العظيم لكارتل مارتل على العرب أنقذ النصرانية من الإسلام»الخ. . . وعليه فإنّ الأخذ بالتاريخ من زاوية واحدة يخلق شكّاً حول مصداقية الحدث التاريخي لاعتبارات عدّة وسوف نحاول جاهدين إيجاد الأسانيد اللازمة لمعرفة حقيقة التغلغل اليهودي ونتائجه بين هؤلاء المؤرخين. من مثال ذلك وبعودة لقصة أستير التي دوّن تاريخها العهد القديم وعدّت من الأمور المسلّم بها تاريخياً لأنها تصدر عن طابو مقدّس يصعب المساس به في غمرة سيطرة الروح اليهودية على الإعلام، نجد أن قورش الثاني (٥٢٨ق.م) أصدر أمراً بإعادة اليهود إلى يهودا»[١]، ولكن القليل من هؤلاء قَبِل بالعودة فعلاً[٢]، نظراً لوضعهم الجيد وذكر جوزيفوس «ان الراجعين من اليهود كانوا يمثلون أقلية بالنسبة لمن بقي في بابل»[٣] لأنّ البلاد الجديدة (بابل) أعجبتهم و«استطاع العديد منهم التمتع بمناصب قيادية وتجارية بسبب انشغال البابليين بالحروب[٤]. ولما حلّ العهد الإغريقي (٣٣٢ق.م) خسرت بابل قيمتها التجارية ونجح الإسكندر في اجتياح مصر والبلدان الأسيوية فسارع اليهود لاستغلال القوة الجديدة الفاتحة والتحقوا بها.

ويخبرنا التاريخ اليهودي «انه بعد أن فتح الإسكندر غزة صعد إلى أورشليم فلما دنا خرج يدوس الحبر الأعظم والكهنة وجمهور بني إسرائيل للقائه. . . فسجد لهم الإسكندر. . . ودنا منه القائد بارمينون ليسأله عن سبب سجوده لليهود فقال الإسكندر إني لم أسجد له بل للإله الذي رأيته في حلم لابساً نفس ملابس الحبر الأعظم يحضّني على احتلال آسيا والإسراع إليها»[٥](؟!)

وأما الحقيقة فإنّ الحلم الذي شاهده الإسكندر لم يكن إلاّ حاجته لخبرة

---

(١) الموسوعة البريطانية ص ١٢٧.

(٢) فلسطين ص ٤، هربرت بنتويش.

(٣) جون مارلو من كتاب فلسطين ص ١٢.

(٤) المصدر السابق ص ١١.

(٥) تاريخ الإسرائيليين ص ٥٨٣، شاهين مكاريوس.

اليهود المالية والتجارية والتي «وضعها اليهود في خدمة النظام الإغريقي الفاتح وخلفائه من بعده»[١].

وفي روما حظر قانون كلوديا على الرومانيين ممارسة التجارة وقام قيصر بإعطاء اليهود صلاحيات واسعة في بلاده بسبب حاجته للمال اليهودي.

وكما فعلت في بابل، فإنها وقد أحست بقرب سقوط روما عندما لاحظت فتور تجارتها بسبب افتقار البلاد التي كان ينهبها الجنود الرومان والتي نضبت ثرواتها[٢]، فإنّ الروح اليهودية راحت ومن جديد تبحث عن مواقع تجارية وتحالفات جديدة. «ها نحن نرى كيف أن إسرائيل بعد نجاح الثورة الصهيونية، تقوم إلى حدّ معين، بالدور الكلاسيكي(!!) الذي قام به اليهود بين المجتمعات المسيحية، ان إسرائيل، مثل اليهود ترفض أن تبتلع أو أن تدمج في بيئة معادية، لقد تمسكت مثل اليهودي العنيد بطابع حياتها ورفضت أن تستوعب داخل السكان، أو أن تستوعبهم في داخلها (السكان الغرباء) ومثل اليهود في المنفى، ومثل الهيكل الثاني في أيام الرومان، ومثل الأسباط العبريين في كنعان، ومثل بني إسرائيل في مصر، تشكل إسرائيل عنصراً مهيّجاً(!!) ومانعاً للهدوء(!!) ومثل اليهودي الجالوتي[٣] تستخدم إسرائيل مركزاً للكراهية والاحترام(!!) للغيرة والشك(!!) ومثل آبائنا نحن أيضاً، ان فينا خليطاً من الفزع والثقة بالنفس بهدفنا وقوتنا»[٤] ولقد كانت الروح اليهودية عبر تاريخها ترقب التغييرات السياسية حولها بحساسية، ولذلك كانت تستعمل أذرع الأخطبوط في علاقاتها، وكانت تعمل على إبقاء طوابير لها من اليهود في البلدان الأخرى بهدف استمرار تواصلها مع تلك البلدان حفاظاً على مستقبل وجودها ودورها ومصالحها ومخططاتها، ولذا

---

(١) المفهوم المادي للمسألة اليهودية ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اليهودي المنفي أو يهودي الجيتو.

(٤) أمنون روبنشتاين.

نرى كيف أن اليهود وحتى بعد قيام دولتهم على الأرض السليبة فلسطين يعملون على بقاء جماعات يهودية فاعلة في الأقطار الأخرى ولا يسمحون حتى بعودة هؤلاء إلى الوطن الذي يدّعون أنه الوطن الموعود لأنّ الهدف الاستراتيجي هو السيطرة على العالم وليس إقامة دولة يهودية في فلسطين فقط «ان الصهيونية لا تنتظر ولا تطلب أن يعود كل يهود نصفي الكرة الأرضية إلى فلسطين، وهؤلاء الذين يعيشون بصورة جيدة يمكنهم البقاء في أماكنهم(!!) ونحن لا نتمنى لهم إلاّ أن تزداد أحوالهم جودة، وسيكون مركز إسرائيل رابطاً قوياً ليهود نصفي الكرة الأرضية الذين يبقون في أماكنهم، مركزاً له من الأهمية ما لروما بالنسبة للكثلكة، وسيكون هؤلاء جهازاً عصبياً له طابعه الخاص يمتد إلى كل أجزاء العالم وتكون صهيون الدماغ، حتى نملك الكثيرين مثل كريميه[١]، وكثيرين مثل أوتولينجي ولوتساتي ودزرائيلي»[٢].

وفي السياق عينه يقول هرتزل «لا أحد منّا يفكر في وجوب هجرة كل اليهود إلى فلسطين»[٣] بينما أظهر جابوتنسكي الأبعاد الحقيقية لعدم إعادة اليهود بأن «مهمة الصهيونية أوسع وأعمق من إقامة دولة يهودية»[٤] ويعود سبب ذلك كلّه إلى أن اليهود يشغلون مواقع غاية في القوة والنفوذ اقتصادياً ومالياً وسياسياً في إدارات وأجهزة الدول التي يعيشون فيها، وفي النظم الأيديولوجية، وفي مجالات الإعلام والصحافة والفن، وفي المجالات التجارية والمالية ويمكن توضيح الأمر وكأنه «عطاء من يهودي هنا إلى يهودي هناك ليرسلا يهودياً ثالثاً إلى إسرائيل»[٥].

---

(١) كريميه (يهودي) وزير العدل الفرنسي عام ١٨٤٨ ـ أوتولينجي وزير الحربية الإيطالي عام ١٩٠٢ ـ لوتساتي وزير الخزانة الإيطالي عام ١٩١٠.

(٢) دزرائيلي (اللورد بيكونسفيلد) رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٦٨.

(٣) المجموعة الكاملة، هرتزل ص ٨٥.

(٤) الدولة اليهودية ص ١٥، جابوتنسكي.

(٥) الوجه الآخر للميدالية ص ٥٨، ليلتال.

وبقدر ما كان هدف الروح اليهودية إبقاء العناصر الفاعلة المفيدة في الدول الأوروبية وأميركا لاستكمال أهدافها فإنها عملت على جلب اليهود من العالم العربي وبالقوة لاستكمال اليد العاملة والتعبئة الشعبية اللازمة «لقد توصل بن غوريون ورجاله إلى اتفاق مع الإمام يحيى في اليمن ونوري السعيد في العراق ومع حكام عرب آخرين، كان الاتفاق بسيطاً. . . خذوا أملاك اليهود واعطونا أجسادهم»(١) ولقد كان يهود العراق يعيشون في راحة ورخاء ويرفضون ترك أماكن معيشتهم، لذا كان لا بدّ من ترحيلهم واللجوء إلى القنابل «ألقى المبعوثون الإسرائيليون قنابل على المراكز اليهودية لإثارة الهلع حتى أجبر يهود العراق على الفرار إلى إسرائيل في أقل من عام»(٢).

ولمزيد من الدلالة نشير إلى أنّ الدعاية اليهودية والحركات الصهيونية لم تستطع وحتى عام ١٩٤٩ إقناع ١٨٠٠ يهودي عراقي فقط بالسفر إلى إسرائيل، ثم قدّم صالح جبر وزير الداخلية العراقي في حكومة توفيق السويدي إلى البرلمان العراقي مشروع قانون يسمح لكل يهودي يرغب بالنزوح التخلي عن جنسيته العراقية، ومع أن القرار نشر في الجريدة الرسمية فلم يتقدّم لتسجيل اسمه إلاّ ماية وعشرون يهودياً فقط وبعد شهرٍ كامل وفي الأيام التالية أخذت القنابل تنفجر في الأحياء اليهودية ثم وزّعت منشورات في الكنيس تدعو اليهود إلى الهرب فغصّت مكاتب التسجيل باليهود الذين سارعوا للتخلي عن جنسيتهم»(٣).

وتولى عملية نقل اليهود العراقيين عبر شركة طيران إميركية إلى إسرائيل ممثل الشركة في العراق المدعو المستر أرمسترونغ ولم يكن أرمسترونغ سوى شلومو هليل وزير البوليس الإسرائيلي المقبل، ولم يكن شلومو هليل وحده

---

(١) مجلة جون امزيك عدد ٨٩٤، شالوم كوهين.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

يحمل الجنسيتين الأميركية والإسرائيلية فناحوم غولدمان على سبيل المثال الأميركي الجنسية سجّل نفسه مواطناً إسرائيلياً في تل أبيب في نفس اللحظة التي كان يحصل بها على الجنسية السويسرية، وغولدا مائير، وأبا إيبان، وموشي دايان وبيغال آلون، ومناحيم بيغن جميعهم يملكون عقارات وأملاكاً في أوروبا وأميركا ويملكون حقّ التصويت في تلك البلدان لأنهم يحملون جنسيات مزدوجة، فالتغلغل اليهودي لم يقف عند حدود أو موانع لقد كان اندماجاً كاملاً لإضفاء طابع الوطنية (الثاني) مع أنه لا يدين فعلاً إلاّ لوطنه إسرائيل، فكيف أمكن للروح تحقيق ذلك؟!

اعتباراً من القرن السادس عشر وصاعداً، تجددت حياة اليهود في غرب أوروبا، ووجدوا موطناً لهم آمناً نسبياً في شرقيها، حيث أتاحت لهم الامتيازات هناك وما تمتعوا به من حرية بما في ذلك الحرية الدينية، والحكم الذاتي الطائفي، تقوية وإنعاش حياتهم لدرجة لم تكن متاحة لهم في غربي أوروبا[١].

وقبل نهاية هذا القرن عمدت روسيا إلى ضم أجزاء من بولندا وهي الأجزاء التي كان يعيش فيها اليهود، في داخل إطار عرف تحت اسم منطقة الاستيطان (تحوم هاموشاف) ويشتمل على بولندا ولتوانيا وبيلاروسيا وأوكرانيا، وهي المناطق التي سمح لليهود بالبقاء فيها حتى القرن التاسع عشر[٢] وعصر التنوير اليهودي (الهسكالاه) وكان أشهر أماكن سكنهم القاهال.

والقاهال كلمة عبرية تعني الجمهور أو مكان تجمّع الطائفة اليهودية[٣]، وتعني «الخلية المركزية لتنظيم إقامة اليهود» ومهامها تشبه مهام الدولة تجاه مواطنيها وتجسّد صورة للحكم الذاتي.

---

(١) إضفاء الصبغة الآرية على الدولة اليهودية ص ٢٤، مايكل سلزر.
(٢) المصدر السابق ص ٢٦.
(٣) القاموس المركزي ص ٦١٨، ابراهام شوشان.

ويدعم السلطات للقاهال (بسبب المصالح المشتركة) سمح للقيّمين عليه من الأحبار اليهود إدارة معاملات الزواج، وجمع الضرائب من اليهود وتعيين القضاة والربانييم (الحاخامات الأشكنازيم) وكذلك الحق في فرض العقوبات والغرامات والسجن والتحريم والعزل الاجتماعي[١] كما مرّ معنا! كان الأشهر قاهال بولندا الذي عرف باسم مجلس البلاد الأربع (فعد أربع هاارتوت) ويضم بولندا الكبرى وبولندا الصغرى وفولينيا ولتوانيا وهي الأقاليم البولندية الأربع[٢].

لقد عمل مسؤولو القاهال بالتنسيق الكامل والإشراف مع الحكم القيصري، مستعملين الرشوة وتزويد السلطات بأسماء فقراء اليهود للتجنيد الإجباري عن طريق «الخابرز» المكلفين بهذا العمل ثم صدر قانون عام ١٨٣٥ ويسمى ميثاق العقود تمّ بموجبه إبعاد اليهود من ريف كييف ومحيط المدينة، ثم وفي نهاية حكم نيقولا عام ١٨٥٥ حرم اليهود من استخدام الخدم المسيحيين أو الزواج قبل سن الثامنة عشرة أو استخدام لغتهم اليديش في الوثائق[٣]. ثم طلب القيصر من وزير الدولة الكونت كيسيليف إنشاء لجنة مهمتها إصدار مبادىء جديدة لحلّ المشكلة اليهودية، وجاء تقرير اللجنة على الشكل التالي.

«إنّ سبب المشكلة إنما يرجع إلى التعصّب الديني والانفصالي لليهود والذي غذّاه اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وسموم تعاليم التلمود التي تنادي باحتقار الشعوب الغير يهودية دينياً، والدعوة لحكم العالم من خلال اليهود[٤].

---

(١) معجم الوعي اليهودي، الجزء الرابع ص ١١٧.
(٢) مسار التاريخ اليهودي الحديث ص ١٩١، هوارد مورلي.
(٣) تاريخ إسرائيل في العصر الحديث ص ١٠١، شموئيل أتنجر.
(٤) مسار التاريخ الحديث ص٨٩، هوارد مورلي.

ثمّ اقترحت اللجنة «التأثير على الثقافة الخلقية للجيل اليهودي الشاب بروح مناهضة للتعاليم التلمودية، وإلغاء القاهالات وإخضاع اليهود للإدارة العامة للدولة وتقسيم اليهودي بحسب مهنته وفرض قيود أخرى منها الخدمة العسكرية الإلزامية لثلاثة أضعاف مدتها الأصلية»، وكان أن ألغى القيصر القاهالات فأنهت الحكومة اليهودية الذاتية[1].

لقد اضطر القيصر لاتّخاذ قراراته هذه تحت ضغوط شعبه على الرغم من الخدمات التي قدمتها له الروح اليهودية كما سنرى لاحقاً، هذه الروح التي سعت هي وبالأساس لإحداث مسببات تسمح بنقل الجماعات اليهودية إلى أوروبا الغربية بسبب إيمانها (الروح) أن القيصر لن يساعدها بالعودة إلى فلسطين ثم يقينها بقرب أفول دولة القياصرة كما سوف يتضح لاحقاً.

وأما الجيتو فهو أشهر أشكال الانعزالية اليهودية، والكلمة في الأصل مشتقة من «جيتو اوتو» في إيطاليا قرب مسبك لصهر المعادن خصص لإقامة اليهود»[2].

ولقد كان اليهود قبله مشتتين في المدن ثم منحوا حق الإقامة في الجيتو الجديد (هاجيتو هيحاداش) والجيتو القديم (هاجيتو هايا شان) وتمّ توحيد الاسمين والمكانين لاحقاً[3]، واستعمل بمثابة عزل اختياري لليهود (١٥١٦م).

ظلّت هذه العزلة قائمة إلى أن أصدر البابا بولس الرابع (١٥٥٠م) نشرة توصي لأول مرة بعزل اليهود إجبارياً، وتمّ إطلاق اسم الجيتو رسمياً على المناطق السكنية اليهودية[4].

---

(١) تاريخ إسرائيل في العصر الحديث ص ١٠١، شموئيل أتنجر.
(٢) الموسوعة اليهودية، جودايكا، المجلد السابع ص ٥٤٢.
(٣) معجم الوعي اليهودي ص ٧٣.
(٤) دائرة المعارف العبرية.

كان هذا العزل مظهرياً لأنّ اليهود كانوا يطبقونه على أنفسهم بالفعل قبل صدور نشرة البابا «إنّ واقع الحياة لليهود دفع هؤلاء للتجمع والإقامة في حي واحد للمحافظة على الشرائع الدينية (هو الهدف) للصلاة ـ الميثان ـ والمقابر (عدم دفن موتاهم قرب المدافن المسيحية) وبركة التطهير (كي لا ينجس اليهودي من الآخرين) والخوف من انعدام الأمن كغرباء مكروهين»[1].

ويقول ناحوم غولدمان «يجب أن نؤكد أن من الخطأ القول بأنّ الجوييم (الحيوانات أو الحشرات الهوام) قد أرغموا اليهود على الانفصال عن المجتمع»[2] لأنّ اليهود سعوا إليه حفاظاً على خصوصياتهم بما في ذلك المؤامرات.

كان من نتائج الغيتوات ندرة اختلاط اليهود بالمسيحيين مما أثار الشك حولهم، كما وأن انفصالهم عن المجتمعات الأخرى هدف للعيش في أجواء عالم يهودي لا يعرفون سواه وهو ما يفسّر عمق الإلتزام الديني لدى الأجيال اليهودية والذين كان عالمهم يدور حول المعبد اليهودي، والطقوس والتعاليم، كانت المزوزات (التعاويذ) موجودة على عتبة باب كل بيت يهودي، والتفليم (صفحة من التلمود) على الأذرع وفوق القلب، والنسوة تحضر الماء المقدس بانتظام وقوانين الشولحان عاروخ تراقب حياتهم الأخلاقية، فلما تمّ إلغاء القاهالات انتقل الأشراف إلى مجالس إدارة المعابد والتي حافظت على النسق السابق، التمسك بمظاهر الأداء الكامل للطقوس الدينية اليهودية والقيام بدور الإعلام بين أفراد المجتمع اليهودي فيما تولى «الشول» جمع التبرعات وتوزيعها والجمعيات تحصيل مداخيل الصناديق الخيرية، وتولى «الحيدر» توجيه النشء باتجاه الطاعة العمياء لأوامر الروح اليهودية!

وفي نهاية القرن التاسع عشر، احتلت الروح اليهودية مواقع القوة والثبات في اقتصاديات البلدان، وأصبح تأثيرها قوياً فاعلاً على سياسات

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التناقض اليهودي ص ٧١، ناحوم غولدمان.

الحكومات وعلى صياغة الرأي العام فيها «لم تعد الشخصية اليهودية في برلين وروما ولندن شخصية بائع الروبابيكيا القذر، بل أصبحت تقترن بأرباب الصناعة والتجارة ورجال البنوك الكبار»[1].

واستطاعت الروح في تغلغلها وبصبرٍ طويل أن تؤثّر على واقع تاريخ دول عدّة مثال أوروبا الغربية وبولندا ورومانيا وروسيا، بوسائل عدّة أهمها الامتلاك لعشرات البنوك في تلك الدول وآلاف المؤسسات الصناعية والتجارية، حتى في روسيا القيصرية بنظامها وقوانينها المعادية لليهودية ونظام نطاق الإقامة الجبري، كانت الروح اليهودية أقوى بكثير من تعداد المجموع اليهودي القليل نسبياً مع حجم السكان، وكان لها مشتركون في معظم الأحزاب السياسية، وممثلون في مجلس الدوما والأدات في المدن والأرياف وأجهزة القضاء والمحاكم والمنظمات الصناعية، والسيطرة على عشرات دور النشر والإعلام والصحافة «لقد تغلغل اليهود بعمق كبير في المجتمع الروسي، وبعض مجالات المهن الحرة كالصحف اليومية ونقابات الأطباء والمحامين حتى أصبحت الغلبة لهم»[2].

ولقد حافظت الروح على نمط معين لحركتها في معظم البلدان بصرف النظر عن حجم وكم اليهود فيها، وكان سعيها الحفاظ على الوضع المميز لهؤلاء، وعلى مضاعفة السيطرة المالية، «ليس من المهم أن يصبح عدد اليهود أقل في محال إقامتهم الحالية، بقدر ما هو مهم أن يتكاثر اليهود في الأماكن التي قلّ فيها عددهم، وذلك كي يتمكن اليهود الصيارفة والتجار والجوالة التجاريون والسماسرة والوكلاء والعملاء من ملء جميع مسام الاقتصاد والنفاذ إلى مكامن الخامات في الدول»[3].

---

(١) يهود عصرنا ص ٤٤، آرثر روبين.

(٢) المدونة التاريخية اليهودية، دايفد زاسلافسكي.

(٣) سمة الحضارة اليهودية ص ٥٢، الصهيوني بيكرمان.

وعلى سبيل المثال فإنّ مجموعة من اليهود انتقلت من البرازيل إلى سورينام للعيش فيها عام ١٩٤٤، وسرعان ما أصبح هؤلاء مالكي تلك البلاد مع أنّ عددهم لم يزد حينها عن ألفٍ وأربعماية يهودي[١] وبما أنّ المال يجلب المال فإنّ التغلغل والسيطرة اليهوديين كانت تزداد تباعاً وتتسع مجالاتها تبعاً لاتساع الحركة الاقتصادية والمالية حولها، كما وأنّ التحالفات ساهمت في مردودٍ يصعب تحديد مداه وأثره بالكامل على خط سير تاريخ الأمم من مثال ذلك ما حصل قبيل الثورة الروسية الأولى التي كان اليهود يصعدون من وتيرتها عبر دعم الثوار من جهة والاتفاق مع العقيد زوباتوف رئيس مباحث أمن موسكو من جهة ثانية وراح اليهود يشكلون بمعرفة زوباتوف منظمات ثورية، تسلل الكثير من أفرادها إلى الحركة السرية الديمقراطية، ثم عمدوا إلى كشف أسماء أعضائها النشطين فأسهموا بالقضاء عليها وسوف نعود للموضوع لاحقاً، وفي عام ١٩٠١ تأسس حزب العمال(!!) اليهودي المستقل في روسيا، وكانت بنوده هي:

- يهدف حزب العمال اليهودي المستقل إلى رفع المستوى المادي والثقافي(!!) للبروليتاريا اليهودية بواسطة التنظيم الثقافي والاقتصادي.
- لا يضع الحزب أمامه عموماً أية أهداف أو مهام سياسية[٢](؟!)

فلماذا تمّ تأسيس الحزب إذاً؟ وأي حزب عمالي هو؟ ولمعرفة ذلك نتابع:

«وقامت م. فيلبوفتش، وهي عضوة من مؤسسي الحزب المذكور بإمداد البوليس السري القيصري بأسماء الثوريين في مينسك وجرورنو وفرّت بعدها إلى فلسطين تاركة لزوباتوف رسالة تقول فيها: «لقد بذلنا؟ (لم تقل بذلت) جهداً رهيباً حتى حققنا هدفنا»[٣]، وكان من الطبيعي أن تفشل الثورة ويقف

---

(١) يهود عصرنا ص ٣٦، آرثر روبين.
(٢) نشاط زوباتوف ص ٧٩.
(٣) المصدر السابق.

الصهيوني المميز جولد شتاين ليقول: «لقد كنّا الوحيدين الذين نجوا من الإبادة»[١].

ولم يكن عمل الروح اليهودية المسيطرة ليقف عند حدود، فلقد عمد اليهود إلى إنشاء نظام كامل ومتقن من الأحزاب والاتحادات التي تدّعي الاشتراكية، وكان نشاطها استدراج العمال والحرفيين وصغار التجار والموظفين وتوريطهم في الأحابيل السياسية لقاء ثمن بيعهم بعد ذلك للنظام القيصري والذي أرسل إلى هرتزل يقول: «إنّ الحكومة الروسية مستعدة للمساهمة في عودة اليهود إلى فلسطين مع تحملها كامل النفقات اللازمة لذلك من قبلها»[٢].

ولا داعي للإستغراب أبداً، أنه وعندما تمّت الإطاحة بالقيصر بعد فترة وجيزة، دخلت المنظمات اليهودية في تحالفٍ وثيق مع الحكومة المؤقتة وأصدرت إكتتاب قروض الحرية لدعم هذه الحكومة، والهدف؟ «ان مهمتنا النضالية هي تنظيم كل العناصر لكي نستلم السلطة في أيدينا عند سقوط البلشفية»[٣].

وعلّق الكاتب الصهيوني غولد شتاين على هذا الموقف بقوله: «إنّ كل ما يحصل أمرٌ حسن(!!) وفي الوقت نفسه سيىء(!!) الثورة ستعطي اليهود حقوقهم المدنية، إذاً، هذا شيء رائع، ولكنها ستلغي نطاق إقامة اليهود (أي تسمح بالاختلاط مع اليهود) وهذا أمر سيء لأنه سوف يؤدّي إلى إلغاء الصبغة القومية لليهود[٤]، وبالتالي فإنّ الروح اليهودية سوف تفقد سلطة المحور المركزي لإدارة المؤامرات بحال تشتت اليهود في المجتمع وذلك لا يتفق مع مصالحها ولا مع نظرتها بأن «العناصر البشرية الدنيا (من غير اليهود) سوف

---

(١) بين اليهود ص ١٤٢، جولد شتاين.
(٢) هرتزل المؤتمر الصهيوني السادس ١٩٠٣.
(٣) من مؤتمر تسيري سيون الصهيوني (شباب صهيون).
(٤) بين اليهود ص ٢٢٤، غولد شتاين.

تموت قريباً»[1]، ، وبالتالي فإنّ الاختلاط اليهودي يؤدّي إلى الذوبان نتيجة التزاوج وأشياء أخرى ويسمح للعناصر البشرية أن تحيا من جديد!

وفي بريطانيا، كان مسار التغلغل على ذات السياق وإن بحركة أوسع وأوفى.

بسبب التواجد الماسوني الكثيف والعميق الجذور، ولقد أعقب محاولات كرومويل استرضاء الروح اليهودية عبر احتضان فكرة قيام الدولة الإسرائيلية في فلسطين عام ١٦٥٠م، أعقبها اتجاه عام لدى البيوريتانية يرمي إلى التخلي عن الأخلاق المسيحية وإحلال العادات اليهودية مكانها[2] بسبب قربها من التعاليم، وبذلك دخل يهوه بقوة إلى الفكر الإنكليزي على المستويات السياسية والاقتصادية والأدبية.

وحتى ذلك الحين لم تكن فلسطين في الذاكرة المسيحية إلاّ أنها المكان المقدس المسيحي الذي احتلّه المسلمون الكفرة، وأما بعد ذلك التوجّه فإنه بدءاً من القرن السابع عشر أخذ شكل «الوطن لليهود» طبقاً لنبوءة التوراة وتعاليمه، وراحت هذه الشكلية تنطلق من الفكر البريطاني باتجاهات أوروبية متعددة، وحين تولى اللورد شافتسبري عام ١٨٠١ مهمة النضال، أخذ على عاتقه «إقناع المسيحية بأنّ اليهود يمثلون أمل الخلاص لها عبر تعاليمهم المقدسة، هذه الدعوة لقيت ترحيباً في ظلّ دعم الماسونية لها حتى أنّ نابليون بونابرت «أصدر نداء إلى اليهود يدعوهم فيه للإلتحاق بقواته عام ١٧٩٩[3] لتحقيق أمل قيام دولتهم في الشرق، وكان هدفه وضع قاعدة تدين له هناك وبحلول عام ١٨٦٥م تولى بالمرستون وزارة الخارجية البريطانية، وكان أن دعا إلى استخدام اليهود كإسفين بريطاني داخل الأمبراطورية العثمانية[4] ولقي

---

(١) المحتوى الرجعي للصهيونية ص ١٧٨.

(٢) الصهيونية والعنصرية ص ٢٧.

(٣) الصهيونية ص ٤، محمود عباس أبو مازن.

(٤) الصهيونية والعنصرية ص ٣١.

نداؤه ذاك ترحيباً وصدى، ثم قام متفورد بطرح تصوّر جديد يتمّ فيه «توطين اليهود في فلسطين كدولة تتمتع بالحماية تحت الوصاية البريطانية من أجل حماية المواصلات البريطانية وأما تشارلز هنري تشرشل ومن خلال علاقاته مع اليهود فإنه كان على يقين أن هذه الفكرة لم تختمر بعد وعليه «يجب العمل على تنميتها بين اليهود والأمم»[1].

لقد آمنت بريطانيا وساستها الماسونيون أن المشروع اليهودي يخصّها بالدرجة الأولى لأنه يتماشى مع مصالحها إلاّ أن تطور النظام العالمي كان يسير نحو تغييرات وشيكة في المراكز والإدارة والتوازن والسلطة.

ففي الطرف الثاني من المحيط ظهرت حاجة الولايات المتحدة الأميركية إلى مناطق جديدة لتصدير منتجاتها والتي أخذت بالاتساع وهذا ما تطلب منها البحث عن الرساميل «إن الله لم يهيىء خلال ألف عام الشعوب التتونية والشعوب الناطقة بالإنكليزية كي تتأمّل نفسها، لقد جعل منّا أساتذة لتنظيم العالم، وجعلنا جديرين بالحكم كي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية (توجيه يهودي)[2].

ولقد احتاجت الثورة الصناعية الوليدة إلى رساميل للإنتاج، وأسهمت الحرب العالمية الأولى في إفقار الدول والتي سرعان ما خضعت للتمويل اليهودي مرغمة للحفاظ على وجودها فاتّسعت قوة الروح سلطة وتسلّطاً، ومن المثير أن ولاء اليهودية المالي جعل ولاءها العملي مقسماً بين الدول، حتى أن قروضها لم تنقطع عن ألمانيا واليابان قبل وبعد هزيمتهما إذ من يدري ما يخبىء الزمن(؟!)!.

إنّ من الصعوبة بمكان، الحديث عن التغلغل اليهودي وكيفيته ونتائجه ضمن «نسق واحد»، فالانفلاش اليهودي على مستوى العالم، يختلف في

---

(١) المصدر السابق ص٣٣.

(٢) الأمبراطورية الأميركية ص ٧٠، كلود جوليان.

الحجم والكم بين بلدٍ وآخر، ناهيك عن الحركة السياسية وارتباطها بمجتمعات كل بلد، ووجود فوارق تاريخية لبعضها عن البعض الآخر ضمن الحدث العسكري، كما وأنّ المخططات اليهودية المستثمرة من قبل الروح كانت في بعضها آنية قصيرة الأجل وطويلة في البعض الآخر بين بلدٍ وآخر، وإن كان الهدف في النهاية واحداً من ناحية الناتج الاستغلالي.

وفيما أخرج الزمن بعض المخططات إلى العلن نتيجة أسبابٍ متعددة فإنّ البعض الآخر نام خلف الواقع الحاصل المتأتي من الفرضية العسكرية القائمة، أو من فقد المستلزمات التي تعطي صورة كاملة عنه إن على مستوى الأفراد أو الحكومات.

وبما أنّ التاريخ المدوّن يظهر الحدثين السياسي والعسكري الظاهرين فقط فإنّ مسألة السبب والمسبّب لهذا الحدث تخضع في الكثير من التدوينات الحالية إلى الإغفال المتعمّد، أو مزاجية وروح وفكر المدوّن، أو التوجيه الهادف من قبل الحكومات ثم ضياع ذلك كلّه في متاهة الفعل وردّ الفعل والمستجدات التي تتحكم بتفكير الشعوب من مثال ذلك «المعاهدة السريّة لوعد بلفور» والذي ما إن نشرته صحيفة المانشستر غاردين البريطانية[1]، حتى قام وزير الدولة للشؤون الخارجية السيد بلفور بإبداء رأيه على منبر مجلس العموم قائلاً: «ما كان ينبغي نشر هذه الوثائق وإني لا أنوي إعادة نشرها»، وأضاف «إنّ عدداً من هذه الوثائق يتعلّق بحكومات حليفة لنا، وإعادة نشرها فكرة سخيفة لا تستحق حتى التفكير»[2].

إنّ سياسة «خلق الحقائق» أسلوب يهودي صرف استعملته الروح اليهودية في أكثر من موقع ومجال، كتب لوثروب ستيوارد مرة «ان شيئاً ما قد حدث(!!) يعرّض حضارتنا المسيحية إلى خطر كبير» ورغم معرفة لوثروب

---

(١) المانشستر غاردين عدد ٢٦ و٢٨ تشرين الثاني ١٩١٧.

(٢) لورنس ص ٥٥٥.

بالواقع فإنّ الخوف أبعده عن قول الحقيقة حول هذا الحدث.

وقد يلحظ التاريخ بعض الضعف أحياناً في حلقة السلطة أو التسلّط الذي تهيمن عليه الروح فيلوح من تلك الثغرة ذيل الحقيقة، لكنه سرعان ما يغيّب في غمرة معاناة الشعوب.

ففي خطاب لبنجامين فرنكلين أثناء وضع مسودة دستور الولايات المتحدة الأميركية قال:

«هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأميركية هو خطر اليهود.

أيها السادة، في كل أرض حلّ بها هؤلاء أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة، ومنذ أكثر من ١٧٠٠ سنة وهم يندبون حظّهم بأنهم طردوا من ديار آبائهم، ولكنهم أيها السادة لن يلبثوا إذا أعطتهم الدول المتحضرة فلسطين أن يجدوا أسباباً تحملهم على ألاّ يعودوا إليها، لماذا؟ لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض، ولا بدّ لهم من العيش بين المسيحيين (لامتصاص دمهم). وأضاف: «إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستوري فإنّ سيلهم المتدفق إليها وبغضون مائة سنة من الآن فقط سوف يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيرون شكل الحكم(!!) ولن تمضي مائتا سنة أخرى حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود في بيوتاتهم المالية(!!).

«وأحذركم أيها السادة، ان اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا، ولو عاشوا بين أظهرنا عشرة أجيال لأنّ الفهد لا يستطيع أبداً إبدال جلده الأرقط(!!)».

«إنهم خطر على هذه البلاد وسوف يقضون على مؤسساتها، ولذا يجب وضع نصّ دستوري لإبعادهم»[1]. (شبه كلام النبوءة) لقد أظهر فرنكلين الحقيقة، وتمّ التغاضي عنها، ثم طمست بعد ذلك في عقر دارها ولم يعد يلتفت إليها أحد.

---

(١) وثائق فرنكلين، معهد بنجامين فرنكلين، فيلادلفيا ـ بنسلفانيا.

أسلوب التغلغل اليهودي

سُئل الفيلسوف ويتنجشتاين مرة «كيف كان الأوروبيون أغبياء في العصور الوسطى قبل كوبرينكوس، إذ نظروا إلى السماء وظنّوا أنّ الشمس تدور حول الأرض، مع أنّ قدراً متواضعاً من الفطنة الفلكية كان كفيلاً بأن ينبئهم أن العكس هو الصحيح».

ويقال إنّ ردّ ويتنجشتاين كان «أوافق، بيد أنني أتساءل، ماذا كان يمكن أن تكون عليه الحال، لو أنّ الشمس كانت بالفعل تدور حول الأرض(!!)».

الأمر كان سيبدو في الحالين متماثلاً، لأننا عندما نرقب الأشياء نعمل على رؤية ما نريد أن نراه منها، وفقاً لما بنيناه في اعتقادنا من صوابية، أو لما مرنت عليه ذاكرتنا في الترجيع أنه صواب، ولعلّ كره التعقيد ولجاجة التفكير، يغلب على النسق العادي من البشر في غمرة تجاذبات الواقع حوله، ولذا يستعيض عن مجهود الفكر بتقبّل ما يملى عليه وهو أمر ينطبق على المجتمع بحسب مستواه في كثير من النواحي فيضع الطقوس والشعائر للمحافظة على هذا المستوى.

ولما كان المال بمؤسساته يمثّل سلطة فعلية وفاعلة، فإنّ مبدأ التعامل من خلاله يخلق حول الفرد ارتباطات شتّى فيتأثر بقراراته سلباً أو إيجاباً من ضمن حركة المؤسسة أي المال، ولقد أدّى ضعف التعامل المالي في روما

على سبيل المثال في خلق نظريتين واحدة لأوجستين تتعلق بالعودة إلى الله وارتباط الكنيسة والدولة ونظرية مارتينوس كابيلا الداعي إلى تقسيم الأمبراطورية الرومانية إلى دويلات للحفاظ على بقائها.

كذلك دفعت الهزّات الفكرية الناشئة في المجتمعات البولونية إلى حدوث تغييرات في الحياة العامة، كان من نتائجها تبادل الأفكار والتجارة، حيث منحت النقود المزيد من الفرص لظهور مفردات السيطرة، والطموح، والاستغلال إلى ما هنالك، في ظلّ عقلية إنسانية خاضعة للخرافة ضمن مجتمع يؤمن بها، حتى إذا ما سقطت غرناطة الإسلامية فإنّ الفكر الأوروبي وبما سلبه منها بدأ يتحوّل جذرياً نحو سياسة العقل والمنطق والوعي والبحث والاستدلال، محافظاً في خلفية جذوره الفكرية على ما أسهمت به الروح اليهودية من معتقدات ومنها شيوع مبدأ الاتصال مع اليهود كي لا يعود باستطاعة هؤلاء مقاومة التحوّل إلى الدين المسيحي، وهي فكرة يهودية الأصل هدفت إلى التغلغل والاستغلال وإن تمّ طرحها عن طريق البيوريتانية الماسونية.

وما يؤكد هذه الفرضية ويدعمها تلك الرسالة التي بعثها «شامور» حاخام مدينة ارل من أعمال مقاطعة بروفانس إلى المجمع اليهودي المنعقد في الأستانة والتي ورد فيها «...إن الفرنسيين في أكس وارل ومرسيليا يهددون معابدنا فماذا نعمل»[1] وقد ردّ المؤتمرون برسالة جوابية[2]:

«أيها الأخوة الأعزاء:

بأسى تلقينا كتابكم، وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، وكان وقع الخبر شديد الوطأة علينا، وإليكم رأينا:

---

(١) مجلة البحوث اليهودية الفرنسية ١٨٨٠م.

(٢) تاريخ ١٣/١/١٤٨٩ المصدر السابق.

ـ بمقتضى قولكم ان ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحي، فاعتنقوه، لأنه لا يسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم الحفاظ على شريعة موسى في قلوبكم.

وبمقتضى قولكم انهم يأمرونكم بالتجرّد من أملاككم، فاجعلوا أولادكم تجّاراً ليتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين من أملاكهم وبمقتضى قولكم انهم يعتدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم.

وبمقتضى قولكم انهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة وأكليروس ليهدموا كنائسهم.

وبمقتضى قولكم انهم يسومونكم تعديات أخرى فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى، وكتبة عدل، وليتداخلوا في مسائل الحكومة حتى يخضع المسيحيون لنيركم وتستولوا على زمام السلطة العالمية وبذلك يتسنى لكم الانتقام.

سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم بهذا الذلّ والضعة التي أنتم فيها ستصلون إلى ذروة القوة والسلطة الحقيقية.

في ١٣ كاسلو (ت٢) ١٤٨٩ التوقيع
أمير يهود القسطنطينية»

وقد يشكك البعض، أو يعتبر أن الأمر لا يعدو كونه مجرّد رسالة رمزية من منطلق الضعف وعدم القدرة على الردّ، وعليه فإننا نعود إلى الأشائر الدالّة على عمل الروح وأهدافها، يقول دزرائيلي مرغماً: «يُحكم العالم بأشخاص مختلفين اختلافاً شديداً عمّن يتخيلهم الناس أنهم يحكمون».

وأما بسمارك رغم قوته فإنه خاف من ذكر الحقيقة كاملة مكتفياً بالقول انها قوى «ما لا يسبر غوره».

ونعود إلى دزرائيلي والذي كان على اطّلاع وافٍ على الأمور ونراه يتحدّث عن الثورة في ألمانيا بقوله: «إنّ هذه الثورة التي تخطط الآن في ألمانيا تتطور برعاية الأساتذة اليهود في الجامعات الألمانية» فأي دور لهؤلاء، وأي سبب، وأي فائدة في إشعال الثورة الألمانية! (سوف نرى ذلك لاحقاً).

وأمّا الدكتور جون هركليرك فيصرّح لجريدة البريتش غارديان بقوله: «... وهذا ما فعله اليهود فأنقذوا أوروبا، لقد سهلت لهم حرب البوير وضع يدهم على الموارد الرئيسية للذهب العالمي» فهل من المهم أن نسأل كيف قامت حرب البوير وعلى يد من وكيف طالما عرفنا أنّ الهدف اليهودي كان السيطرة على الموارد الرئيسية للذهب؟

وعندما نعود إلى الكتابات اليهودية الحديثة نجد أنّها تتحدّث «عن عظماء اليهودية من حاخامات ورجال بنوك ومرابين وحكّام... الخ» وفجأة يرد اسم غير يهودي هو كازيمير الثالث ملك بولندا فلماذا؟ يوضح كتبة التاريخ اليهودي أنه «من العظماء الذين عاملوا اليهود باحترام»[1]، وذلك سخف ودجل لأنّ دور كازيمير كان كبيراً في ما عرف بالأزمة البولندية والتي أنتجت عدّة حروب في القارة الأوروبية. وفي السياق ذاته، يقول كارل ماركس: «إنّ أسوأ شكل من أشكال التعارض بين المسيحية واليهودية هو التعارض الديني، ولنتخلص من هذا التعارض علينا طمس الدين»، لقد آمن بكارل ماركس كثيرون كان هدفهم طمس الدين المسيحي فقط لأنّ الدين اليهودي لم يكن في صلب وقصد ما أراده كارل ماركس، وها هي الروح اليهودية تقرظه بحبور قائلة: «إنّ كلامه يوحي بتحليل بارع للنزعة التلمودية الأصيلة»[2] والرجل أدّى ما عليه من دين تجاه يهوديته.

---

(١) الموسوعة اليهودية.

(٢) دائرة المعارف اليهودية.

لقد كان للروح اليهودية دورٌ فاعل كما مرّ معنا في الحياة السياسية لروسيا القيصرية ولكنها لما وجدت أن ليس لدى القيصر إمكانية تحقيق أحلامها السلطوية أكثر في غمرة الهيجان الشعبي الروسي التفت عليه وعملت على إسقاطه.

ونرى أنه في زمن لينين سنة ١٩١٨ تمّ تشكيل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي كأعلى سلطة في البلاد وكانت على الشكل التالي:

الأعضاء: برونشتاين (تروتسكي) أبغلبوم (زينوفيف) لوري (لاين) أويتسكي، فولودارسكي، روز بنفيلدت (كامينيف) سفيردلوف (يانكل) ناخامكي (سيتكلوف) أي تسعة أعضاء يهود من أصل اثني عشر عضواً يشكلون القيادة علماً أنّ لينين نفسه من أم يهودية وزوج امرأة يهودية(١)، وفي ظلّ ما يفرضه الدين اليهودي من صرامة على الزواج المختلط فإنّ لنا سؤالاً كيف تزوجت اليهودية بلينين؟ وإن عدنا إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التي ترأسها ستالين لوجدنا أنها مؤلفة من تسعة وخمسين عضواً منهم ستة وخمسون يهودياً والثلاثة الآخرون متزوجون من يهوديات بما فيهم ستالين نفسه(٢).

وليس معنى ذلك أنّ الأمر هذا يتعلّق بروسيا وحدها، بل أنه كان ينطبق على معظم قادة الدول المسماة بالعظمى والأقل منها عظمة ولكن السؤال هو، لماذا بقي ستالين على الحياد في الحرب العالمية الثانية حتى أتمت ألمانيا احتلال فرنسا بالكامل؟ (ذلك هو التاريخ) علماً أنه أبلغ بالغزو الألماني لبلاده قبل سنة من وقوعه وخلالها(٣).

---

(١) أيام رومانوف الأخيرة، روبير ويلتون.

(٢) حكام روسيا، الأب دانيس قاصي.

(٣) أعلام الجاسوسية العالمية سورج، كيرت سنجر ص ١٩٥.

لقد استولت الدعاية اليهودية على أذهان الشعوب الأوروبية بتأثير من الكتّاب والمؤرخين اليهود حتى أن الكثير مما كتب عن الثورة الروسية ودور اليهود فيها يحتاج إلى إعادة صياغة بما في ذلك ما أشيع لدى الغرب الأوروبي حول مذابح اليهود.

لقد كان الهدف الحقيقي «نقل أعداد من اليهود المثقفين إلى الولايات المتحدة»[1] وضمت القوافل الهاربة من روسيا «ثوريين ذوي سجلات إجرامية» عقب مذبحة الأحد الدموي سنة ١٩٠٥ والتي قادها القس غابون بسلامة طويته وقام القوقاز بإطلاق النار بوحشية على المتظاهرين، وذلك بعد تلقيهم معلومات خادعة عن وجود مؤامرة لقتل القيصر[2] وخصوصاً أن ذكرى مقتل والده الإسكندر الثاني لم تزل ماثلة للعيان، ان السبب الحقيقي للحدث السياسي والعسكري قد يصعب إيجاده، وان تمّ فبعد سنين طويلة بحيث أن الكشف عنه لا يسمن ولا يغني ولا يغيّر من واقع الأمر شيئاً، ولكن الهدف من العودة إليه اكتساب الخبرة والمعرفة في مواجهة الأضاليل التاريخية اليهودية ولعلّنا نستطيع قراءة وكتابة التاريخ بنظرة جديدة.

في ٦ سبتمبر عام ١٩٢٠ نشرت صحيفة المورنينغ نيوز البريطانية النداء الصادر عن رئاسة الحكومة السرية اليهودية العالمية العليا وجاء فيه:

«إنّ الاتحاد الذي ننوي تأليفه ليس باتحاد فرنسي أو إنكليزي، أو إيرلندي، أو ألماني، إنما هو اتحاد يهودي عالمي فالشعوب الأخرى مقسمة إلى قوميات إلاّ نحن.

«ولن يكون اليهودي تحت أي ظرف صديقاً للمسيحي أو المسلم قبل أن تحين اللحظة التي يشع فيها نور الإيمان اليهودي على العالم».

---

(١) دائرة المعارف اليهودية.

(٢) الأخوة الزائفة ص ٩٤، جاك تني عضو مجلس الشيوخ الأميركي.

«إن هدفنا عظيم ومقدس والكاثوليكية عدوّنا مطروحة أرضاً».

«لقد حان الوقت لجعل بيت المقدس مكان عبادة لكل الأمم، والشعوب سترفع راية التوحيد اليهودي، واليوم الذي يمتلك فيه بنو إسرائيل ثروات العالم لم يعد بعيداً».

لقد امتلك اليهود ثروات العالم فعلاً، وأقاموا في بيت المقدس مكان طاعة لهم لكل الأمم الذين يغرقون في متاهات بعيدة عما يخطط وينفذ من قبل الروح اليهودية، يقول هنري فورد[١] «عندما تضع يدك على الخمسين الأكثر ثراء من الممولين اليهود الذين يديرون الحروب في العالم ابتغاء الربح، فإنّ الحروب سوف تتوقف[٢]. ولم يكن السيد فورد مبالغاً فيما قال وكتب ولم يكن مشوشاً أو يبتغي التهويل أو إعطاء اليهود صبغة أكبر مما هم عليه والتاريخ الغير مكتوب، والتاريخ الموارى عن عمد يكشف أن أصابع الروح اليهودية لم تكن بعيدة بوسيلة أو بأخرى عن كل شرور العالم وآثامه وحروبه، وها هو نيتشه الفيلسوف اليهودي يصرّح متباهياً أو أقلّه لافتاً النظر إلى أنه «سيكون اليهود أحد المشاهد التي سيدعو القرن القادم (العشرون) البشرية لمشاهدتها[٣].

في سياق التاريخ المكتوب ان الصراع بين فرنسا وبريطانيا وروسيا على تركة الرجل المريض «الأمبراطورية العثمانية» استمرّ لسنوات عدة حتى قيّد لتركيا أن يقوم ثوارها بقيادة كمال أتاتورك بثورة لعزل السلطان عبد الحميد[٤].

ولكن التاريخ لم يحدّثنا (لسبب ما) عمّن كان يقف خلف هذه الدول

---

(١) كتاب اليهودي العالمي لهنري فورد.
(٢) نيويورك تايمز ٨ أذار ١٩٢٥.
(٣) نيتشه ص ٣٩.
(٤) الصراع الدولي في الشرق الأوسط، زين الدين زين.

ويحرّكها؟ ولم يحدّثنا عن سرّ المقابلة بين السلطان عبد الحميد قبل خلعه والموفد من قبل هرتزل المدعو نيولنسكي عندما نعود إلى تفاصيل المقابلة ويلسان من قام بها[1] نجد «أنّ الصهيوني هرتزل بعث نيولنسكي لإقناع السلطان ببيع أراضٍ في فلسطين لليهود مقابل مبلغ من المال.

يقول السلطان عبد الحميد: «إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، ليحتفظ اليهود ببلاينهم وإن قسمت الأمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل(!!) إنما لن تقسم إلاّ على جثثنا»، ولقد كان موقف السلطان مشرّفاً وبعيد النظر في فهم ما يحاك للمنطقة وكيف تستغلّ الروح اليهودية نقاط الضعف في السلطنة والأخطاء لتثير زوابع الخلاف والتناحر في منطقتنا الشرق أوسطية.

وإزاء رفض السلطان للمال والضغوط فإنهم حرّكوا يهود الدوما لإحداث الثورة والانقلاب وحمل له كتاب التنازل اليهودي قره صو[2].

وفي رسالة بعث بها السلطان المخلوع إلى الشيخ محمود أبي الشامات في دمشق وكان السلطان من أتباع طريقته الصوفية[3]، يذكر فيها مطالب زعماء جمعية الاتحاد (جون تورك) مقابل سماح السلطان لليهود بتأسيس وطن قومي لهم في فلسطين، ولما رفض السلطان طلب الانقلابيين تمّ عزله، وتقول الرسالة:

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين... أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية

---

(١) يوميات هرتزل ص ٣٥ مركز الأبحاث الفلسطيني.

(٢) أحمد عرموش، حكومة العالم ص ٢١.

(٣) مجلة العربي عدد ١٦٩ ديمسبر ١٩٧٢.

الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرّخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة.

سيدي... انني بتوفيق الله مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية... وبعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ.

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرّوا وأصرّوا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً فرفضت هذا بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسوّد صحائف آبائي وأجدادي المسلمين.

وبعد جوابي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدوني إلى سلانيك فقبلت.

هذا وحمدت الله أنني لم أقبل أن ألطّخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبدي وكان بعد ذلك ما كان... وأعتقد أن ما عرضته كافٍ في هذا الموضوع المهم..... والسلام عليكم.

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩ **خادم المسلمين**

عبد الحميد بن عبد المجيد

أين الحقيقة؟

انه ولدى عودتنا إلى تفاصيل الثورة العربية التي قام بها الشريف حسين مدفوعاً من السر هنري ماكماهون وبتخطيط من الجاسوسية البريطانية وتكليف لورنس وسارا ارونسون اليهودية بالتنفيذ نجد أنّ الشريف لم يكن على علم بالوعد الصادر في الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩١٧ من بلفور بشأن إنشاء دولة يهودية في فلسطين، لا بل أنه وأثناء الاجتماعات في فرنسا للتداول في شأن منطقة الشرق الأوسط وتقسيمها لما بعد الحرب كان الأمير فيصل يؤخذ بعيداً عن المؤتمر إلى ساحات المعارك كي لا يطّلع على الاتصالات الجارية بين لويد جورج وكليمنصو وفوش وأورلندو، ثم أقام اللورد روتشيلد حفلة عشاء على شرف الأمير فيصل تحت اسم الصداقة العربية اليهودية لمقاومة الاستغلال الفرنسي، وخلال الاجتماعات المقررة لبحث مصير المنطقة وتقسيمها بين النفوذ الفرنسي والنفوذ الإنكليزي كان الحوار داخل القاعة يتمّ باللغة الفرنسية، ولم يكن الأمير فيصل المفاوض يتقن هذه اللغة»![1] وكان يترجم له بن جبريت(!). ولقد أكّد لورنس في مذكراته أنه وعقب قيام الروس الشيوعيين بالكشف عن اتفاقية سايكس بيكو المشهورة فإنّ لورنس «ولبرهة وجيزة(!!) اعتقدنا أننا والفرنسيون قريبون من رأب الصدع، ولحسن الحظ فإنني كنت قد أفشيت للأمير فيصل بوجود هذه الاتفاقية وحاولت إقناعه أن من الخير له، كي ينجو من هذه الورطة(!!) أن يتابع تعاونه مع الإنكليز»[2].

وفي الرابع من كانون الأول ١٩١٧ كشف جمال باشا سرّ اتفاقية سايكس بيكو ولكن ردّ الزعماء والعرب كان أنهم «أصيبوا بالذهول عند اطّلاعهم على اتفاقية سايكس بيكو، ولكن ثقتهم ببريطانيا العظمى كانت راسخة فلم يكن للكشف عن هذه الاتفاقية أي أثر في تعاونهم المخلص مع

---

(١) بريمند ص ٣١٦.

(٢) المصدر السابق.

بريطانيا»[1] ولم يكن هذا الأمر وحده خافياً على الزعماء العرب البريطانيي التوجّه، بل ان مسألة تضارب المصالح البريطانية والفرنسية والألمانية وتعارضها مع الوجود التركي أسهم في دفع المشاعر الوطنية لتكون في خدمة الاستغلالية ومخطط الروح اليهودية.

لقد تعارض إنشاء سكة حديد الموصل برأسمال ألماني وإشراف تركي مع افتتاح قناة السويس الممولة والمشتراة من آل روتشيلد وكان هذا الخط (١٩٠٣) جزءاً آخر من الصراع، وفوق ذلك كله وبعد وقبل مسألة إيجاد وطن يهودي في فلسطين، كانت تركيا مدينة للمصارف الأوروبية وتقوم بدفع رواتب جنودها مما تستدينه من الأموال وكانت المصارف تخضع لسلطة الروح اليهودية مباشرة ومع ذلك بقي المريض التركي سنوات لا يسمح له بالموت ولا بالشفاء حتى إذا ما رفض السلطان عبد الحميد التوقيع على إعطاء اليهود أرض في فلسطين قضي عليه وجاء من بعده ليوافقوا دون اعتراض.

وفي معرض ردّه على كتاب الجمعيات السريّة للسيدة وبستر، كتب سيلاس بنيت يقول:

«ليس من السهل أن نستنتج أن ماسونية ميرابو وخبث وايزهاوبت المشابه لخبث كاغليوشرو، لنقول إنّ الماسونية طبخت الثورة الفرنسية».

لقد كان ميرابو (عرّاب الثورة وخطيبها) ماسونياً من محفل الأصدقاء مع تاليران(!!) وهما من قام بجمع نابليون مع امشيل (روتشيلد) كما قدم ميرابو عشيقته اليهودية هنريت هيرز في منزل اليهودي موسى مندلسون في برلين، فتمّ تقديم ميرابو إلى مؤتمر الماسونية في ويلهامسباد.

ويتابع بنيت: «إنّ السيدة وبستر لم تستطع تجنّب النتيجة القائلة بأنّ ممولين عالميين(!!) دفعوا الأموال، بل أكثر من ذلك فإنّها تحدد أنهم

---

(١) تمبرلي.

يهود، وأن اليهود هم سدنة الثورات في الألفي سنة وهم المجلس الداخلي السري للحركات الخمس التي تعمل في العالم والحكومات(!!) وهي:

١ ـ ماسونية الشرق الأعظم في باريس.

٢ ـ التيوصوفية.

٣ ـ القومية المتطرفة.

٤ ـ المال العالمي.

٥ ـ الثورة الاجتماعية.

وبتوضيح أكثر فإنّ كوبنوالبنسكي أكّد «أنّ قوى خفية تتحرك خلف الماسونية، هي الحكومة السريّة للشعب اليهودي».

وفي فلسطين المحتلة احتفل بوضع حجر الأساس لأكبر محفل ماسوني في العالم وألقى الحاخام الإسرائيلي خطبة بمناسبة الافتتاح قال فيها:

«أيها الأخوة الماسون من كل بلاد العالم، نحتفل اليوم بوضع الحجر الأساس للمحفل الأكبر، وسوف يضيء الطريق أمام الماسونية لتحقيق أهدافها، ونحن نعمل جميعاً من أجل هدف واحد هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وما عدا ذلك فهي أديان باطلة، ونتيجة لمجهودكم(!!) سوف يأتي يوم، يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الإسلامي، ويتخلّص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم الباطلة المتعفنة»[1].

إذا قلبنا صفحات التاريخ، وجدنا أن انهيار الأمم في نتائجه لا يفرّق عند وقوعه بين انهيار على يد عدوّ خارجي أو انهيار على يد عدوّ داخلي لأنّ المسألة لا تقتصر على حركات الجيوش وقصف المدن فالخداع والخيانة

---

(١) مجلة القوات المسلحة المصرية العدد ٤٢١ لعام ١٩٦٤.

والتغلغل أساليب مساعدة للعدوّ على تحقيق أهدافه.

ولم يكن التغلغل اليهودي بين الأمم إلاّ حرباً، خاضتها الروح اليهودية على شكل مناوشات في البدء، ثم طوّرت أسلحتها ومهاراتها بمحاذاة التطور المالي لديها، أفسدت ذمم الملوك، وأنهكت الأباطرة بالديون، وصعدت الإرهاب والثورات فتهاوت العروش، حوربت الديانات ودنّست المقدسات وتمّ استغلال العيوب الإنسانية الفردية لتحميل المجتمعات تبعتها، وكان الربانيون سدنة هذه الحرب المالية المقدسة وعلى رأسهم يعقوب هنري نشيف، وآل روتشيلد وآل وربرغ ضمن توجيه الروح اليهودية لهم وعن طريق الماسونية وسواها من الجمعيات.

ولد يعقوب هنري تشيف سنة ١٨٤٧ في مدينة فرنكفورت بألمانيا وقدم إلى الولايات المتحدة عام ١٨٦٥ والتحق بأحد مصارف نيويورك وأصبح مواطناً أميركياً عام ١٨٧٠ فعاد إلى أوروبا وأقام اتصالات هامة مع كبار الصيارفة والمرابين اليهود، ونتيجة ذلك أسس سلسلة مصارف كوهين ـ لويب وشركاهم في أميركا عام ١٨٧٥ .

بعد عشر سنوات مات كوهين واستقال سلمون لويب فأصبح يعقوب تشيف رئيساً لهذه السلسلة من المصارف ثم تولّى منصب نائب رئيس غرفة تجارة نيويورك، وأصبح مديراً للصندوق المركزي وشركة برق الاتحاد، وشركة ويلزفارغو السريعة.

أما مآثر تشيف الظاهرة على الأقل فهي تعويم قروض الحرب اليابانية الروسية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) عن طريق بنك كوهين لويب، ونتيجة لهذا الدعم هزمت روسيا، كما قام تشيف عام ١٩١١ بإقراض الحكومة الصينية[١] .

وتقول السلطات اليهودية عنه «إن تشيف استخدم دائماً ثروته ونفوذه

---

(١) الأخوة الزائفة ص ٥٨، جاك تني.

لخير اليهود ومصالحهم»[1] ولنا أن نفهم ماهية مصالح اليهود!

لقد كان تشيف واحداً من قادة «اللجنة الوطنية لإنقاذ اليهود الروس» ورئيس صندوق وبناية الدراسات السامية في جامعة هارفرد بلندن ورئيس مجلس إدارة فرع شرق آسيا لمتحف نيويورك للتاريخ(!!) وكان رئيساً لدار مونتفيور، وحامل أسهم في مستشفى سيناء، وقائداً للندوة الدينية اليهودية لأميركا، وأمين صندوق بارون دوهرش ومدرستر دوباين الزراعية والاتحاد العبري في نيويورك، وقد أدّى التعتيم الإعلامي في أميركا حول وسائله الخاصة بالسيطرة إلى بقاء أعماله الخاصة بمصلحة اليهود ضمن الخفاء باستثناء مسألة تمويله لليابان في الحرب مع روسيا والتي يمكن ربطها بقيادة تشيف للجنة إنقاذ اليهود الروس لنعرف أسلوب مخططاته.

ولكن ما حققه آل روتشيلد عبر تاريخهم الطويل والمتشعب في بلدان سيطرتهم المالية: «بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا وبولندا وأخيراً الولايات المتحدة» للروح اليهودية يصعب حصر آثاره المدمرة على شعوب وحكومات تلك الدول، وسوف نرى كيف قام هؤلاء وعبر صنائعهم من القادة بجرّ هذه الدول إلى الحروب الثنائية أو الشاملة مما خلق أحقاداً بين شعوبها كان يتم تغذيتها كل ما أراد هؤلاء ذلك (آل روتشيلد) أو كان لهم منفعة مالية.

وإن عدنا إلى نتائج هذه الحروب المباشرة وغير المباشرة لوجدنا من دون مبالغة أن آل روتشيلد كانوا خلف رسم الجغرافية السياسية للبلدان الأوروبية والتي لاتزال قائمة وكذلك رسم الواقع العسكري والسياسي والاقتصادي لهذه الدول، ولقد كانت أعمالهم هذه الطريق التي أتمّت الروح اليهودية من خلاله سيطرتها على قيادات العالم كله والتأثير على شعوبها وتوجيه حضاراتها، فمن هم الروتشيلديون كما أطلق عليهم لاحقاً؟

---

(١) المصدر السابق.

يشكّل أمشيل ماير وزوجته اليهودية غوتا شنايبير الثنائي المؤسس لما عرف بعائلة روتشيلد، كان يسكن مع زوجته في منزل خشبي في الشارع اليهودي لمدينة بودنغاسه (ألمانيا) ويمارس معها البيع والشراء في محل صغير على رصيف هناك لبيع الأدوات المستعملة وكان في ذاك المحل درعٌ أحمر ومعناه بالألمانية «روتشيلد» وتسمّت العائلة بهذا الاسم لاحقاً(١).

كان أمشيل في بدء حياته يدرس اللاهوت ليصبح حاخاماً بناء على رغبة والده ولكنه سرعان ما التحق بمصرف أوبنهايم في هانوفر ليتعلّم المهنة(!!) وهناك تعرّف على القائد فون استورف أقرب المقربين إلى فردريك الثاني، والذي أعجبه (فردريك) انعدام ضمير أمشيل فوظفه لديه علماً أن ثروة فردريك تلك الأيام كانت ماية مليون فلورينا، وعمل أمشيل على استثمارها له ومنها كانت البداية.

رزق أمشيل من زوجته خمسة صبيان وخمس بنات ولأن هؤلاء أضحوا مع الوقت قادة العالم (الحر؟) فلا بدّ لنا من ذكرهم واحداً واحد وهم:

- **شارلوت ماير:** التي تزوجت من المصرفي اليهودي المشهور موسى ورمز.
- **انسيلم:** والذي اختير لاحقاً «عضواً في المجلس البروسي»(!) للإشراف على التجارة(!!) ثم عضواً في محكمة المصارف(!!)
- **سالومون:** أحد مستشاري ديكتاتور النمسا اليهودي الماسوني مترنيخ.
- **ناثان، إيزابيلا، بابيت، كارل، جميز (جاكوب)** والذي تزوج من ابنة أخيه سالومون وتدعى جوليا.

---

(١) المصدر السابق.

ولكي لا يختلف أبناء أمشيل بعد وفاته عمد المذكور إلى تقسيم العالم بين أبنائه وحفيده شونبرغ والذي عمل في الولايات المتحدة تحت اسم بيلمونت، فيما عمل ابنه ناثان في لندن، وسولومون في ڤيينا وكارل في نيلس وجميز في باريس بينما أصبح انسيلم (العقل المدبر) في فرانكفورت، وألقى إليهم مذهبه «القبلانية»[1] قبل وفاته، ولقد عمل هؤلاء الأخوة بترابط كلّي مع بعضهم البعض في البلدان التي كانوا فيها، ولقد كان هؤلاء القوة الفعلية التي حرّكت الأمم والحروب في ما بينها «إنّ اليد اليهودية تقف خلف الحروب العالمية وهي من تدبير المجالس اليهودية والماسونية»[2].

وفي عودة لأسلوب هؤلاء في التغلغل والسيطرة لا بدّ لنا أن نحيد عن التاريخ المكتوب إلى تاريخ لم يكتب لأسباب شتّى ولكنه أعمق وأكثر إيضاحاً لأسباب الحروب ونتائجها وكيفية عمل الروح اليهودية ونبدأ من فرنسا:

فلقد اكتشف أمشيل رويتشيلد نابليون عن طريق ميرابو وتاليران فدعمه «لما رآه فيه من عداوة صلبة للكثلكة وقاتلاً للمسيحية لا مثيل له»[3]، ولكن نابليون الأمبراطور أصبح غير نابليون المتشرد الذي التقاه أمشيل، إذ أن العظمة جعلت منه رجلاً آخر، وفي عام ١٨٠٨ خرج عن سيطرة الماسونية قائلاً انه لن يتبع بعد اليوم نصائح الماسونية لأنها خاضعة لسيطرة اليهود[4] وأضاف «يجب أن لا ننظر إلى اليهود كعنصر مميز بل كغرباء، وسيكون إذلالاً مرّاً لنا أن نحكم بهؤلاء وهم أذلّ شعب على وجه الأرض»[5].

ولم يكتف نابليون بذلك بل بعث برسالة إلى أخيه جيروم ملك وستغاليا

---

(١) القبلانية ديانة يهودية سريّة ضمت أحبار اليهود، القبلانية بلا قناع، ماكريغور ماثرز.
(٢) الدكتور اليهودي أوسكار ليفي.
(٣) كاري ص ٢٧٣.
(٤) وثائق نابليون ٢٣٧.
(٥) المصدر السابق.

معاتباً إيّاه «ما من عمل أكثر خسّة يمكنك فعله أكثر من استقبالك لليهود»[1]، فجنّ جنون الروح اليهودية وتمّ دفع نابليون إلى مزيد من الخطأ ثم روّج عنه أنه «غير مسيحي وكافر»، ودفع لغزو روسيا بعد ذلك دفعاً لتنهار قوته العسكرية.

يقول الكسندر قيصر روسيا: «شنّ عليّ نابليون حرباً بطريقة قبيحة وخدعني بأسلوب غادر».

ولكن نابليون يعترف «أنه لم يرد الحرب مع روسيا، لقد أقنعني الوزيران باسانو وشاميني بأن المذكرة الروسية تعني الحرب مما جعلني أعتقد أنّ روسيا تريد محاربتي فعلاً».

وما يؤكّد مصداقية نابليون قول القائد العسكري للحملة الفرنسية على روسيا الجنرال غورغو حين سئل عن أسباب الحرب فردّ بقوله «لا أعرف، ومن الممكن أن الأمبراطور نفسه لا يعرف أكثر مني»[2] ولمعرفة ذلك نعود إلى معركة واترلو.

يقول نابليون: «لم يساعدني سولت، القائد الثاني لجيشي في واترلو كما ينبغي فمعاونوه بالرغم من كل أوامري، لم ينظموا قواهم في جيماب»، وكان نابليون مريضاً في ذلك الوقت وتولّى سولت قيادة الجيش والمعركة.

وما لم يكن يعرفه نابليون أن سولت كان يهودياً!

ونتابع «وفي أثناء المعركة تأخّر الماريشال غروشي قائد جناح في جيش نابليون مدة أربع وعشرين ساعة، وبذلك انتهت المعركة حتى قبل أن تبدأ وسقط نابليون».

ومن اللافت أن إشاعات سرت في فرنسا أن سكرتيرة غروشي اليهودية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نابليون ١٥٤.

قد خدعته وأخّرته، ولكن من الثابت أن ناثان رويتشيلد أرسل له من لندن صندوقاً من الذهب نقل إلى مقر قيادته في فرنسا. ولقد ترك ناثان مقرّ عمله في لندن وهو مركز حركته المالية وانضمّ إلى الجيش البريطاني في بلجيكا مع أنه لم يكن له أي دور في قيادة هذا الجيش، ولكن ناثان كان يعلم أن فوز نابليون يعني دماراً له ولعائلته لأنّ الأموال التي أقرضها للدول الحليفة أو المتحالفة على حرب نابليون سوف تضيع في حال انكسارها»[١] وكانت ثلاثة مصارف فقط تتولى تمويل هذه الدول وهي بارنغ في لندن وهوب في أمستردام وافرارد في باريس وكلّها تخضع لتمويل آل روتشيلد وقيادتهم.

وأثناء المعركة رأى ناثان جيش بلوخر الروسي يصل إلى الميدان ولما لم يصل غروشي (بعد أن رشاه) أيقن بهزيمة نابليون لعلمه بنجاح مؤامرته، عندها عاد سريعاً إلى لندن وقبل أن تصل إليها أنباء المعركة ونتائجها.

وصباح اليوم التالي، وصل ناثان بشكل مبكر عن المعتاد إلى مقر بورصة لندن وهناك راح يبيع أسهم شركاته مثيراً الفزع عبر الإشاعات بأنّ جيش بلوشر قد هزم وأن نابليون قد انتصر وعلى الفور هبطت أسعار البورصة حتى الانهيار فاشترى ناثان وعبر عملائه ما استطاع.

وفي اليوم الثاني أتت الأنباء (التي كان ناثان يعلم بها) بهزيمة نابليون وانتصار بريطانيا وحلفائها وعلى الفور ارتفعت أسعار الأسهم بشكل جنوني، وبذلك ربح ناثان مبلغ خمسة ملايين جنيه في يوم واحد وبعملة تلك الأيام النادرة[٢]، وتمكن من القضاء على نابليون أيضاً. وما يؤكد هذه القضية قيام امبراطور النمسا بتقليد آل روتشيلد أوسمة عدة لإسهامهم في القضاء على نابليون وعيّن أبناء أمشيل الأربعة قناصل عامّين للنمسا.

---

(١) اليد الخفية ص ٥٨.

(٢) ريفرز ص ١١٤.

وفي مكان آخر ومن باريس عمد جيمز روتشيلد والذي أصبح لاحقاً القوة المسيطرة في العالم، إلى تمويل الحكومة الفرنسية بمبلغ ٥٢٠ مليون فرنك، أما أشقاؤه فإنّ الحكومة الفرنسية وبعد هزيمة نابليون أجبرت وبضغط من الحكومات المتحالفة ضدها (والموجهة من قبل آل روتشيلد) على دفع مبلغ ١٥٠٠ مليون فرنك جزية، ولم يكن لدى الدولة مثل هذا المبلغ، ولم يكن أمامها إلاّ الاستدانة من آل روتشيلد عبر البنوك التابعة لهؤلاء، وتقدم انسيلم وسالومون وناثان وجميز كل من جهته وأعطيت فرنسا القرض بفائدة ٥٪ سنوياً وبذلك تمّ ارتهانها للروح اليهودية، ولم يحلّ عام ١٨٢٣ حتى كان هؤلاء قد استوفوا قروضهم من فرنسا وقامت الدولة الفرنسية بمنح جميز قلادة الشرف على موقفه. ولقد انعكس مجرى الحرب في واترلو على التاريخ.

فروسيا الضعيفة أصلاً اضطرّت لطلب قرض بمبلغ خمسة ملايين استرلينية من آل روتشيلد أيضاً، وفرنسا نفسها كانت تخضع الآن للخطط اليهودية بشكل كامل.

لقد تم وضع نابليون الثالث على رأس العرش الفرنسي وهو الرجل المشكوك في أصله وولادته، وكان ماسونياً في المحفل الماسوني الكاربوناري مع دزرائيلي[1] وكان نابليون الثاني قد قتل من قبل على يد اليهودي بومبل أستاذ ليونيل الذي يقول عنه دزرائيلي: «كان يسوعياً قبل الثورة، وقائداً متحرراً في المنفى، والآن هو عضو في البلاط الاسباني، لكن الحقيقة أن ريبيلو كان يهودياً دائماً»[2] (يقصد ليونيل روتشيلد).

لقد كان سقوط نابليون في فرنسا (بداية الفترة للقوة الجديدة(؟!) على

---

(١) ايرل بيكونسفيلد ص ١٦٧.

(٢) ديزرائيلي في كتاب «الروتشيلديون».

الرغم من أنه وقبل هذا التاريخ اشترى أصحاب المصارف (اليهود) القمح فأفشلوا خطة موسكو، فموسكو وواترلو اسمان يجب تذكرهما لأنهما يمثلان تدخل اليهود في فرنسا»[١].

سقط نابليون، ولكن شيئاً ما كان يجري في طرفٍ آخر من أوروبا، أفزع الروح اليهودية وأثار قلقها، لقد قام الكسندر الأول (روسيا) وال هامبسبوغ (النمسا) والهوهينزوليرن (ألمانيا) بإنشاء حلف جديد دعي بالحلف المقدس عام ١٨١٥ وعلى الفور تحرّكت الروح اليهودية وبقوة، فتمّ تعيين سلسلة من العملاء لهم مثل اليهودي الماسوني دزرائيلي، ونابليون الثالث، وبسمارك وغامبيتا لمحاربة هذا الحلف.

ولقد كان اليهود وراء مقتل بولس الأول والد الاسكندر لأنه كان رأس الكنيسة الأرثوذكسية، لا بل انّهم وبعد هجوم شيطاني على بولس «قتل بولس الأول مجموعة من الضباط السكارى(!!) بوحشية(؟!)» دفعوه نحو الجنون «بينما كان بولس الأول يأكل طبقاً من النقانق وجد فيه شظايا زجاج[٢] ثم أوحوا إليه عبر الدسائس أن ولده الكسندر يقف خلف محاولة اغتياله وفعلوا مع الكسندر الشيء ذاته، ثم عمد أحد المتآمرين وهو باهلين إلى إقناع بولس بأنّ ولده الكسندر يودّ قتله وطلب منه توقيع أمر باعتقال الكسندر ففعل بولس، وهنا تجلّت خيوط المؤامرة عمد باهلين إلى نقل أمر الاعتقال الذي أصدره بولس إلى الابن الكسندر كي يؤمن أنّ والده ينوي قتله فوافق على عزل بولس الأول (الوالد)، لكن مخططات الروح اليهودية كانت شيئاً آخر، فإنها استقدمت ماسونيين أجانب هم باهلين وبينيخسين وهو مقرّب من أمشيل روتشيلد[٣] وريباس والدكتور روغير سون وغيرهم.

---

(١) ملوك اليهود، توسينيل.
(٢) السير روبرت غونينغ.
(٣) فير فيشر ص ١٧٠.

وأمّا الكسندر الأول فقد تعرّض لإساءات تاريخية وتشويه حول حقيقته ومبادئه بشكل فاق المعقول عقب الاتفاق المقدس الذي وقّعه في ٢٦ أيلول عام ١٨١٥ مع فرديريك وليم الثالث ملك بروسيا وفرنسيس الأول امبراطور النمسا والذي اسمي الحلف المقدس[١]، وعليه قامت الصحف لتسويد صورته وإلباسه لباس الرجعية والظلم علماً أنّ معاصريه وزائريه من كبار الساسة الغربيين تحدّثوا عن أخلاقياته وأدبه وإيمانه المسيحي العميق.

يقول الكسندر عن الحلف: «بعد هزائم لوتزبن وديزدن وبوتزين أيقنا أنه لولا مساعدة الله لنا لضاعت ألمانيا، فالحلف المقدس هو من عمل الرب وحثّ عليه المسيح نفسه»[٢]، لقد أفشل الحلف ضياع ألمانيا، ولكن ضياعها من قِبل مَن؟

«كان الكسندر رجلاً كريماً مستقيماً ورحيم القلب[٣] ولكن خطئه كان بمحاولته عن طريق الحلف المقدس جمع الكنيستين الكاثوليكيتين، وفي ذلك خطر على الروح اليهودية ولذا وجب تدميره.

في البدء تمّ نشر بدعة «المذهب المتهود» في روسيا، فانتشرت الهرطقة اليهودية بين الزراع والتجار وصغار الموظفين في القرى والمدن، وراح مبشرو العهد القديم يروّجون لضرورة العودة إلى دين الآباء، وخشيت سلطات القيصر من الفتنة فدفعت لردٍ قاس جاء فيه «انه يجب إدخال رؤساء المذهب المتهوّد ومعلميه في الخدمة العسكرية ومن لا يصلح للخدمة يتمّ طرده إلى سيبيريا»[٤] وتمّ استغلال ذلك على الفور من قِبل الروح اليهودية وقررت اغتياله.

---

(١) رابو بورت ص ٣٥٧.
(٢) رابو بورت ٣٥٨ نقلاً عن مطران بروسيا ايليرت.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تاريخ اليهود في روسيا ص ٣٩٠، دينو.

ولقد كان من عادات الكسندر زيارة الكنائس ودور العبادة لدى اليهود والمسلمين[1]، وذات يوم دعي إلى حفل في كنيس يهودي حيث تناول غداءه هناك، ولما عاد منه إلى تاغانروغ مرض مرضاً خطيراً[2]. وقتل مسموماً، ولإضاعة وسيلة القتل عمدت الروح اليهودية وعبر أبواقها إلى نشر دعايات كثيرة مغايرة للواقع حول مقتله، ومنها أنه ذهب إلى سيبيريا ليعيش هناك بقية حياته تحت اسم فيودور كوسميتش وقد صدّق بعض الروس ذلك، ولم تكن هذه الحادثة إلاّ مدخلاً لقتل ستة قياصرة آخرين بعده وإحداث الثورة داخل روسيا.

وأما نقولا الأول خليفة الكسندر فقد كتب في مذكراته بعد تولّيه العرش يقول: «لا يحتفظ البولنديون الأغنياء بأي ولاء لروسيا»[3] وكان يقصد اليهود وردّ ليونيل روتشيلد عبر صنيعته دزرائيلي بالقول: «لم تكن لأسرتي أية صداقة مع بطرسبرغ (مقر نقولا) لقد نظر القيصر بعدم ارتياح إلى تمثيلنا لمصالح البولنديين» ولم يقف خطأ نقولا الأول عند حدود مواجهته لليهود بل سعى إلى إقامة تعاون مطلق بين الروس وبريطانيا، وكان أن انتشرت في بريطانيا نداءات يهودية «روسيا الكبرى خطر على انكلترا» وردّ نقولا بذكاء وقوة «سأحارب من يعلن الحرب أولاً» وبذلك سحب البساط من أمام أقدام الروح اليهودية فقررت قتله، في البدء تمّ دفع نقولا الأول إلى حرب القرم عن طريق تقارير مضللة كان يرسلها إليه سفيراه في لندن وباريس، وما يؤكد ذلك الوثيقة التي بعث بها السير هاملتون سيمور السفير البريطاني في موسكو وجاء فيها «أبلغني القيصر أن على روسيا وبريطانيا التوصّل إلى اتفاق متقن لأن لبلدينا علاقات حميمة وصداقة»، وكانت خطة القيصر من حرب القرم إعطاء

---

(١) رابو بورت ص ٣٨٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) تاريخ روسيا ص ١٦١، برايلي.

صربيا وبلغاريا حكماً ذاتياً، وإعطاء مصر وكندا إلى بريطانيا، ولكن القيصر ما لبث أن قتل هو بالسم على يد طبيبه ماندت الذي يقول عنه دزرائيلي: «بأنه رجلٌ من غير مشاعر ولا يستطيع الشخص أن يقربه، والنساء عنده دمى والرجال آلات» ولم يكن دزرائيلي يقصد ماندت ولكن ليونيل روتشيلد بالذات (فذاك أسلوب الروح اليهودية) الذي يقف خلف ماندت.

كان من نتائج حرب القرم إضافة إلى ما سبق وأشرنا إليه سابقاً من الربح المالي لليهود، كان من نتائجها نشوء الجامعة الألمانية أي «الروح القومية لدى الألمان» وبدفع من اليهود أنفسهم والذين كانوا أساتذة في الجامعات الألمانية[1] وكان الهدف استغلال ذلك في سنوات قادمة، لقد أدّى قيام الروح القومية في ألمانيا إلى نشوء حربين عالميتين بسبب تلك القومية فهل نتحدث عن الأسباب في ظلّ معرفة المسبّب؟

في الوقت عينه وروسيا تشهد هذه الأحداث، كانت فرنسا تخضع أيضاً لمخاض جديد اسمه الثورة الفرنسية، وكانت الروح اليهودية أول من أقام تلك الثورة ولم يقعدها.

ولقد سببت الروح اليهودية لنابليون مشاكل وصعاباً ليس أقلّه ذرّ الخلاف مع البابا والمعارك العسكرية مع ملوك أوروبا، وكان الحظر الكنسي الذي فرضه عليه البابا في ١١ حزيران ١٨٠٩ «بسم الله العلي القدير نعلن أنك يا نابليون امبراطور فرنسا أنت وجميع محرّضيك استحقيتم جزاء الحرمان» قد أدّى إلى انقسام داخل المجتمع الفرنسي بين من يؤمن بالولاء لنابليون ومن يؤمن بالولاء للكنيسة، فلما قضي على نابليون الأول أحضر صنيعة الروح اليهودية والذي ولد في شارع كيروتي (لافاييت) في الغرفة رقم ١٧ في أحد فنادق اليهود وأطلق عليه لقب نابليون الثالث وكان ماسونياً كما أشرنا في

(١) دزرائيلي ص ٢١٧.

السياق، ويمكن العودة إلى أدواره التاريخية والعسكرية!

ولقد أدّت تسارعات الأحداث في أوروبا بعد ذلك إلى قيام الثورة الفرنسية، ويقول اللورد اكتون عنها: «لم تكن هناك ثورات فرنسية وروسية وألمانية بل ثورات يهودية في فرنسا وروسيا وألمانيا[١]، والمعنى واضح.

كما وأنّ غرانييه دوكاسانياك تساءل في كتابه[٢] «لم كلّفت الإصلاحات أربعة مليارات فرنك وخمسين ألفاً من الضحايا بينما كان لويس السادس عشر قد قدمها مجاناً؟» ويتساءل آخر «لم أريقت دماء كثيرة من أجل إقرار الميثاق؟ يقولون كراهية الشعب للطبقات المتميزة، إذاً لماذا كانت نسبة القتلى بين الارستقراطيين ٥٪ فقط؟

لقد كان مبدأ حقوق الإنسان الملهم للثورة مبدأ سامياً وينطلق من مطالب حقة لدى الشعب الفرنسي، ولكن هذا الشعب ما كان له في غمرة الأحداث حوله أن يقف وينظر، من هم قادة الثورة أتباع أمشيل روتشيلد، «لقد استطاعت الثورة الفرنسية صهر أفعال رجال احتلوا مراكز دائمة للتأثير على عوامل البناء الحضاري» ويتابع أنه «وبالرغم من الإرهاب فقد كانت الثورة خطوة جبّارة نحو تحرير الإنسان العادي من ملكه المسيحي»[٣] وبقدر ما كان للشعب الفرنسي من طموح فإنّ الروح اليهودية كانت تدير وتوجّه وتستغل الحركة الثورية لتطابق أهدافها وتطلعاتها «هل يأسف أحد للثورة الفرنسية؟ لقد سادت الحرية وتهدم النظام القديم وولدت فرنسا الجديدة»[٤].

يقول المؤرخ ميشليه إن «روبسبير لم يكن إلاّ محامياً صغيراً ضعيف البنية ويتمتع بذكاء متوسط وقدرات لا تذكر» هذا هو القائد فكيف؟

---

(١) محاضرات في الثورة الفرنسية، اللورد اكتون.
(٢) أسباب الثورة الفرنسية، غرانييه دوكاسانياك.
(٣) غ. غوش.
(٤) كلارينس دارو، شيكاغو.

وللجواب على هذا السؤال نعود إلى «تستطيع الماسونية أن تفتخر بأن الثورة الفرنسية هي من فعلها[1]».

ولتأكيد ذلك فإنّ المؤتمر الماسوني الذي انعقد عام ١٨٨٩ في محفل الشرق الأعظم أكّد حصول هذا الواقع»[2]، وعليه يمكن فهم سبب إعطاء القيادة لروبسبير فالماسونية الخاضعة للروح اليهودية كانت تعتقد فيه الضعف ولكن وطنية الرجل الدفينة أطلّت مرة واحدة حين قال: «إنني لا أثق بكل هؤلاء الأجانب (اليهود وعملائهم) الذين يغطون وجوههم بقناع الوطنية ويحاولون أن يظهروا اتجاهاتهم الجمهورية، أنهم عملاء للقوى الأجنبية(؟!) وهؤلاء يجب سحقهم بالرغم من فنهم الخادع وأقنعتهم التي يحرصون عليها» فكان أن كلّفته هذه الكلمات حياته.

ولقد أسرّ روبسبير إلى أمارا «هناك يد خفية تلعب بنا، ففي كل يوم تقرر لجنة الخلاص الشعبي فعل أمر قررت في يوم سابق ألا تفعله، وهناك مجموعة تتحرّك فيها لخرابها ولم نستطع بعد اكتشاف المحرّكين»[3].

لقد قال كاغليو سترو اليهودي في اعترافاته «إن الضربات الأولى ضد العروش الملكية يجب أن توجّه إلى فرنسا وبعد ذلك إلى روما» وإن عدنا إلى مؤتمر الأصدقاء المتحدين الماسوني نجد أن من أهم أعضائه: ميرابو وتاليران وشابي دي لا هيوز وهم القادة للجنة السرية الفرنسية والتي دعت إلى المؤتمر الماسوني العالمي الذي عقد في ١٥ شباط ١٧٨٥ وكان بين الحضور، كاغليوسترو، وسان مارتن وتاليران وبمعنى أوضح فإنّ العودة إلى أدوار هؤلاء إبان الثورة الفرنسية وعمليات التوجيه التي قاموا بها في مسارها يوضح

---

(١) سيكار دو بلوزول ١٩١٣ ولويس بلانك في كتاب تاريخ الثورة الفرنسية.
(٢) الماسونيان امايل وكولفافرو.
(٣) مرآة الحقيقة ص ٦٠.

بعض الجلاء عن غوامض الأحداث المتسارعة داخل الثورة وعمليات القتل والتصفية.

لقد خلقت الثورة الفرنسية في عظمة أهداف شعبها مثلاً يحتذى للشعوب المطالبة بالحرية والعدل والمساواة، ولكن خباثة الروح اليهودية جعلت من هذه المثل مجرّد غطاء لتنفيذ أهدافها، متلاعبة بمصير الشعوب السامية نحو الأسمى والأفضل للوجود البشري، «انهم ضحوا بالحرية ولم يحققوا المساواة، استبدلوا حكم الملك بحكم الجمعية المطلق ولكن الجمعية نفسها رهن إشارة الامبراطور اليهودي السري، ولم يكن الهجوم على الكنيسة خطأً فادحاً لا حاجة له، وإنما كان هدفاً أساسياً لكل ثورة فالثورة إحدى وسائل اليهود لتحطيم العالم المسيحي»[1]، ذلك كان مصير روسيا ومصير فرنسا، فما هو مصير انكلترا يا ترى؟!

أشرنا في السياق إلى سيطرة الماسونية على رأس الهرم في القيادة البريطانية أي الملك منذ القدم إلاّ أن الظهور الفعلي كان عام ٨٣٣م على يد وليم الفاتح وابنه وليم روفس[2]، وتقول أسطورة يهودية إنّ جدالاً وقع بين الأساقفة والحاخاميين فأقسم وليم روفس أن يصبح يهودياً إذا فاز الحاخاميّون(!!) ثم زاد على ذلك فوهبهم كراسي ثلاث أبرشيات(!!) وسمح لهم بتدريس العبرانية في ثلاث كليات في جامعة أكسفورد[3] ولكن الشعب البريطاني ما لبث أن تذمّر من وجود اليهود بسبب ازدياد ثرواتهم وقيامهم بالتلاعب في أوزان الذهب والفضة المصاغة، وثار الشعب عليهم غير أن موقف ريتشارد قلب الأسد أوقف الأذى لبعض الوقت من خلال حمايته لليهود، إلاّ أنه ما إن عاد من الغزوة الصليبية الثالثة حتى حارب اليهود محاربة

---

(١) اكتون.

(٢) تاريخ الإسرائيليين ص ٦١٦، شاهين مكاريوس.

(٣) المصدر السابق.

شديدة وأمر بحبسهم ونهب أملاكهم[1] لما فعلوه إبان غيبته على الرغم من أنه كان ماسونياً.

وأما في عهد كرومويل فقد كان الوضع قد أصبح مهيئاً لنمو فكرة الدولة الإسرائيلية وقد تأتى للروح اليهودية إبان هذه العثرة بين ريتشارد قلب الأسد وكرومويل إبعاد الروح المسيحية الملهمة ودفع الارتباط الديني والخلقي إلى النمط الأدنى على نحو ارتدادي باتجاه العقل اليهودي مما سمح لكرومويل ومن منطلق حاجته إلى المال اليهودي إصدار تشريع يساعد على عودة اليهود بقوة إلى بريطانيا وراحت الروح اليهودية تعمل على تغذية ونشر فكرة العودة إلى فلسطين مستغلة في ذلك ما لديها من طروحات تظهر فيها حرصها على الدفاع عن المصالح البريطانية «نحن نرى من وجهة النظر البريطانية أن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين يدين لنا هو كسب ثمين للدفاع عن قناة السويس» لقد طور اليهود عبر التعبئة الإعلامية هذا المبدأ من منطلق الولاء المزدوج «الذي روّجت له اليهودية كثيراً حتى غلب على استراتيجية التوجّه لدى القادة البريطانيين كمبدأ ثابت لهؤلاء في القيادة السياسية البريطانية، إذا أتيح لنا في حياتنا أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن معاً، تقوم تحت «حماية التاج البريطاني» فإننا سوف نشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المطامح الحيوية للامبراطورية البريطانية»[2].

يقول التاريخ الإنكليزي عن دزرائيلي أنه «نهض بإنكلترا إلى أرقى المراكز رفعة»، وهو قول فاسد يدلّ على مدى سيطرة الروح اليهودية على التوجّه الإعلامي والتوجيه السياسي في الإدارة البريطانية، فالرجل لم يكن إلاّ صيغة آل روتشيلد مع رئيس الوزارة ديربي «ما من عمل في التاريخ الإنكليزي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ونستون تشرشل في مذكراته.

أروع من عمل دزرئيلي، وما من عمل لفّه الغموض وحجبه كعمله»[1] وذلك الغموض مردّه إلى ارتباط دزرائيلي بالماسونية العالمية التي كانت توجّهه عن طريق ناثان روتشيلد ليحقق المكاسب المرجوة منه.

استقرّ بنجامين دزرائيلي الجد في بريطانيا عام ١٧٤٨ متزوجاً من يهودية «عاشت حتى الثمانين دون تعبير حب» بحسب قول دزرائيلي الحفيد وهو اعتراف عن خلفية الطموح وحقيقته لدى هذه العائلة، وأما إسحاق دزرائيلي الأب فقد التحق بالنورانية اليهودية باكراً وعمل مع أمشيل روتشيلد في المحافل الماسونية حيث صرّح ابنه «لقد عاش والدي مع العلماء» وأما اللورد بيكسفيلد أي دزرائيلي فقد ولد يهودياً عام ١٨٠٥ ولكنه عمد كمسيحي عام ١٨١٧، لأنه لم يكن مسموحاً ليهودي تولّي عضوية البرلمان في ذلك الوقت، وكان الرجل مداهناً متزلفاً فراح يتسلّق السلم بثبات يدفعه ناثان روتشيلد و«أن سرّ الدور العظيم الذي قام به دزرئيلي يكمن في موهبة هذا اليهودي بحبّ أربع نساء في وقتٍ واحد مجموع أعمارهن ٣٠٠ سنة»[2] ونستطيع التأكيد أن هؤلاء النسوة العجائز لم يكن وحدهن سبب صعود نجمه فبالإضافة إليهن وإلى ناثان روتشيلد كانت الملكة فيكتوريا محطّ اهتمام الرجل «ما من أحد من وزراء الملكة من استطاع أن يعبّر لها عن إعجابه وحبّه كما استطاع دزرائيلي»[3] فالرجل لم يكن يعرف الحياء ويقوم بدوره باتقان حتى أنه حين استلامه أحد كتبها الهزيلة قال متملّقاً: «ان لا مثيل له إلاّ في الإنجيل ودانتي وشكسبير»، لقد عمد دزرائيلي وناثان إلى نشر الدعوة إلى القومية البريطانية لا عن حبّ ووطنية ولكن بهدف دفع بريطانيا إلى الحرب مع فرنسا ومع روسيا «إن روسيا العظيمة خطر على بريطانيا العظمى».

---

(١) الدايلي نيوز ٧ حزيران ١٩٢٠.
(٢) حياة دزرائيلي، بوكل.
(٣) المصدر السابق.

ولتأكيد ذلك نعود قليلاً إلى الوراء، فعندما غزا نابليون ألمانيا دفع وليم التاسع (أصبح لقب الأول لاحقاً) مبلغ ثلاثة ملايين جنيه إلى أمشيل روتشيلد، وفي تلك الفترة عينها كان لدى شركة الهند مبلغ أربعة ملايين جينه ذهبي فاشتراها ناثان روتشيلد وخزّنها في خزائنه، وعندما أراد دوق ولنغتون تمويل الجيش البريطاني المؤلف من المتطوعين لحرب نابليون لم تستطع الحكومة البريطانية تلبية طلبه ولجأت مع ولنغتون إلى الاقتراض من ناثان لتمويل تلك الحملة ويمكن هنا فهم أسباب دفع بريطانيا ونابليون لحرب بعضيهما بعضاً، لقد عمد ناثان إلى القيام بلعبة ذكية تنمّ عن مقدرته ودهائه، لقد حوّل ذهبه إلى البرتغال بعد الاتفاق مع ولنغتون على ذلك وهناك دفع المال إليه أوراقاً نقدية فيما أخذ من الحكومة البريطانية في لندن القرض وبالذهب، وكان ربحه ١٠٠٪ عدا ما فعله إبان معركة واترلو لاحقاً.

ولم يكتف ناثان وبوجود دزرائيلي بذلك بل أنه تمكن من وضع يده على بنك انكلترا عن طريق مصارف الاصدار (التسليف) بحيث أن ملك فرنسا بعث وزير ماليته إلى ناثان.

ولنعد إلى ناثان، الذي قبض كما ذكرنا قرضه بالعملة الذهبية وعندما طلب منه بنك انكلترا إعادة الذهب أعاد إليهم بدلاً من ذلك أوراقاً نقدية فرفض البنك استلامها.

في اليوم التالي دفع ناثان عملاءه كل على حدة وراح هؤلاء يستبدلون الأوراق النقدية الإنكليزية بقيمتها ذهباً حتى كاد بنك انكلترا يصل إلى الإفلاس فأذعن مديروه عندها لرغبات ناثان ولم تتم استعادة الذهب.

ولم يكن ناثان يخشى أحداً، فصنيعته دزرائيلي ورئيس وزرائه مجرّد لعبة ولذا فإنّ شعار القومية البريطانية لم يكن يهدف سوى إلى الحرب والحرب فقط لأنّ عوائد ناثان روتشيلد وأشقائه تزداد فقط عند ازدياد الحروب.

ولنز.

عندما قام الملك شارل العاشر ملك فرنسا الملقّب بالقديس لقوة إيمانه المسيحي ومحبة المسيحيين في فرنسا وبريطانيا على حدّ سواء له، عندما قام بزيارة إلى بريطانيا مع زوجته وأثناء الاحتفال بالبلاط الملكي بقدومه دفع جيمز روتشيلد القيمين على الاحتفال لإدخال زوجته بين أعضاء الحاشية الملكية، ولكن دوقة انجولم أجابت وبحدة «يجب أن لا ننسى أن ملك فرنسا أكثر الملوك مسيحية، وهذا يعني أنه طالما وصف ربنا اليهود بالشياطين وقتلة البشر، فعلينا أن نتجنبهم»، وكان هذا ما يدبّره جيمز تماماً إذ اندفعت الأبواق الصحفية تهاجم ملك فرنسا حتى ضاق بهم فردّت الصحافة الفرنسية الكيل، وتمّ إحداث الشرخ، وكان تعيين ويلنغتون المعادي لفرنسا وصنيعة آل روتشيلد خاتمة الأثافي وبدأت المؤامرة لإسقاط ملك فرنسا وتعيين دوق أولينز ملكاً وهذا الأخير لم يكن إلاّ صدراً أعظم لمحفل الشرق الماسوني وأحد الأعضاء الذين نفذوا قتل لويس السادس عشر[1].

وفي سنة ١٨٣٦ ورث ليونيل روتشيلد امبراطورية أباه ناثان، وحول بريطانيا إلى مقرّ أساسي لقروض الملوك والدول، وحدّد التعامل بالاسترليني وزاد من زمن التسديد لتشجيع الربا مع زيادة الفائدة بالطبع، وسرعان ما أصبح الوكيل المالي لمعظم الدول القائمة حينها، ولقد اندفع ليونيل ليخوض غمار السياسة فانتخب ممثلاً لمدينة لندن سنة ١٨٤٧ ثم صدر قانون ١٨٥٨ الذي يسمح لليهود بالحصول على مقاعد في مجلس العموم فكان ليونيل أول من شغل ذلك المنصب، وكان من أبرز أعماله دفع مبلغ خمسة ملايين فرنك لألمانيا على أثر انتهاء الحرب الفرنسية البروسية وقدم خمسة ملايين جينه استرليني للحكومة البريطانية كي تشتري أسهم شركة قناة السويس، ثم أقرض

(١) حكومة العالم ص ١٩٨.

الحكومة المصرية مليون جينه، ولنا أن نفكّر وبعمق مدى ما حققه من فوائد عن مثل هذه القروض سياسياً ومالياً.

كان من نتائج القرض الفرنسي عقب الحرب الفرنسية البروسية أن حاول القادة الفرنسيون الخروج من نير آل روتشيلد، وعليه تمّ افتتاح مصرف الاتحاد العام الفرنسي برأسمال أربعة ملايين فرنك رفعت إلى خمسة وعشرين مليون فرنك عام ١٨٧٨، ولكن هذا المصرف فشل وألحق الدمار بأسر فرنسية عريقة وقادة فرنسيين آخرين وأما سبب فشل المصرف فمعروفة، والمواجهة مع آل روتشيلد وإقامة نظام مالي بديل «حرّك الروح اليهودية وجاء ردّها قاسياً «إن عاقبة محاولة إقامة منافس كاثوليكي لآل روتشيلد عجيبة... فالآخرون (روتشيلد) هم الآن سدنة ثروة البابوية»[1].

في هذه الأثناء، وفي القاطع الثاني من المحيط، كانت أحداث أخرى ترسم هناك، في البلاد الجديدة، أميركا، أحداث قدر لها أن تهيمن على مصير البشرية، في ظلّ الإنهاك الاقتصادي والعسكري لدول أوروبا المثخنة في الجراح عقب حربين عالميتين وحروب أخرى أقل منها ضراوة غير أنها تحمل نفس المواصفات من القتل والإنهاك للشعوب.

لقد كان احتلال أميركا لمركز الإدارة العالمية حدثاً مثيراً فللمرة الأولى ينتقل ثقل القرار خارج أوروبا، والامبراطورية العجوز بريطانيا تخلع أسنان مستعمراتها واحداً واحداً مفسحة الطريق أمام القوة الفتية الجديدة، وهكذا لم يتحقق حلم تشرشل ولا تطلع سواه من القادة الإنكليز وبدا للتاريخ على الأقل قصر نظرهم السياسي بما يتعلّق باحتواء اليهود واستغلال وجودهم للحفاظ على مصالح بريطانيا الاستعمارية، لأنّ العكس تماماً قد حصل، وأضحت بريطانيا جاهدة الحفاظ على مصالح اليهود ليس في فلسطين وحدها وإنما في

---

(١) الأخوة الزائفة، ص ٦٢، جاك تني.

العالم كله وبالأخص في العالم الجديد، الذي تطلّعت إليه الروح اليهودية كي تستكمل تحقيق الهدف و«ليرث شعوباً أكبر وأعظم منه»[1]!

ولدى مراجعتنا لحركة التاريخ الأوروبي من منطلق ما مرّ معنا نجد أنّ هناك ثوابت عامة أسهمت في إيصال الدول الأوروبية وشعوبها من خلال التلاعب المالي وشراء الذمم الذي قامت به الروح اليهودية من جهة، وتهيئة الأجواء النفسية المشحونة، لإنضاج مراحل الصدام اللاحقة من جهة ثانية، ولقد أقدم اليهودي دزرائيلي على تحريك القومية البريطانية وأشعرها بالفوقية على الأمم الأخرى، وهي نظرية يهودية في صلب التعامل البشري، كما وأن بسمارك (اليهودي عن طريق والدته لويزا منكين)[2] دفع القومية الألمانية إلى حلبة الصراع والمواجهة من دون أن ننسى أن هذا التصرّف الألماني والبريطاني دفع بالشعوب الأخرى لإبراز قوميتها أيضاً في غمرة التعالي السائدة بين الشعوب، وأطلّت قومية الصرب والبلغار والروس بحيث أصبحت أوروبا أشبه ببرميل بارود ينتظر شرارة صغيرة كي ينفجر، ان مسألة خلق القومية لدى الأمم هي المسبب الأول للحروب، فالشعوب من خلال إحساسها برفعة قوميتها هي أشبه بالأتون يفيض فيحرق نفسه ومن حوله، وكذلك الأمر بالنسبة للحدث العسكري، إذ أن المنتصر أو المهزوم على حدّ سواء تتكون لديه المشاعر إما بالاستعلاء أو بالقهر وفي الحالتين يحاول كل منهما تنفيس الاحتقان بالعودة للحرب، الأول للحصول على مزيد من المكاسب والمجد بنظره، والثاني لرفع العار، وهكذا رأينا كيف أنّ دعم آل روتشيلد المالي لليابان في حربها مع روسيا (١٩٠٥) وانتصار اليابان فيها، أوجد ردّ فعل عنيفاً لدى شعبي البلدين.

فالشعب الياباني، بات يؤمن بقوته العسكرية المتفوقة ودوره في احتواء

---

(١) سفر التثنية: إصحاح ١١.

(٢) جويش تريبيون ٩ كانون الثاني ١٩٢٥.

من حوله، وتلك كانت مقدمة (نفسية على الأقل) للحرب اليابانية ضد جيرانها وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية التي استعدّ لها اليابانيون طويلاً عبر غزوهم منشوريا ثم التوسّع لاحقاً.

وأما هزيمة الروس فقد خلقت أجواء قهر لدى الشعب الروسي الذي راح يتساءل عن الكيفية التي سقط بها جيشه الكبير الذي أسسه بطرس الأكبر، وكانت ردّة فعله ثورة فاشلة أول الأمر، ومحاولة جاهدة من الاسكندر لدخول الحرب العالمية الأولى بهدف إعادة صورة القوة للجيش، وكان ذلك كلّه (التعبئة النفسية) مقدمة للثورة الشيوعية واستلام السلطة.

وعليه ومن خلال العودة لأصل الحروب نجد أن الروح اليهودية كانت تقف خلفها بسريّة يصعب حتى على القادة أحياناً رغم عمالتهم لها معرفة خططها «ان... نحن في تنظيم من الأخوان من كل أنحاء المعمورة، رغائبنا ومصالحنا مشتركة(!!) نهدف إلى تحرير الإنسانية(؟!) بيد أن هناك شيئاً بالكاد نشعر به(!) ويثقل كاهلنا، من أين أتى؟ وأين هو؟ لا أحد يعرف أو على الأقل يخبرنا، فالتنظيم سريّ حتى بالنسبة إلينا نحن العريقين في الجمعيات السرية[1].

إنّ مسألة إثارة الخلاف بين الشعوب أمرٌ يسهل إيجاده وبالأخص إن كانت قيادة هذه الشعوب لا تدرك عواقب ما تفعل أو تصمت عن جبن «ان الهوة التي فصلت أوروبا الغربية في القرن التاسع عشر حفرتها كراهية اليهود وسلطتهم المالية كأكبر قوة تضليل»[2]، التضليل الذي مورس على مستويات عدّة سياسية وإعلامية، حتى أن دزرائيلي اعترف مرة «ان اليهود دفعوا الأتراك ليقوموا بمذابح ضد المسيحية بهدف إثارة روسيا»[3] وهو ما حصل بالفعل

(١) رسالة من ماليفاري إلى الدكتور بريدنستين.
(٢) ويكهام سيتر.
(٣) دزرائيلي، كتاب تنظيم الرودتشيلديين.

ولما ردّت روسيا المهينة أصلاً عبر التعبئة النفسية لدى شعبها، تحرّكت بريطانيا وفرنسا تحت ستار الحفاظ على مصالح تركيا أو التوازن القائم فقد كان من السهل خلق صورة زائفة من الخداع والتضليل للشعوب التي لم تكن تملك إمكانيات الرؤية الواضحة لحقيقة التوجه العسكري لدى قادتها في غمرة خضوعها للمشاعر الفوقية المتوثبة التي تمّ إيقاظها لخلق امبراطوريات متصارعة تدّعي كل منها تطوراً في الفكر والمقدرة العسكرية والتفوّق العنصري وغدا ذلك سمة للحضارة ينادى به دون خجل «لا بد من اجتياح عظيم في افريقيا يشبه ما كان يفعله الفرنجة وما كان يفعله القوط»[1] وكان أن حلّت العدوانية محل الفكر دون أن تواجه برفضٍ داخل الذات للفرد الأوروبي والذي اعتبر العدوانية سمة من سيماء النبوغ والقوة «استولينا على الملكيات الخاصة دون أدنى تعويض، وأكرهنا مالكين على دفع نفقات هدم منازلهم ونفقات هدم الجوامع قتلنا أُناساً يحملون منّا تصاريح أمان(!) وذبحنا لمجرّد الشك سكاناً بأكملهم تبين في ما بعد أنهم أبرياء، وقدمنا إلى المحاكمة رجالاً يشتهرون بأنهم قديسون في البلاد»[2].

لقد خضع العقل الأوروبي في تلك المرحلة إلى ما يشبه الانحراف عن المعنى الحقيقي والفعلي للكلمة، فالحرية والمساواة والاخاء لم تكن في واقعها إلاّ حريته ضمن دولته، ومساواته ضمن امبراطوريته، واخاءه لأبناء عرقه، شعارات كانت الروح اليهودية تنفثها وقادة تلك الدول للحصول على مكاسب جديدة من العوالم الجديدة تحت حجة نشر هذه المبادىء بين الأقوام المتأخرة الهمجية، وكانت غزوات الرق والاستعباد أول بوادر الحرية التي تغنت بها تلك الشعوب، وبإيضاح أشد نسأل، كيف تقبلت الشعوب الأوروبية المنادية بالحرية والمساواة والاخاء مسألة حرب الأفيون بين الصين وبريطانيا

---

(١) الماريشال ليوتي، مجلس النواب ١٤ أيار ١٨٤٠.

(٢) من أجل حوار بين الحضارات ص ٦١، روجيه غارودي.

وفرنسا معاً؟ عام ١٨٤٠ وعام ١٨٤٤؟ وكيف أمكن لشعب يؤمن فعلاً بما ينادي به من شعارات أن يقف مهللاً لانتصار بريطانيا في الصين وفرضه على الشعب الصيني بأكمله تعاطي الأفيون كي يزيد من العائدات التجارية للمملكة البريطانية المتحدة؟ وفرنسا والثورة التي قامت فيها تحت ظلّ تلك الشعارات البرّاقة يصل بها الأمر أن تفرض وبالقوة العسكرية على الشعب الهندو ـ صيني تعاطي المخدرات والكحول بنسبة ٧ ليتر إلزامي لكل فرد[١]؟ ذلك هو السؤال وجوابه بسيط: الروح اليهودية.

«الحرية والتحرر والديمقراطية مبادىء فاتنة وتعابير جذّابة، ولكنه مع اليهودي ليس إلاّ خرافة يشعر معها أن الأممي مفتون بها، واستعمالها يجعل الأمميين مهادنين، وكلما هادن الأمميون اقترب تحقيق العهد»[٢].

فالروح اليهودية ومن منطلق العجز العسكري عملت على تقويض بنية أعدائها الأمميين عبر تفتيتها مادياً ومعنوياً وسياسياً ومن ثم عسكرياً بضربها مع بعضها البعض لأنّ حالة الحرب «هي عمل من أعمال العنف يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إرادة عدوه» وطالما أن هذا الخصم يقوم بتنفيذ المبتغى منه فلا فرق من ناتج المعركة طالما أن هذا الناتج سوف يتم استغلاله لاحقاً لإعادة كرّة المسبحة من جديد، عبر ترتيب الوسائل وإعدادها وتحريكها بأمزجة معينة من مثال «قيام الداي الجزائري بصفع القنصل الفرنسي ديغال بمروحة على وجهه» مما أثار الشعب الفرنسي وساهم في تقبل مبدأ احتلال الجزائر من قبل القوات الفرنسية.

فالهجوم الفرنسي على الجزائر لم يكن وليد هذه الحادثة قطعاً إنما لوجود عدّة عوامل أهمها النزعة الاستعمارية الفرنسية السائدة لدى قادة هذه الدولة من جهة، وخلق حالة توازن عسكري مع الاحتلالات البريطانية للهند

(١) المصدر السابق.

(٢) الأخوة الزائفة ص ٥٧، جاك تني عضو مجلس الشيوخ الأميركي.

ومصر من جهة ثانية، ثم إنهاض القومية الفرنسية بصورة جلية موازية لنهوض القوميتين البروسية والإنكليزية السكسونية، ولو عدنا لأصل حادثة الصفع لوجدنا أن سلطان الجزائر بوسناش والغارق في الديون خضع لابتزاز أمشيل روتشيلد في مسألة تعيين الداي ثم ما ما لبث أن ضيق عليه السبيل فأثاره وكان منه ما كان من مسألة صفع القنصل الفرنسي[1].

ولقد أدّت هذه الحادثة مع ما لحق بها من تضخيم وتشويه إلى إيجاد حالة نفسية معينة مؤيدة لمبدأ احتلال الجزائر «لرفع الإهانة»، ولنا أن نتصور العكس تماماً أي موقف الشعب الفرنسي (المؤيد لمبدأ الحرية) والذي كان ولا بد في حال عدم وجود البواعث المذكورة، سوف يقف في حالة رفض أو أقله عدم قبول لاحتلال الجزائر ولو بالمعارضة الشكلية من حيث المبدأ ولنأخذ بعض الصور للدلالة من مجلس النواب الفرنسي.

- يسأل السيد كميل ييللوتان «ما هي تلك الحضارة التي نفرضها بطلقات المدفع.

- جول ڤيري: إليكم أيها السادة القضية، إنني لا أتردد في القول بأنها ليست سياسة تلك ولا هي تاريخ، انها ميتافيزيقيا سياسية، أيها السادة يجب أن نتكلم بصوت أعلى، يجب أن نقولها صراحة حقيقة أن للأجناس الأرقى حقّ بإزاء الأجناس الأدنى(!!).

- السيد جول مينيو «أتجرؤون على أن تقولوا هذا في البلد التي أعلنت فيه حقوق الإنسان.

- السيد دي غوتييه: هذا هو تبرير الاستعباد والإتجار بالعبيد.

- جول ڤيري: إذا كان السيد المحترم مينو على حق، إذا كان إعلان

---

(١) حكومة العالم ص ١٩٨.

حقوق الإنسان كان من أجل سود إفريقيا إذاً بأيّ حق تذهبون لفرض التبادل والإتجار المحرّم عليهم؟ إنهم لا يدْعونكم»[1].

فالتطرف القومي الذي ألهب المشاعر وولد الحروب في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر لم يكن إلاّ وليد عمل الروح اليهودية عن طريق السياسيين الخاضعين لها والقادة السائرين في فلكها لأنّ عوائد الحروب في ظلْ سيطرتها المالية تنتج فائدتين على الأقل مالية! وبشرية تتمثّل في إبادة الأمميين بعضهم لبعض، «سكان عالم الحياة الفانية هم وثنيون ومكتوب عنهم ليبادوا عن وجه الأرض... لأنهم إذا استمروا في الحياة، فإنّ أمل تحرير اليهود من الأسر الرابع يصبح عقيماً»[2]!

---

(١) من أجل حوار بين الحضارات ص ٥٦، روجيه غارودي.
(٢) زوهار أ ٢٥.

القسم الخامس

العصر الحديث
إكتمال السيطرة اليهودية

عندما يقوم الإعلام بتوجيه العقول البشرية بشكل مغاير للحقائق، من دون أن يترك خلفه ثغرات تظهر التضليل الممارس، فإنّ تأثير هذا الإعلام يصعب حصر نتائجه على مسألة تطويع الجماهير ضمن التوجّه المراد لها أن تسير خلاله.

ولما كان الإعلام مثاله مثال الملكيات الأخرى فإنه يخضع لمبدأ رأس المال ومن يملك رأس المال يملك سيف التضليل على مستوى القيادة أو القاعدة لا فرق إذ أن الكلمة المسموعة والمقروءة تصبح كالنصل الذي ينغرس في العقل البشري رويداً رويداً حتى يصعب الفكاك منه دون تدمير العقل نفسه.

إنّ محطات الإذاعة وشبكات التلفزة والصحف والمجلات والكتب والنشرات الدورية والأفلام السينمائية مما حفل بها هذا القرن تتولى توجيه العقول في عملية تسييس مبرمج، فكيف وهذه الإعلاميات في معظمها تخضع للروح اليهودية بطريقة أو بأخرى، وما هو الأثر الذي تتركه والانطباعات والتوجيه؟ «إنّ البنية الفكرية الكونية بنية مؤسسية تفرض نظرية الحقائق والقيم ولما كانت النظرية هي التي تخلق الوقائع والوقائع هي التي تثبت النظرية،

لذلك فإنّ الالتزام بالنظرية أمر جوهري»[1].

ولقد بات من الصعب في غمرة النفاق الإعلامي والتزوير النفعي للتاريخ، معرفة أصل الحقيقة في ظلّ سنوات وسنوات من التضليل الذي بلغ حدّ الكمال هذا إن اعتبرنا أن للنفاق كمالاً، لقد تحوّل رأس المال اليهودي نحو منحى موازٍ تماماً للسيطرة على القيادات السياسية والعسكرية للدول، وباتت السيطرة على عقول الناس وعواطفهم وقراراتهم تشكّل هدفاً أساسياً للروح يساعدها في تدعيم مسارها السابق في السيطرة «إذا أمكن إقناع البشرية أن الشر خير والخير شرّ وأن العبودية استقلال فلن يرغب أحد بعد اليوم أن يكون خيّراً»[2] إذ أن الملكات العقلية له تكون خاضعة تلقائياً لمبدأ الإقناع الذي لقن له أو انتقل إليه عبر السمع والبصر أو رمّز له أو زيّن ضمن إثارة مشاعره الخاصة من مثال ما أعلنه الرئيس الأميركي ولسون في السادس من إبريل عام ١٩١٧ ومن على منبر مجلس الشيوخ عند إعلان دخول إميركا الحرب ضد ألمانيا، قال ولسون: «إنّ السلام الدائم لا بدّ أن يكونَ سلاماً بدون انتصار وأنها حربٌ لإنهاء الحرب»، لقد صفق الشيوخ طويلاً ولكن الزمن وقف يهزء بالجميع إذ لم تنقضي إلاّ سنواتٌ قليلة حتى عادت الحرب العالمية الثانية، وبضراوة أشد، فأي سلامٍ للسلام، وأي حرب تنهي الحرب؟، بلغ التضليل مداه، وراحت الروح اليهودية تقطف الثمار، وفي البلاد أو العالم الجديد كما كان يطلق عليه.

عندما حققت الروح اليهودية أهدافها في البلاد الأوروبية وأرست دعائم أسس تعاملها مع القادة والساسة في تلك البلاد لأمد طويل، شهد العالم ولادة العصر «الكولونيالي» المتمثّل في سيطرة البيض على أميركا، وراح المهيمنون على هذا النظام الجديد وبعبقرية مرعبة «يمارسون بفعالية تامة

---

(١) عندما تغير العالم ص ٤٣٢، جيمس بيرك.

(٢) الأخوة الزائفة ص ١٣، جاك تني.

تضليل الأغلبية البيضاء[1] للقضاء على السكان الأصليين، لقد كانت أرضاً جديدة وشعباً جديداً اختلطت فيه الأعراف في تمازج متنافر غريب تجمعها المصالح المتنوعة، ولم يلبث اليهود أن فطنوا إلى أن «أميركا أرض العبودية(!!) وشعبها لا يلبث أن يثور على كل جهود الأخلاقيين»[2]. وسكانها ليسوا إلاّ مجموعات مختلفة الأعراف فرّت من بلادها لأسباب شتّى، بعضها ديني وبعضها سياسي وبعضها عرقي وآخرون من الحثالة أو اللصوص أو معدومي الحال والأرزاق في بلادهم، بوريتانيون وألمان واسكتلنديون وإيرلنديون كوّنوا عبر صراع طويل الأمة الأميركية، والتي سرعان ما نشب القتال بينها وبين بريطانيا المستعمرة عقب تحوّلها إلى امبراطورية قارية بعد انتهاء حرب السبع سنوات ومؤتمر باريس عام ١٧٦٣.

لم تكن الروح اليهودية قد استنزفت بريطانيا بعد، إلاّ أنه وبدءاً من أواسط القرن التاسع عشر تركزت قوتها المالية والسياسية والعسكرية في العالم الجديد بعد استشعار قدراته وما يمكن أن يحققه لها «إن اليهود لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على بريطانيا في تسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين»[3].

ولقد بدأ التدخل اليهودي في السياسة الأميركية باكراً، وفي عام ١٨٦٢ رست سفن حربية إنكليزية وفرنسية وإسبانية أثناء قضية الباما، وأقدم القائد الفرنسي بازين على احتلال عاصمة المكسيك عام ١٨٦٣ لدعم ماكسيميليان والذي قدّم له آل روتشيلد مبلغاً كبيراً من المال عن طريق مصرفهم في لندن، ونتيجة لهذا الدعم وجد الجيش الكونفدرالي الأميركي نفسه في موقف صعب وكادت الولايات المتحدة المكونة من ٣٤ ولاية تشهد انهياراً بعد أن تحوّل

---

(١) نيويورك تايمز ١٩٧٢.

(٢) الرابي ستيزر ١٨ تموز ١٩٢١، نيويورك.

(٣) الخطة الأميركية للسيطرة على العالم ص ١٢١، نقلاً عن بن غوريون.

الكونفدراليون إلى قوة نتيجة الدعم الذي قدمته لهم بريطانيا في ذلك الوقت.

ولقد كان الانفصاليون في الحرب الأهلية على اتصال وثيق بآل روتشيلد الذين كانوا يعملون على تأجيجها عبر صلاتهم بكافة الأفرقاء المتصارعين «رحّب اللورد ناثان روتشيلد بالسيد داڤيدسون وقدمه للبارون جيمز روتشيلد القادم من باريس لهذا الاجتماع»، ومما قاله جيمز: «يهتم الامبراطور نابليون (الثالث) اهتماماً كبيراً بالمشروع المكسيكي وصلاتنا به وبحكومته حميمة(!!) حتى أنني أجد ضرورة في حضورها معنا لأنّ من المؤكد(!) أن تلعب أحداث المكسيك دوراً ليس بالصغير في أحداث السنة القادمة(!!) التي ستشهد صنع القروض الوطنية»[1].

لقد كان هدف جيمز روتشيلد إثارة الحروب وكسب المال من الأطراف المتحاربة وإفقار العالم الجديد للسيطرة عليه لاحقاً «وجاءنا داڤيدسون (يتابع جيمز) من المكسيك حاملاً اقتراحاً من الحزب الديني يطلب قرضاً مقداره ماية وخمسة وعشرون ألف فرنك معطياً كضمان أكثر ممتلكات الكنيسة هناك بلا فائدة» ويتابع جميز كلامه ان الأب فيشر هو «عبراني(!!) ألماني، نحيل الملامح بملابس اليسوعيين»[2] وهنا تتضح كيفية مخططات الروح اليهودية، فالأب فيشر يهودي متزيّ أو بالأحرى منتسب إلى سلك الرهبنة اليسوعية مؤدياً دوره، منتظراً الوقت اللازم للاستيلاء على أملاك الكنيسة لحساب آل روتشيلد، وكان السفير الفرنسي حاضراً الاجتماع ثم علّق قائلاً: «سيشهد العالم قريباً انقسام جمهورية الغرب العظيمة إلى شطرين فيتحالف جناحها الجنوبي مع مملكة مجاورة (فرنسا) ويخرج جناحها الشمالي من الفوضى

(١) خطوة الامبراطور السرية ص ١٧، ميسرفي.
(٢) المصدر السابق ص ٢٠.

ليدخل دكتاتورية عسكرية»، وما هي إلاّ أيام حتى كانت الحرب بين الشمال والجنوب الأميركي، فماذا حصل؟

في ١٧ تموز ١٨٦١ أصدر الكونغرس سندات بقيمة خمسين مليون دولار بدون فوائد بهدف دفع رواتب جنوده، وتداول الناس هذه السندات بقيمة متكافئة مع الذهب، ثم تقدمت المصارف الأميركية في ظل إيعاز من آل روتشيلد بقرض قيمته ماية وخمسون مليون دولار للحكومة التي ما إن سحبت بعضه حتى أفلست المصارف وتوقفت عن دفع بقية القرض، وهنا تدخل آل روتشيلد في اللعبة طالبين فائدة قدرها ٣٣٪ على شكل حسومات من العملة الحكومية، غير أن الحكومة الأميركية أصدرت تشريعاً جديداً سمح بإصدار ماية وخمسين مليون دولار لتغطية العجز. وكان ردّ فعل آل روتشيلد سريعاً، إذ عمد الشيخ بيتيغرو إلى إصدار «النشرة السريعة» والتي أرسلها بنك إنكلترا التابع لآل روتشيلد وجاء فيها «يحتمل إلغاء الرق بقوة الحرب(!!) والرق يعني تبعية العمل وتحمل أعباء العمال، إن سياسة بنك إنكلترا(!!) تدعو إلى سيطرة رأس المال على العمل بالسيطرة على الأجور(!!) وهذا يمكن إنجازه بالسيطرة على العملة(!!) فالديون تأتي من الحرب(!) ويجب استعمالها كوسيلة للسيطرة على العملة، ولتحقيق ذلك لا بد من استعمال الأسهم كأساس مصرفي، نحن الآن بانتظار وزير المال ليرفع توصياته للكونغرس، وينبغي ألا يسمح للأوراق الخضراء (الدولار) بالرواج كعملة في وقت لا يمكن السيطرة عليها».

كانت نتيجة هذه النشرة وإقرارها سيطرة آل روتشيلد على ما قيمته ٨٠٪ من الذهب في الولايات المتحدة وبات على التجار شراءه من المصارف الخاضعة لهم لدفع ضرائب الاستيراد للدولة والتي كانت تعيده بدورها لآل روتشيلد لتسديد قرض الماية وخمسين مليون دولار[١].

---

(١) أسرار آل روتشيلد ص ٥٤، حوبارت.

ومع استمرار الحرب وعجز الحكومة عن تغطية نفقاتها استدانت من جديد مبلغاً آخر.

لقد كلّفت الحرب الأهلية ما قيمته سبعة بلايين دولار كانت في معظمها قروضاً من مصارف خاضعة لآل روتشيلد[١].

ولقد أوضح بسمارك جانباً من الحقيقة حول الموضوع حين قال عام ١٨٧٦ «إنّ تقسيم الولايات المتحدة إلى دولتين فيدراليتين متساويتين في القوة قررته القوى المالية الكبرى(؟!) في أوروبا قبل الحرب الأهلية»[٢] وهنا يتطابق ما قاله بسمارك مع جميز روتشيلد والسفير الفرنسي كما مرّ معنا.

ولقد أفشل الرئيس الأميركي لنكولن مرحلياً مؤامرة الروح اليهودية هذه، فلما تمّ اغتياله سنحت لها الفرصة من جديد لإعادة اختراقها السابق المالي والسياسي فهل يصعب معرفة من كان وراء اغتيال لنكولن؟ أو الحرب الأهلية؟ لقد أدّى التدخل الفرنسي والإنكليزي إلى ردّ فعل روسي وإن غير مباشر وهذا التدخل وردّ الفعل المتمثل بإرسال الأسطول الروسي إلى الشواطىء المسيكية دفع بالحرب الأهلية نحو نهايتها الحاسمة[٣].

غير أن نهاية الحرب لم توقف الحملات اليهودية على لنكولن حتى بعد وفاته بسبب مواقفه الوطنية، وتقول عنه إشاعات يهودية: «انه أشار مرّة إلى سحب تأتي من روما» في محاولة لخلق صدام بينه وبين البابا من جهة وبين الكاثوليك والبروتستانت من جهة أخرى ويقول أرنست رينان: «إنّ اليهود لا يهمهم مصير البلد الذي يقيمون فيه» وكان الهمّ اليهودي أحكام سيطرتها دون

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩.
(٢) الفرنسية ص ٢١٦.
(٣) الأسطورة الأميركية ص ٤٥٣، مونتغمري.

كلل، ولعلّ مراجعة دقيقة لخط سير الحركة اليهودية في أميركا يعطينا بعض الإيضاح.

لقد كسبت الروح اليهودية مواقع مهمة داخل القيادة الأميركية دون أن تتخلى عن علاقاتها مع العواصم الأوروبية، وإن كان الاندفاع نحو الولايات المتحدة عائداً لحساباتٍ دقيقة متعلقة بالحجم والكم والمجموع البشري والجغرافي والامتداد السياسي والنظرة المستقبلية لواقع التجارة ومراكز القوى التي دأبت الروح على دراستها لتحديد أسس خطواتها.

وكان للعلاقة المالية دورها حتى في الأيام الأولى للقروض، لأنّ الروابط المالية بين الدائن والمدين تفرض واقعها على الحركة السياسية والقيادة معاً ولذلك نجد أنه «في عام ١٨٤٠ قام مؤسس الكنيسة المورمونية الأميركية جوزيف سميث بإرسال تلميذه أورسون هايد إلى القدس من أجل العمل على تسهيل نبوءة بعث إسرائيل، كما أن قنصل أميركا وارد كريسون (القدس) قام بتأسيس مستوطنة يهودية زراعية في منطقة القدس بعدما تحوّل عن ديانته المسيحية إلى اليهودية[(١)] وفي عام ١٨٦٧ أقام مجموع المستوطنين الأميركين مستوطنة قرب يافا وعمدت الحكومة الأميركية إلى إرسال تعزيزات وتموين لهؤلاء في سفينة عن طريق ولاية ماين[(٢)]، وفي آب ١٩١٨ وعندما تأكّد الرئيس الأميركي ولسون من هزيمة تركيا علّق قائلاً: «إن الأمم الحليفة قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا» وأكثر من ذلك فإنّ إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ بتاريخ الرابع عشر من أيار تبعه وبعد اثنتي عشرة دقيقة فقط اعتراف رسمي من الولايات المتحدة[(٣)]، مما يظهر عمق الارتباط والتخطيط بين أميركا والقيادة اليهودية،

---

(١) الاتصالات السرية ص ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٨.

(٣) دائرة المعارف، ديدرو.

ولم تصل الأمور إلى هذا المستوى بين ليلة وضحاها، بل إنّ ذلك تأتى نتيجة عوامل عدة متداخلة.

شهد القرن الثامن عشر ولادة حركة التنوير الأوروبي، متفاعلة متنامية متطورة مما اكتسبته من الحضارة العربية عقب سقوط الأندلس، وراح الفلاسفة والعلماء في غمرة الكره الشعبي لاستبداد الملوك والحكام، يتحدثون عن حقوق الفرد وحقوق الدولة وتحرير العقل وعلمنة الحياة.

وكانت الكنيسة أكثر تعرّضاً للنقد بسبب ممالئتها للحكام، مما أدى إلى تبلور صيغ الفردية في الدين والحرية في العبادة وبالتالي اعتبار الفروقات بين الأديان بدون أهمية بما في ذلك اعتبار أن لا فروق بين الدين المسيحي والدين اليهودي للحياة المدنية والسياسية.

غير أن حركة التنوير هذه لم تتفاعلِ مع الحياة اليهودية أول الأمر بسبب وجود «الغيتوات» من جهة وعدم تحمس الوجود اليهودي للخروج من الانعزالية والإصرار على الغموض «الديانة اليهودية يتخللها البخل والمصلحة الذاتية» و«هم شعب غامض ومتعصب» وأدّى ذلك إلى ازدياد النقمة عليهم حتى بين قادة وفلاسفة التنوير أنفسهم «إنك لتجد فيهم مجرّد شعب جاهل ومتوحش زاول ولمدة طويلة أخسّ أنواع البخل، وأبغضْ أنواع الخرافات، ويحمل كراهية لا تعادلها كراهية كافة الشعوب التي تسامحت معه وكانت سبباً في تراثه»[1] لقد استملك الدين اليهودي حياة الفرد والمجتمع اليهوديين حتى بات يصعب أي فكاكٍ من أسره بسهولة، ولكن الاختلاط النادر سمح مع الوقت بخلخلة سيطرة «الهمدراش» وعالم الربانيين الحاخامات المتزمت، وكان ذلك في ألمانيا أول الأمر حيث انطلق ما سمي حركة التنوير اليهودي بموازاة حركة التنوير الأوروبي.

---

(١) دائرة المعارف، ڤولتير.

كان موسى مندلسون (١٧٨٦) قائد الحركة الروحي والثقافي لليهود يحاول إيجاد تحديد مسألة الانتماء أولاً والولاء ثانياً ثم مسألة القومية الدينية لليهود، معتبراً أن لا شيء يمنع ولاء اليهودي للبلاد التي يتواجد فيها والحفاظ على قوميته الدينية معاً، ثم تطورت الدعوة لاحقاً لفصل الدين اليهودي والولاء عن القومية اليهودية وقام دعاة الاستنارة اليهود مطالبين بأن تكون دراسة الدين حكراً على الحاخامات اليهود فقط ودعوا لإلغاء لغة اليديشية وإرسال الأولاد اليهود إلى مدارس الأغيار (غير اليهود) وهاجموا فكرة الماشيح وأسطورة العودة وراحت اللغة الألمانية أو الفرنسية تستعمل في الصلاة.

لم تستطع حركة التنوير اليهودي النجاح بشكلٍ كامل وإن أثّرت في بعض نواحي الفكر والعلاقة بين اليهودي ومعه، وكانت المعارضة لها أكثر شراسة على يد الحسيدية والربانييم الذين خشوا ذوبان الفرد اليهودي ومن ثم وجود اليهودي في المجتمعات الأخرى المتحررة «إنّ الاندماج هو الخطر الكبير الذي يهددنا منذ اللحظة التي خرجنا فيها من الجيتو والمعتقلات»[1]، وبفشل حركة التنوير هذه، حافظ اليهود على «ميزان الحب لصهيون وفلسطين وتمجيدها بين الجيل اليهودي الناشىء». ذلك كان الأثر الوحيد الباقي من مسألة التنوير اليهودي والذي أسهم في بروز الصهيونية كردّ فعل يهودي على مسألة الاختلاط مع الشعوب!

(١) المنظمة الصهيونية العالمية، ناحوم غولدمان.

نشوء الصهيونية

لقد أدى ظهور القوميات في أوروبا، ونمو الرأسمالية، وازدياد موجة معاداة اليهود عقب اغتيال القيصر الكسندر الثاني عام ١٨٨١ واتهام يهودي بقتله ونشوب أحداث عنف ضد اليهود في روسيا والهجرة اليهودية الواسعة باتجاه أوروبا الغربية، وتوسّع السيطرة الاستعمارية في افريقيا وآسيا والهند إلى وجود جوّ عام متقبل لمسألة احتلال أراضي الغير من ضمن البحث عن مصالح الدول وشعوبها، وفي هذا الجوّ نمت بين القادة اليهود فكرة إنشاء وطن، أي وطن وبأي مكان لليهود والعمل على إنقاذهم من الذوبان في المسيحية.

لقد بات الذوبان اليهودي في المسيحية مسألة وقت ليس إلاّ، ففي البرازيل ألغى مرسوم ٢ أذار ١٧٦٨م جميع السجلات القديمة المتعلقة بالمسيحيين الجدد (أي اليهود القدماء) وساوى قانون ١٧٧٣ بينهم في الحقوق وكذلك في أميركا، وأميركا الجنوبية أيضاً حيث لم يبق فيها إلاّ حفنة قليلة من اليهود، وفي فرنسا وهولندا «كان استيعاب اليهود واندماجهم يتم بصورة بطيئة ولكن أكيدة»[1]، ولم يبق في إيطاليا وألمانيا إلاّ القليل من هؤلاء

(١) المفهوم المادي للمسألة اليهودية ص ١١٧.

من سكان الغيتو «انهم البقية المحزنة من الطبقة التجارية اليهودية»[1]. وما كاد القرن الثامن عشر يشرف على الانتهاء حتى تحوّل نصف يهود برلين إلى المسيحية، ولم ينقذ الروح اليهودية من ورطتها إلاّ «أولئك اليهود الذين طردوا من روسيا عقب مقتل الكسندر الثاني وبيد يهودي» والذين كانوا المؤثر الفاعل في نشوء الصهيونية كعائق أمام التنوير اليهودي.

«لقد كان هناك بديلان لوضع اليهود، فقد رأى يهود غرب أوروبا أن الحلّ يكمن في التشبه (الاندماج) كعضو متساو في الحقوق، وأن اليهود لا يشتركون إلاّ في الدين، وأما يهود شرق أوروبا فقد حملوا معهم التطلّع إلى النموذج القومي»[2] وكان هذا هو الإطار الذي تبنته الصهيونية أي إطار الجيتو الروسي، معتبرين أن كون المرء يهودياً أبعد مدى من مجرّد كونه يهودي الدين وعلى الشعب اليهودي أن يتحوّل إلى شعب مماثل للشعوب الأخرى ويقيم دولة له»[3].

وبدأت هذه الفكرة تأخذ حيّز المطلبية اليهودية الصريحة والعلنية، وقام اليهودي ليوبنسكر بالدعوة «لإنشاء الأمة اليهودية» وتطور ذلك لاحقاً مع هرتزل الداعي لأن «يقيم اليهود دولتهم الخاصة»[4].

ولد تيودور هرتزل في بودابست في ٢ أيار ١٨٦٠، تلقى دراسة الحقوق في ڤيينا وعمل صحفياً قبل انتقاله إلى العمل السياسي.

وفي عام ١٨٩٦ نشر هرتزل كتابه «الدولة اليهودية» ونادى فيه أن ليس أمام اليهود إلاّ أحد خيارين: إما الاندماج الكامل مع الأجناس الأخرى، أو المحافظة على النفس بالقومية السياسية وتبنى هو نفسه الاتجاه الثاني، وكان

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الحرب غير المقدس ص ٢٦، داڤيد ونز.
(٣) فؤاد محمد شبل ص ٨٧.
(٤) الدولة اليهودية، تيودور هرتزل.

حلّه للقضية حلاً اقتصادياً وسياسياً بحيث لم يصرّ في البداية على أن تكون فلسطين الوطن الجديد[1].

ولقد استغلّ هرتزل عصر النهضة وحركة الإصلاح واكتساح الأفكار الجديدة للعالم حول حقوق الإنسان، وحاول مقايضة اشتراك اليهود في الحركات الثورية للحصول على امتيازات من الدول حول «انتزاع العرب من فلسطين وإقامة دولة يهودية»[2].

في هذه الأثناء نشأ بين الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا مشاركة وسعي لإقامة دولة يهودية في فلسطين لأنها أهم طرق التجارة العالمية وعمدتا إلى خلق حركات دينية تبشيرية للتركيز على العهد القديم من الكتاب المقدس «من أجل تهيئة عقول اليهود لقبول فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين»[3] وتبين لاحقاً أنّ هذه التهيئة كانت تستهدف الشعوب المسيحية الغير يهودية، وعن طريق حركات المورمون والسبتيين وشهود يهوا والصهيونية الدولية.

ولقد ساد التوجّه الاستعماري لدى القيادة السياسية الأميركية في نفس الفترة التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧، وكانت الروح اليهودية حينئذٍ قد ثبتت مواقعها بقوة في المراكز المالية العالمية بما في ذلك وول ستريت في أميركا، وتحولت الروح من قوة ضاغطة أوروبياً إلى قوة عالمية للضغط على الدول بهدف تحقيق ما عملت له خلال قرنين من الزمن: السيطرة على النظام العالمي وإقامة دولة يهودية في فلسطين، ولم تكن الصهيونية إلاّ أداة تابعة للروح.

---

(١) الأخوة الزائفة ص ٧٣، جاك تني.

(٢) المصدر السابق ص ٧٤.

(٣) القضية، محمود عباس أبو مازن ص ١٠٦.

لقد سعت الصهيونية ومنذ ولادتها إلى إقامة «جيتو» كبير يحافظ على تماسك الشعب اليهودي وبقائه من خلال «القومية اليهودية» كي لا يذوب في الشعوب الأخرى من خلال عملية التنوير، واستغلت لاحقاً وبذكاء غباء الساسة البريطانيين أو تعاملهم مع الروح اليهودية أو عمالتهم لها بحيث تم استخدامهم ولقرون تحت صيغة «خدمة المصالح الاستعمارية البريطانية في الشرق عن طريق اليهود» كما روّج لتلك الفكرة في السياسة البريطانية، والتي ما عتمت أن جوبهت بصراع يهودي ضارٍ عسكريٍ على أرض الواقع في فلسطين حيث راح جنود الهاغاناه السريّة المدربة أصلاً من الجيش البريطاني، يتصيدون القوات البريطانية خطفاً وقتلاً في أعقاب «الكتاب الأبيض» وبذلك ظهرت الحقيقة حول من كان يستغل الآخر فعلاً!

لقد أوجد احتلال واشنطن لمركز الإدارة العالمية، تحوّلاً في توجّه الروح اليهودية نحو النظام العالمي المالي الجديد، لقد تمّ استهلاك الأمبراطورية العجوز بريطانيا، وبنفس الأسلوب والسياق الأوسع قليلاً في السيطرة تم تدجين العقل الأميركي، ولعبت الصهيونية دورها من جديد، فالسياسة الأميركية تبحث عن مواقع قوة في العالم تتيح لها السيطرة على الأسواق التجارية ومصائر الشعوب لتمدّ عليها سلطانها، وهنا برز أسلوب السيطرة للروح اليهودية من جديد، لقد استطاعت إقناع الأميركيين بما سبق لها إقناع البريطانيين به «ان إنشاء دولة يهودية يؤدّي إلى خلق قاعدة أميركية آمنة ومتطورة في الشرق الأوسط»[1]، وليس ما يمنع غداً أن تقوم دولة أخرى باستلام زمام القيادة الدولية عندما ينتهي «العلق اليهودي» من امتصاص الدم الأميركي، وسوف نرى وبالتأكيد كيف أنّ هذه الدولة الجديدة تحفظ درسها وبالكامل من أن إنشاء دولة يهودية هدفه الحفاظ على مصالحها هي الأخرى!

---

(١) الخطة الأميركية للسيطرة على العالم ص ١٢١، ناتاراجان.

إنّ الانتقام من الشعوب، ورفض الاندماج بها كانا في صلب الوجود الصهيوني.

لقد أثبت مقتل القيصر الكسندر الثاني واعترافات «جولندنبرغ» التصميم اليهودي على تدمير السلطات الدستورية للدول الأخرى وبالكامل، وكان تأكيد على أنّ عشرين بالمائة من الإرهابيين هم يهود خلّص[١]، والباقون يخضعون لهم في التوجيه والإدارة.

ولقد زلزلت النشاطات اليهودية روسيا بشدة، ولما قام يهودي آخر اسمه «مولدتيزكي» بمحاولة فاشلة لقتل لوريس ـ مليكوف وأحيل للإعدام صاح قائلاً إذا لم أكن أنا (القاتل) فسيكون غيري، وإذا لم يكن هذا الثاني فسيأتي الثالث، إن الكونت مليكوف سيقتل بأيدينا»[٢] ولم ينتبه أحد ما في غمرة الإعلان إلى هدف «الروح» من مثل هذه الأعمال إذ أن ردّ فعل الشرطة الروسية على التهديدات اليهودية بقتل القادة الروس اضطرّها للردّ بوحشية موازية للوحشية نفسها التي كان يقوم بها اليهود هناك من مثال غريغوري غرشوني الذي كان أشدّ الإرهابيين اليهود تعطشاً للدماء ثم فرّ إلى أميركا ليتحول إلى بطل قومي.

ظلّ الأروبيون والأميركيون في هياج شديد وعداء ملتهب «الوحشية رجال الشرطة الروس والقيصر» في تعاملها مع يهود خزر، ومن المضحك والمبكي معاً أن الخطط اليهودية لا تتغير إلاّ في الزمان والمكان، وسرعان ما اندفعت المنظمات الصهيونية في أميركا وأوروبا تجمع الأموال الضخمة والتبرعات «لإنقاذ اليهود الخزر من بطش الروس» وفي الوقت عينه تواصل تدفق يهود خزر إلى الولايات المتحدة بزخم أشدّ، ودون ممانعة من أحد،

---

(١) الأخوة الزائفة ص ٨٩، جاك تني.

(٢) المصدر السابق ص٩٠.

وأُنشئت منظمات ولجان خاصة بهدف استقبال المهاجرين في جزيرة ايليس والعناية بهم وتأمين العمل والسكن الملائم، وتم إقامة جمعية «مساعدة المهاجرين العبريين» بتنظيم قانوني هدف إلى منع ترحيل أي من هؤلاء القادمين ولو كان له سجل إجرامي ونجحت في ذلك تماماً[1] كما نجحت الروح اليهودية في تحقيق غايتها في غزو أميركا العالم الرأسمالي الجديد «كل الشعب اليهودي هو احتياطي لإسرائيل» «إنّ مهمة الصهيونية أوسع وأعمق كثيراً من إقامة الدولة اليهودية»[2] فالسيطرة أهم من ذلك كله!

لقد ظهرت الصهيونية في مرحلة التطور الاحتكاري للدول العظمى، وجاء ظهورها متوازياً مع تمركز رأس المال لدى أصحاب البنوك اليهود وارتباطه بالاحتكارات الدولية من أجل تقسيم العالم لمواقع نفوذ، وسرعان ما تمكنت الصهيونية انطلاقاً من الخبرة في استغلال الأنظمة والاتحادات والتجمعات الاحتكارية تم توسيع رأس المال عن طريق إحداث الأرضية المساعدة لنموّه عبر دفع القوميات المتعصبة للبروز والظهور والاندفاع للقتال، وتجميع اليهود في المواقع المتحكمة بمراكز السيطرة ولذا رأينا أن توزيع الهجرة اليهودية الروسية كان باتجاهين أوروبا الغربية حيث أضحت اليهودية ضعيفة الوجود فيها، وأميركا العالم الجديد، ولم نر هجرة يهودية باتجاه عوالم أخرى كانت اليهودية فيه تعيش حريتها الكاملة ووجودها القديم الثابت.

وما يؤكّد لنا ذلك هو حقيقة الوضع اليهودي في روسيا قبل الحرب العالمية الأولى.

لقد شهدت رومانيا وبولندا وروسيا وجوداً يهودياً قوياً ومعززاً بالسلطة وكان من اليهود في هذه البلدان الكثير «من التجار ورجال الأعمال والبنوك،

---

(١) المصدر السابق ص ٩٢.

(٢) الدولة اليهودية ص ١٣، جابوتنسكي.

وحرفيون صغار» و«كان لليهود وسائل قوية للتأثير على الحياة السياسية بسبب امتلاكها لعشرات البنوك وآلاف المؤسسات الصناعية والتجارية[1] حتى في روسيا القيصرية كانت السلطة الحقيقية لليهود أقوى بكثير، «وكانت البرجوازية اليهودية مشتركة في الأحزاب السياسية ويمتد نفوذها إلى الإدارات» و«وكانت تسيطر على العشرات من دور النشر وتتحكم في جزء كبير من القطاع الصحفي» ويقول داڤيد زاسلافسكي إنّ اليهود «تغلغلوا بعمق في المجتمع الروسي، وفي مجالات المهن الحرة كالصحافة وبين الأطباء والمحامين بحيث أصبحت الغلبة لليهود»[2]. وكانوا عملاء للنظام ومتعاونين معه، كما مرّ معنا سابقاً. فلماذا حصل لليهود في روسيا بعد ذلك ما حصل؟

لمعرفة ذلك نعود أيضاً للحركة المالية التجارية إذ تبين أن مجموع الأموال المتداولة في تلك الأثناء كانت على الشكل التالي «إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا تستأثران بمبلغ ٤٧٩ مليار فرنك في تداولها من أصل إجمالي للأوراق المتداولة عالمياً والذي يقدر بـ ٦٠٠ مليار فرنك»[3] وبالعودة إلى مسار الهجرة اليهودية الروسية نجد أنها تمحورت حول هذه البلدان.

أضف إلى ذلك أن الروح اليهودية كانت تسعى إلى إطاحة حكم القيصر لاستلام السلطة لذلك لم تلتفت إلى عرض القيصر بنقل اليهود إلى فلسطين وعلى نفقة الحكومة الروسية ـ كما مرّ معنا سابقاً ـ وكانت الروح تتحرّك ضمن خطوط ثلاثة، موالاة القيصر على سبيل الاحتياط، وتأييد البلاشفة والانخراط في تنظيماتهم الحزبية، والهدف الرئيس الثالث حكم روسيا حتى أن الفيلسوف اليهودي الروسي جيرمان كوهين راح يروّج ضمن جولاته في الأنحاء الروسية «مبدأ الدين اليهودي الأخلاقي» إضافة إلى تأكيد ونستون

---

(١) يهود عصرنا ص ٤٤، روبين.

(٢) اليهود في الأدب الروسي، المجموعة الأولى، زاسلافسكي.

(٣) تاريخ المسألة اليهودية، ص ١٥٠، الفريق عفيف البزري.

تشرشل ذلك في مقولته «هناك ثلاثة اتجاهات في اليهودية المعاصرة، الاتجاه المحافظ، والصهيوني، والبلشفي وترغب إنكلترا باستغلال الاتجاهين الأولين للتغلّب على الثالث»[1]. ولكن الثورة الأولى فشلت ونجا منها اليهود، فلما أطيح بالقيصر بعد ذلك سارعت الصهيونية (الروسية) للتحالف مع الحكومة المؤقتة وراح إعلامها الموجّه يتحدّث عن «ثورتنا» و«حكومتنا» ثم أصدرت «قروض الحرية» لاقتناص السيطرة أكثر، وأخذت تحرّض على البلاشفة في محاولة لانتزاع السيطرة المبادرة «إن موضوعات لينين تميزت بهدف استفزازي سافر كوثيقة لا تحقق إلاّ الضرر بالثورة»[2] وما لبثت أن كشفت القناع حول طموحها بأن «البرجوازية اليهودية على استعداد لقيادة دفة الحكم لإيقاف الثورة»[3].

لم يكن الهدف القيصر، ولم يكن لينين، لقد كان أبعد من ذلك «فالبرجوازية اليهودية قابلت الثورة بفرحة وعلّقت عليها الآمال»[4] ولذلك صدرت الأوامر لليهود بالتحرّك على أوسع نطاق «ينبغي علينا أن نقوم بأوسع وأنشط مشاركة في النضال لإنقاذ روسيا من المصيبة البلشفية»[5]. لقد كانت الروح اليهودية من خلال سيطرتها على أعضاء الثورة الروسية على يقين بأنّ دورها قد حان لقيادة الحكم الروسي «إن مهمتنا النضالية هي تنظيم كل العناصر كي نتسلّم مع سقوط البلشفية زمام السلطة في أيدينا»[6].

وفي عام ١٩١٩ عندما وصلت القوات البولندية إلى مشارف منيسك كان الصهاينة قد أسسوا مجموعات ولجاناً مضادة للثورة البلشفية في منيسك

---

(١) اليهود والهجرة البيضاء ص ٤٦، سيركين.
(٢) الأخبار العمالية اليهودية ـ ٢٥ نيسان ١٩١٧ ـ شافسكي.
(٣) راسفيت (الفجر) اليهودية.
(٤) اليهودية الروسية ص ٣، الصهيوني أرنسون.
(٥) المصدر السابق ص ١٧.
(٦) إحذروا الصهيونية، ص ٧٢، إيفانوف. نقلاً عن المضادة للثورة، بيضون.

وجوميلا وموجيلون وفينسبك وبوبرويسك ومدن أخرى[1] وقام سكرمان عميل منظمة جونيت الصهيونية بإحضار المال اللازم من أميركا لدعم النشاط المضاد للبلشفية والذي جرّ دولاً أخرى أوروبية إلى حلبة الصراع، وبذلك أمكن للروح اليهودية إصابة أكثر من عصفور بحجر واحد، أثيرت مشاعر الكراهية بين الشعب الروسي والشعوب الأخرى فازداد الشعب الروسي تقوقعاً ولم يجد أمامه إلاّ حكومته الشيوعية ليؤيدها في ظلّ العدوان الأميركي اليهودي المزعوم، وتحوّل الشعب الأميركي إلى معادٍ لما كل ما هو روسي، وتبنى بالكامل مبدأ الدفاع عن الشعب اليهودي المظلوم، وفتحت أميركا أبوابها لليهود لتتحوّل حكومتها إلى حامية الوجود اليهودي عالمياً.

لقد كانت اليهودية البورجوازية الروسية مسيطرة سيطرة تامة، فلما فشلت في استلاب الحكم راحت تروّج بين الأمميين أن قلاقل اليهود في روسيا كانت مذابح دبّرتها الحكومة دون إيضاح السبب، «وكانت الدعاية اليهودية قد استولت على أذهان شعوب غربي أوروبا والولايات المتحدة بتأثير من المؤرخين والكتاب اليهود، ووجدت طريقها إلى دوائر المعارف والمقالات، وحتى القصص، ولم يحدث من قبل في تاريخ العالم أن طمست وشوّهت جهود حكومةٍ ما ضد حركة ثورية إجرامية كما حدث في روسيا»[2].

لقد نفذ المناشفة (الجمعية الاشتراكية اليهودية) الثورة، ولكن البلاشفة (لينين وتروتسكي) قطفوا الثمار، أو هكذا شاءت الروح اليهودية ذلك فعادت إلى الحكم من خلف الظلّ كعادتها، نتيجة التيقن من رفض الشعب الروسي وأعضاء في الحزب الشيوعي نفسه مسألة أن تحكم اليهودية روسيا، «كان تروتسكي وزينوفيف وسفير دولوف ويورنيزي وفولودارسكي قادة يهوداً

---

(١) إفلاس حتمي ص ١٨، ستا شكفيتش.

(٢) الأخوة الزائفة ص ٩٥، جاك تني.

مشهورين في الحكومة السوفياتية رغم محاولة إخفاء هويتهم اليهودية[1]، ولكن الشعب الأميركي لم يكن ليميز أو يستطيع تمييز ذلك أو الفرق بين المنشفية والبلشفية اللفظي ولم يتح له ذلك إلاّ في زمنٍ لاحق عندما كان التيار اليهودي يجرف بقوة العقل الأميركي إلى متاهته هو، فتحولت أميركا إلى قاعدة عمليات انطلق منها اليهود للتغلغل الجديد القديم المتواصل، محافظين ومتطرفين، متدينين وملحدين، اشتراكيين وعلمانيين، صفات أخفت حقيقة العنصرية خلفها، وحقيقة الارتباط بالقومية، لا بالأرض التي كانوا فيها ولا تلك التي قدموا إليها، إنما هي غرائز متجذّرة منذ القدم لحبّ السيطرة والامتلاك، وسرعان ما تأسس في الولايات المتحدة أول شكل للمنظمة الصهيونية عام ١٩٠٧، ورئيسها ريتشارد جوثيل من جامعة كولومبيا، وكان أول أمين سرّ لها الحبر ستيفْن وايز، كما عمل لويس براندين مستشار الرئيس ولسون المقبل، رئيساً للمنظمة قبل تعيينه قاضياً في المحكمة الأميركية العليا، كذلك كان القاضيان جوليان ماك ولويس لبسكي أعضاءً في المنظمة، ثم تبعتها (١٩٠٧) «المنظمة الصهيونية العالمية» وقامت على أيدي الجمعية الاشتراكية اليهودية وبحسب بيان التأسيس فإنّ المنظمة هدفت إلى دعم العمال والقوى في أميركا وفلسطين(!!) وما لبثت منظمة مزرا في «أميركا» أن ظهرت للوجود أيضاً عام ١٩١١ وهي المنظمة العلنية الوحيدة الظاهرة للروح اليهودية، وتبع ذلك قيام حزب العمال الصهيوني[2] وبذلك بدأت الروح اليهودية خطواتها لاستعمار أميركا!

---

(١) المصدر السابق ص ٩٦.

(٢) الأخوة الزائفة ص ٩٥، جاك تني.

الحرب العالمية

لم تكن الحرب العالمية، الأولى أو الثانية، ابنة ساعتها كما يقال، فالتحضيرات المستمرة لها استغرقت زمناً طويلاً منذ أيقن قادة الدول الأروبية أن صراع المصالح في ما بينها لا بدّ أن يصل إلى مرحلة الصدام العسكري لا محالة، والعدوانية المغلفة بالوطنية وبالقومية لم تكن إلاّ حوافز تمّ استخدامها مع غيرها من الوسائل المساعدة في حقن الشعوب بالكره بعضها لبعض «إنّ مثل هذا السؤال، من الذي بدأ الشر، يجب أن يستبدل بهذا السؤال ما سبب الشرّ؟ معظم الناس يقولون إن آدم كان السبب في بدء الشر والخطيئة، ولكن آدم كما تذكرون كان يقول إن السبب في ذلك هي حوّاء المرأة، فإنها هي البادئة، أي أنها هي التي اقتطفت التفاحة الممنوعة، غير أنّ حواء ادّعت أن الحيّة أغوتها، فالحية إذن هي المسؤولة عن ذلك الشرّ، ولكنني أقول إن أساس الشر هي التفاحة»[1]. وما التفاحة إلاّ القومية التي راحت الشعوب الأروبية تنهشها متلذذة دون وعي وخوف من لذعة حيّة الروح اليهودية، التي أوجدت أسباب النزاع ووقفت تفرك يديها فرحة تنتظر عدّ المكاسب والأرباح.

---

(١) سيرة حياة لنكولن ستيفنس ص ٥٧٤.

ومن بين الأسباب كان، القضاء على قوة الإسلام السياسي[١]. الشغل الشاغل لأوروبا منذ أجيال، وكان قادتها يعملون على احتساب المغانم المتأتية لكلّ منهم فيما لو انحلّت الأمبراطورية العثمانية، فبريطانيا وعينها على جوهرتها في التاج أي الهند، مستعدة لخوض حروب وحروب في سبيل الحفاظ عليها، وتأمين خطوط الإمداد من وإلى، وفرنسا تعتبر أنّ مصر «جزء من الممتلكات الفرنسية» بحيث أنّ قناة السويس كانت في الأساس مشروعاً فرنسياً محضاً حصل عليه فرديناند دوليسبس من الخديوي سعيد باشا بامتياز صادر عام ١٨٥٦، وكان ذلك يتعارض مع التطلّع الاستعماري البريطاني. وأمّا روسيا حامية الكنيسة الأرثوذكسية فإنّ حلم الوصول إلى المياه الدافئة كان يداعب أحلام قادتها منذ كاترين، وللوصول إلى هذه المياه لا بدّ من تخطي عقبات «تركيا ورومانيا وصربيا والنمسا» وكم بحَّ صوت القيصر نيقولا وهو يقول: «أعتبر أنّ لدينا مريضاً رجلاً مريضاً في حالة الخطر الشديد، وأني أصارحكم أنه إذا أفلت من أيدينا يوماً فإنّ الأمر ينقلب إلى كارثة لا محالة، لاسيما قبل أن نكون قد اتخذنا الاحتياطات الضرورية[٢]، ولم يتوانَ القيصر من شدّة طموحه ذاك، عن التحجج بخلاف بسيط بين رهبان كنيسة المهد في بيت لحم حول المفتاح والنجمة[٣] كي يعلن حماية الأماكن المقدسة في فلسطين ويسارع إلى حرب القرم عام ١٨٥٤ ولم تكن فرنسا وبريطانيا تنتظران سوى ذلك وسرعان ما دخلتا الحرب إلى جانب تركيا «إذا كانت روسيا تزداد قوة واتساعاً على حساب تركيا فإنّ مصالح بريطانيا في الشرق الأوسط والهند ستتعرض إلى مخاطر جسيمة»[٤].

(١) إدوارد ديو.
(٢) الموسوعة البريطانية.
(٣) هارولد تمبرلي ص ٢٩٦.
(٤) ونستون تشرشل في الموسوعة البريطانية.

كانت مصالح الدول هي المهيمن على تفكير قادتها، وكانت الفوائد المالية لهذه المصالح تصبّ في خزائن البنوك التي أقامتها الروح اليهودية وبقدر ما تزداد الحروب اتساعاً بقدر ما تزداد الديون ويزداد معها الخراب والدمار والويلات، ومن ثم الإعمار، حلقة متواصلة تحتاج إلى المال في كل مرحلة من دورانها، والمال في يد الروح والسلطة وإدارة القادة وتوجيه الشعوب، الإتجار بالأمم ليس إلاّ، وليس أسهل من إيجاد المبررات والوسائل والدوافع «كانت رواية شكسبير «عطيل» تمثّل آنذاك على مسرح في ليڤربول، وعندما تفوّه أحد الممثلين بعبارة «أغرق الأتراك» نهض جمهور الحاضرين على أقدامهم وهتفوا طويلاً»[١]، تعبئة نفسية وصلت إلى الذروة، وكُره بات يحجب الحقائق، وحقد تولّد بين الشعوب، وقوميات ثملة من استعماريتها للدول الضعيفة، وتمّ وأد الإنسانية بين الأمم المتحضرة(؟!) «إنّ عوامل عدّة وطرقاً واحدة أثارت الفتن في تركيا والبورتوغال والمجر وروسيا وبافاريا، فقد استخدم اليهود قالباً واحداً وشريعة واحدة لتدبير الكارثة في كل مكان»[٢].

أدّت الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ إلى إفلاس تركيا تماماً، وبلغ دينها من مصارف آل روتشيلد اليهود مائتين وخمسين مليون استرلينية بعملة تلك الأيام، وكان من الطبيعي أن تعجز الحكومة التركية عن السداد وعليه ازداد خضوعها والإذلال، وهنا لا بدّ من السؤال من المستفيد؟ ومن كان الرابح في هذه الحرب، روسيا؟ «لقد تحولت مع المجر من مستودعي حنطة لأوروبا إلى أراضٍ قفرة نتيجة الحرب، ولقد صرف اليهود الأيام والسنين للإعداد لهذه الحرب»[٣].

---

(١) أندريه موروا.

(٢) فرنسا القديمة العدد ١٦٦، المورننغ بوست.

(٣) هيكل سليمان نقلاً عن هربرت هوڤر ص ٨٣، يوسف الحاج.

عندما ننظر إلى الحروب ونجد أنّ كل نتائجها تصبّ في جيبة الروح اليهودية فهل يصعب بعد ذلك معرفة من المستفيد ومن حضّر الأرضية المساعدة على نشوب الحرب، والوسائل؟ ذلك أمرٌ هيّن على الروح «أثر شعباً ما واحصل منه على ما تريد».

وفي هذه الأجواء ظهر أوتوبسمارك اليهودي وراح يدغدغ أحلام القيصر الألماني غليوم الثاني «بالزحف شرقاً»[1] قبل أن تلتهم بريطانيا وفرنسا كل شيء، كان ستار بسمارك أنه «من المحافظين المؤمنين بالقومية» ولكن أحداً ما لم يقف ليفكر في قولِ بسمارك «أن ليست قدراتها (أمه) ولا مواهبي(!!) هي التي صنعت مني رجلاً عظيماً، ولكن الحقيقة أنّ أمي كانت عشيقة سولت (قائد جيش نابليون اليهودي) أحد الثلاثمائة (أعضاء الروح اليهودية) فساعدني»[2].

لقد كان سولت صنيعة آل روتشيلد ورأينا موقفه مع ناثان روتشيلد في معركة واترلو التي هزم فيها نابليون بونابرت فهل يصعب علينا فهم تأثير سولت على بسمارك وهو عشيق أمه باعتراف بسمارك نفسه؟ وهل يصعب علينا بعد فهم أسباب تغني بسمارك «بالقومية الألمانية»؟ وإلى ماذا كان يهدف؟ لقد كان بسمارك يهودياً من أمه، فكيف ليهودي أن ينادي بتفوّق القومية الألمانية التي اتّهمت مراراً أنها ضد اليهود؟ ذلك هو السؤال.

وأمّا على ضفاف الدردنيل فقد كان تروتسكي اليهودي الماسوني يسرّ في أذن مصطفى كمال باشا (محرر تركيا لاحقاً) صديقه الخاص «أنّ من الضرورة إعلان علمانية الدولة التركية ومنع الوالدين من تسمية أبنائهم باسم محمد ﷺ» وأعقب «لجلال الاسم طبعاً(؟!)» ثم أكمل طريقه إلى فرنسا

(١) المسألة الشرقية ص ٥١، بنديتي.
(٢) حكومة العالم ص ٢١٢، سبريدوفيتش.

حتى إذا ما وصلها قال لمرافقيه «الآن لا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع أن تخرجني من هنا (فرنسا)» وإن كان لم يوضح سبب شعور الثقة والقوة التي استمدّها في فرنسا فإنّ لينين من قبله وزينوفياف حددا «لأننا مستندون إلى الماسونية الكونية»[١].

لقد أظهرت الروح اليهودية موالاتها لألمانيا، ودفعت القيصر للغرق في الوحول التركية في عملية تدمير لقدرات البلدين، قدرة القيصر على الوقوف في وجه المدّ الثوري المقبل على يد عملائها وأبنائها، وقدرة تركيا على رفض إعطاء فلسطين لليهود، وكان لا بدّ لها لإكمال حلقة الحرب من دفع ألمانيا نحوها وراح «بول وفليكس وربرغ ويعقوب تشيف من مؤسسة كوهين لويب وشركائهم اليهودية الأميركية[٢] يقدمون الدعم المالي للصناعة الحربية الألمانية بهدف دفعها إلى الحرب، كما وقدموا الدعم المالي لما سمي بالحلفاء لاحقاً لتقوية مجهودهم الحربي» والمسألة ليست لغزاً فقد خرج الكل مدينين مالياً للمؤسسة التابعة للروح اليهودية.

ولقد بلغت الروح اليهودية من القدرة أنها كانت تفرض على قادة الدول قراراتها من مثال ما سمي «بوعد بلفور» وهي تسمية زور لأنّ السيد بلفور لم يكن له ناقة ولا جمل في هذا الوعد ولكنه صدف في حينه أنه كان وزيراً للحكومة البريطانية (التاج) فتبناه ثم آمن به، ثم حارب لأجله بعدما طالبه أسياده اليهود بذلك.

فلقد «تم وضع مسودة ما سمي بوعد بلفور وسلّمت إلى وزارة الحرب الأميركية التي عرضتها على اللجنة السياسية الصهيونية الأميركية والتي وضعته بتصرّف «اللجنة التنفيذية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة» (سلطة برانديس) التي نقحتها وتمّ اعتمادها وإرسالها إلى الرئيس ويلسون عن طريق العقيد

---

(١) هيكل سليمان ص ٨٦، يوسف الحاج.
(٢) الأخوة الزائفة ص١٠٦، ، جاك تني.

الصهيوني هاوس، وبعد توقيعها من الرئيس ويلسون تمّ إرسالها إلى وزارة الخارجية البريطانية للتوقيع عليها تحت اسم «وعد بلفور»[١] ومما يثير المرارة والسخرية أن الولايات المتحدة لم تعترف بالقرار في العلن إلاّ بعد ذلك بعدّة سنوات أي عام ١٩٢٢!

واستطاعت الروح اليهودية نتيجة سيطرتها على القادة والإعلام في الدول الأوروبية أن تبعث الغطرسة والتعالي بين شعوب تلك الدول وأزيح العقل جانباً رغم التشدّق بمبادىء الحرية والمساواة، كانت قوة المال اليهودي الرهيبة تفعل فعلها وراح آل كوبلن وآل جولد وآل جرينجلاس وراكوسي وباوكر وبيرمان وبرونستين وكاغافيتش[٢] اليهود، يعملون على حقن الأنفس وإثارة الشعوب بوسائل خاصة في الأقطار التي يقيمون فيها، وتولّت المنظمات اليهودية القائمة إعداد الحملات الإعلامية والصحفية لتعبئة الرأي العام في كل بلد تجاه البلد الآخر «ان ما أسهم به الخيال اليهودي والشخصية اليهودية للتأثير بقوة في روسيا، هو نفس العقلية اليهودية المؤثرة في البلدان الأخرى»[٣]، تمّ تدمير روسيا عن طريق الثوار اليهود، وحان تدمير العوالم الأخرى.

عندما انعقد مؤتمر بازل الصهيوني عام ١٩٠٦ تمّ اتخاذ قرار يؤدي إلى «قيام المكتب التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية بإعداد دراسة صالحة للتنفيذ الفوري»، وتتضمن «مساعدة مختلف الأحزاب والمجموعات الانقسامية(!!) في العالم، وجعل مؤتمر بازل قاعدة لها والاشتراط عليها أن «لا تنسى (أي المجموعات) أنها جزء من كلّ واحد لتقويته»[٤] أي أنّ مساعدة

---

(١) كتاب سيرة حياة القاضي برانديس، يعقوب دوهاوس.
(٢) الأخوة الزائفة ص ١١٧، جاك تني.
(٣) العبرية الأميركية نيويورك ١٠/٩/١٩٢٠.
(٤) المؤتمر السابع للصهيونية في بازل ـ أوديسا ـ عام ١٩٠٦، ص ٣١.

الأحزاب والمجموعات الانقسامية يلزمها بالخضوع لإرادة الروح اليهودية، وعليه فقد ظهرت للعلن أحزاب راحت تنادي بالاشتراكية والعمل على الصراع الطبقي من مثال «بوالي تسيون» (عمّال صهيون) كما قام آخرون بإنشاء أحزاب أو الانضمام لأحزاب قائمة «بهدف توجيهها نحو مصلحة الروح اليهودية» والتأثير على حركتها وقراراتها من الداخل «إنّ الصهيونية متعددة الوجوه تلصق فوق جبهتها أيّة نظرية تنفعها»[1] لقد استطاعت بناي بريت مثلاً (أبناء العهد) أن تسيطر على الفي مقعد ماسوني في الجمعيات الماسونية ضمن اثنين وأربعين بلداً، كما تحوّل بريت ايڤريت (الاتحاد العالمي العبري) إلى قيادة موجّهة لعمّال تلك الدول عن طريق التنسيق مع أبناء العهد، وتمّ خلق وتأسيس مئات المنظمات واللجان والمعاهد والمصالح الاحتكارية والروابط بمختلفها، والمؤتمرات والمجالس والعصب الشبابية والنسائية والتعليمية والصحفية والدينية والعلمية. . .الخ، أي بما معناه سيطرة شبه كاملة على عصب الحياة الإنسانية بحيث أنّ التوجيه من قبل الروح اليهودية لا يحتاج إلاّ إلى إشارة معينة حتى تبدأ الأبواق بترديد الصدى مع ما لذلك من تأثير لا يمكن الاستهانة به، والانتباه إلى صعوبة معرفة الحقيقة الغارقة تحت زخم الضجيج المنبعث المتواصل.

عام ١٦٤٨ قام القوزاق بقيادة خميلنيتسكي بانتفاضة رهيبة ويحدثنا التاريخ اليهودي عن الموضوع فيقول: «في حالة عمى غير مفهومة(؟!) رأى اليهود البولنديون أنهم باستطاعتهم أن يكونوا شركاء(!!) ومساعدين(!!) للأرستقراطية اليسوعية البولندية، في قضية «استعباد» القوزاق في أوكرانيا وروسيا، وكان النبلاء يسعون لجعل القوزاق عبيداً لهم، وسعى اليسوعيون إلى تحويل ولاء الأرثوذكس نحو كنيسة روما الكاثوليكية، وتمنى(!) اليهود الذين كانوا يعيشون في هذه المناطق أن يغتنوا (وضح الخفاء) في ظلّ هذه

---

(١) س. ديمانشتين، عضو اللجنة المركزية البلشفية.

الأوضـاع، وأن يلعبـوا دور الأسيـاد(!!) ولهـذا قـدمـوا لمـلاك مستعمـرات القوزاق نصائح(؟!) بكيفية قهر(!) واستعباد(!) واستغلال(!) السكان، ولهذا ليس هناك ما يثير العجب في كره القوزاق لليهود»[١] فهل هناك بعد أوضح من هذه الصورة التي رسمها قلم يهودي في اضطرارية الحدث التاريخي، ليفهم المرء الكيفية والأسلوب لعمل الروح اليهودية عبر العصور وبين الأمم؟ أما آن للبشرية أن تكشف عن أعينها غشاوة الأضاليل اليهودية عن الانسحاقية والظلم البشري لليهود، أم أن عبودية الفكر لا تعرف طريق الحرية والانعتاق وكسر قيود شعبٍ عاش في الأضاليل والخداع منذ مولده وحتى فنائه!

وفـي عـام ١٩٢٢ صـدر كتـاب «بعـث الـدولـة اليهـوديـة» عـن دار نشـر «هاتحيا» في برلين، وكان مما جاء فيه «سيأتي اليوم الذي يقيم فيه اليهود دولتهم في فلسطين وسيعيشون هناك ويتطلعون إلى بلاد الرافدين، أرض مثمرة، ماذا سيكون شأنهم؟ يجب أن يشتروها، ثم سيحل وقت يكون اليهود فيه قد اشتروا هذه الأراضي عندها يجب على دولة بلاد الرافدين أن تتعامل بلغة الأغلبية اليهود في مدارسها ومحاكمها وهيئاتها الإدارية والاجتماعية العامة وستكون العبرية لغة الأغلبية، والنتيجة رائعة، ولكن هل يمكن الاكتفاء بـذلـك؟ لا، قطعـاً، مـا هـي الخطـوات التـاليـة إذن؟ وفـق القـانـون الـدولـي المقبل(؟!) يمكن لنا ضمّ أيّة أرض من الدول المجاورة لنا»[٢]، فهل هذا كلام خيالي صدر أوائل القرن العشرين؟ ترى لماذا تضمّ إسرائيل الأراضي حولها دون خوف من الأمم؟ لأنّ الكلمة أصبحت أداة في يد الروح اليهودية تتلاعب من خلالها بالعقل البشري العاجز عن فهم حركتها هذه.

لقد تمكنت الروح اليهودية إبان عهد القيصرية في روسيا من خلق منظومة إعلامية هائلة تابعة لها في روسيا وحققت من خلالها توجيه العقل

---

(١) تاريخ اليهود ص ٥٨، المؤرخ اليهودي جريتس.
(٢) روح يهود الجالوت ص ١٢٨، الصهيوني فايتروب.

الروسي نحو الثورة، وكذلك فعلت في بريطانيا وألمانيا وإيطاليا ومن ثم تركيا واليونان والنمسا الخ وفي الولايات المتحدة لاحقاً.

ومن يمتلك الكلمة، يمتلك السيف، يقتل أو يجرح به، «حين يحيط بك أصدقاء أو غرباء يكرهونك(!!) ضمن الضروري أن تصرخ (بالكلمة) وليكن صراخك عالياً، حتى يبح صوتك ثم يجب أن تعمل على المبالغة في تصوير المأساة إذا أردت أن تمس قلوب المعادين حتى تتمكن من جعلهم حلفاء لك هم أيضاً»[1] وليس المهم مصداقية الكلمة وصدقها، المهم أن تطرق بها الدماغ طرقة تلو الطرقة حتى يلين أو يتوه «لقد اكتسحت أوروبا موجة عارمة غمرت العالم المسيحي ومضت تتدحرج إلى أميركا إلى أن ضربت جدران الجامعات والكليات وعلت حتى وصلت إلى منابر الكنائس، ومع تحرّك المياه الموحلة (اليهودية) هوت أعلام دول ذات كبرياء وضاعت مع ربابنة سفنها وقذارة الفيضان، وحيثما وصلت تلك المياه ظهرت ندبات كبيرة من التآكل والتعرية، ندبات على الكرامة الإنسانية(!!!) الضائعة وحرياتها المتلاشية، وتهادت العقائد والقيم الدينية وولّت الحقائق أمام الصراخ الأجش والسخريات المهينة من حشود الدهماء الشهوانية»[2].

لقد سيطرت الروح اليهودية أولاً بالدهاء، ثم بالمال، ثم بالكلمة تقلب بها الحقائق حتى بات يصعب فعلاً معرفة الحقيقة في غمرة التضليل التي أدخل العقل البشري بها عبر سنوات وسنوات، وكيف ونحن نصغي إلى الرئيس ويلسون من على منبر مجلس الشيوخ الأميركي حين يقول: «لن يكون هناك ضمّ أراضٍ ولا هبات(!!) ولا إلحاق ضرر بقصد العقاب، إنّ تقرير المصير ليس عبارة جوفاء(!!) وإنّ كل تسوية لهذه الحرب يجب أن تتم

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الأخوة الزائفة ص٨١، عضو مجلس الشيوخ الأميركي جاك تني.

لصالح السكان المعنيين»[1]، فأين كانت فلسطين وإلى أين، وهل كانت فعلاً في ضمير ويلسون؟ لا، لأنه وفي أثناء إلقاء خطابه هذا «كان مستشاروه اليهود يعدّون مسودة وعد بلفور» فأيّ كلمة تقال هي؟! ومن كان صاحب القرار حول حركة التاريخ ويلسون؟ أم الروح اليهودية!

لم يكن ويلسون وحده في عمى الألوان ذاك، فعلى الطرف الثاني من المحيط كان الأعلام الفرنسي والبريطاني يهلل «إنّ الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وإنكلترا الحرب في الشرق، تلك الحربِ التي أثارتها مطامع ألمانيا(؟!) هي تحرير الشعوب(؟!) التي رزحت طويلاً تحت ظلم الأتراك تحريراً تاماً(؟!) وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من اختيار الأهلين لها اختياراً حرّاً[2](؟!)! فهل اختار الفلسطينيون حريتهم عن طريق حكم اليهود بدل الحكم التركي؟

لقد كان ممثلو الشعب الذي خاضت فرنسا وبريطانيا الحرب لتحريره كما تزعمان مثار هزءٍ وسخرية في مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ لا بل ان الرئيس ويلسون صاحب مبادىء الحرية إلتفت إلى الأمير فيصل أثناء عمل المؤتمر ليسأله «هل تؤثر أن ترى دولة واحدة تتولّى الانتداب على شعبك أم دولاً عدّة»[3]؟ وكأنما لم يكف فيصل مذلته تلك حتى وقع على ممثلي الشعب العربي أسوأ منها، فحين شرع شكري غانم مؤسس اللجنة السورية المركزية في إلقاء كلمته العاطفية التي استغرقت «ساعتين ونصفاً فقط» خرج الرئيس ويلسون من القاعة للتريّض مما جعل كليمنصو يلتفت إلى وزير خارجيته صارخاً «من أين جئتم بهذا الرجل؟»[4].

---

(١) مباحثات السلام ص ٥٧، ج ماينارد.
(٢) الصراع الدولي في الشرق ص٩٠، زين زين.
(٣) المصدر السابق ص ١٠٣.
(٤) المصدر السابق ص ١٠٥.

وكان أن عاد فيصل إلى بلاده ليتحدّث مع من يلتقيه من الأكابر عن «حسن نيّات الحكومات الأربع وتمسّكها بالمبادىء[1](؟!) ومن على درج بلدية دمشق خاطب الجماهير الهادرة «لقد دافعنا في المؤتمر عن حقوق العرب، وأكدنا أن البلاد العربية لا يمكن تجزئتها(؟!) ولكن(!!) بما أنّ بين سكّان البلاد العربية اختلافات في طبقات العلم(؟!) والتعليم ليس إلاّ(!!) فالظروف ليست كافية لجعلهم أمة واحدة»[2]، ولم يكن فيصل يدري أنّ المخطط اليهودي كان ضرب العرب وتركيا[3]!

ومن الحق أن يقال إنّ أحداً ما لا يحق له اتّهام الأمير فيصل أو التقليل من تضحياته تجاه أمّته وبلاده، ولكن قدرات الأمير كانت تعجز ولا بد من خلال ضعف الإمكانيات العملانية المطلوبة في هكذا مؤتمر حشدت له الروح اليهودية عشرات المندوبين من قبلها للتأثير على سير المفاوضات الجارية وقرارات المؤتمر إضافة إلى التعبئة الإعلامية والشعبية و. . . العمالة لليهود.

ولم يكن الأمير فيصل ولا القادة معه يدركون أو يعلمون أنّ مارك سايكس التحق بالصهيونية عن طريق موسى غالاستر اليهودي البريطاني[4] وأنّ جورج بيكو التحق بها عن طريق سوكولوف، وأن اليهودي لورنس العرب كتب إلى كاهن أبرشية القدس ماك آنيس قائلاً له: «إنك غير صالح حتى لتنظيف حذاء وايزمن»[5]، وأن سكرتير لويد جورج الخاص كان يهودياً ويدعى ساسون، وسكرتير كليمنصو كذلك كان قائد الروح اليهودية في ذاك الزمن «مندل روتشيلد» فيما خضع الرئيس ويلسون لمستشاره المقرّب القاضي

---

(١) سورية والعهد الفيصلي ص ٧٢، يوسف الحكيم.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ماكس نورداو، مفكّر صهيوني.
(٤) كتاب دراسة مأثرتين، ماركس سايكس.
(٥) أعمدة الحكمة، لورنس العرب.

اليهودي براندیز، وكان مترجمه أيضاً يهودياً يدعى منتو.

وأمّا أول مندوب سامي بريطاني على فلسطين فلم يكن إلاّ اليهودي العنصري هربرت صموئيل والذي استقبله أبناء قومه هاتفين «أهلاً بأمير إسرائيل الأول»[1]، ولا ننسى أوتولينجي اليهودي وزير الحربية الإيطالية زمن الحرب، ولا لوتساتي وزير الخزانة أيضاً، و. . .

كانت الروح اليهودية تمتلك سلطات القيادة والقرار وعن طريق دفعها لحكّام العالم الحرّ في تلك الأيام بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا لتقسيم العالم عن طريق استعماره وسلب خيراته أسهمت في خلق أجواء صراع مقبل، وكان عليها لاستكمال غاياتها أن تقنع شعوب البلدان الأوروبية أن الهدف من إقامة دولة يهودية في فلسطين تدخل في إطار منح اليهود حقّ الاستقلال القومي على جزء من الأرض الفلسطينية»[2] فلما تهيئت أجواء القبول لمبدأ الفكرة هذه، عمدت الروح إلى ذرّ الخلاف والعداوة بين المنتصرين حول تقاسم المواقع والنفوذ حتى يتيح لها ذلك طلب وضع أفضل، «إقامة دولة يهودية على كامل التراب الفلسطيني» دون اعتراض من أحد من القادة «ربما يكون لدى الشعوب الأخرى نقاط تفوّق، لكن من المشكوك فيه أن يكون هناك شعب يستطيع التفوّق على الشعب اليهودي»[3]، إن قمة الخداع اليهودي هو خلق واقع يفرض نفسه ويطيح بما سبقه وأن قمة الخداع أن تضرب الآخرين ثم تتهمهم بضربك، وأن قمة الخداع أن تقلب الحقيقة عن عمدٍ ثم تصدقها أنت قبل غيرك.

لقد كان من السهولة بمكان على الروح اليهودية إثارة الآخرين ودفعهم إلى مرحلة ردّ الفعل لاستغلال ذلك ضدهم «إن كان لي أن أختار بين إطلاق

---

(١) أسرار الدبلوماسية السوداء، حليم أبو عز الدين ص ٤٥.
(٢) الصهيونية المحاربة ص٧٥، ج. نيكيتا.
(٣) يهود عصرنا ص١٦٨، روبين.

النار على ألماني أو بولندي فسوف أختار البولندي»[١] لقد كانت أكبر الجاليات اليهودية تعيش في بولندا وكان الهدف إثارة البولنديين، حتى إذا ما أساؤوا لليهود كما هو متوقع تمّ استغلال ذلك ضمن التعبئة المطلوبة «إننا نطالب بإلقاء القنابل على كل البرلمانات الأوروبية، وإقلاق بال أوروبا كلها، لنسمم بكل الوسائل وجود كل الشعوب، حتى يأتي الوقت الذي ينفذون فيه مطالبنا»[٢] كان همّ الروح اليهودية (مطالبنا) خلق الأجواء الحربية المساعدة على تحريك الجغرافيا السياسية مما يسمح لها بإيجاد الوطن اليهودي وكان عليها أن تستمر في خلق أجواء تشنجية مستغلة ما تملكه من وسائل في هذا السبيل «إهتفوا بأعلى صوت، وبكل الأشكال، لاحقوا الرئيس، حرّضوا على بابا روما، أثيروا قادة الدول، أطلبوا العون ممن يريد أو لا يريد، واصرخوا بأعلى ما تستطيعون، يجب خوض الحرب بكل الوسائل، استغلوا الوسائل السياسية والاقتصادية، وارفعوا العواء، عواء حقيقي فوق كل العالم، مظاهرات واحتجاجات، تحقيقات صحفية، برامج إذاعية، أفلام، كل ما يمكن أن يذاع وينشر، وبأكبر كمية وعلى أوسع نطاق وبأكثر الأمور إثارة، الآن، في هذه اللحظات لأنّ الزمن يتحرّك ولن ينتظر[٣].

تلك هي أسباب الحرب العالمية الحقيقية، لقد دمرت الأوطان وقومياتها، وأبيدت الشعوب ومصالحها ومعيشتها، وخضعت الدول للديون اليهودية وحققت الروح الكثير مما كانت تصبو إليه، وطن قومي، ازدياد السيطرة، توسّع رأس المال اليهودي، انتشار التهوّد بين المسيحية وفوق ذلك كله عودة الفوقية اليهودية للتربّع فوق قمة القيادة العالمية، أصبح رجال المصارف العالمية أتباعاً لآل روتشيلد، والقادة المسيحيون عماليين أو

---

(١) جريدة نويه فيلت الصهيونية، بوليت.

(٢) بين اليهود ص ٣٢، جولد شتاين.

(٣) من كتاب إلى البيت، مطبوعة إعلامية إسرائيلية.

اقتصاديين يرنمون ترتيلة ماركس ولاسال اليهوديتين، وبات سياسيو العالم يرددون عقائد برغروتروتسكي وموسى هيس اليهود، وأساتذة الجامعات ومعلمو المدارس ينشرون مبادىء الأممية الثانية، وكان رأس المال اليهودي يموّل الدول والحكومات، والجمعيات والمنظمات اليهودية السرية والشيوعية والمرتدين يدمرونها[1]، فالأخوّة العالمية ليست حلماً جميلاً لدى الروح اليهودية «لأنّ العداوة أمر أساسي لتحقيق أعظم جهود الإنسان»[2] والعداوة تلد الحروب والحروب تلد لليهودية المال والسلطة.

لقد صرخ لينين مرة لأسباب خاصة به «إنّ الثورة مستحيلة بدون أزمة وطنية عامة»[3] وذلك أمر سليم فما حاجة الأوطان المستقرة للثورة؟ وإن كان التاجر لا يملك بضاعة للبيع فكيف يكسب ومن أين؟ تلك هي حال الروح اليهودية، كان عليها إيجاد البضاعة وتسويقها بين الشعوب لجني المال، والبضائع عادة ما تكون متنوعة الأصناف ليزداد الربح.

لقد أخرجت الحرب العالمية الجميع من خانة الانتصار، حتى لمن اعتقد أنه خرج منتصراً وآمن بذلك، فالاستعباد المالي والإنهاك الاقتصادي والخسائر البشرية كلها خسائر حتى لمن يزعم الانتصار، وأما الروح اليهودية فكانت الرابح الوحيد وازدادت رأسمالية مصارفها في العالم أضعاف أضعاف ما كانت عليه.

كذلك فإنّ الوفود اليهودية تقاطرت إلى مؤتمر الصلح في باريس من كل أرجاء العالم، وبينهم يهود متعصبون دينياً ويهود اشتراكيون وشيوعيون ومحافظون ومتطرفون توحّدوا جميعاً تحت راية الروح اليهودية وتطلعاتها، متناسين المبادىء التي يثيرون عليها الآخرين في البلدان التي يقيمون بها،

---

(١) الأخوة الأعداء ص ١١٩، جاك تني.
(٢) هرتزل.
(٣) المختارات،، الجزء الثالث ص ٥٤٠، لينين.

وكان أن أنشئت من هؤلاء «لجنة الوفود اليهودية إلى مؤتمر السلام» ثم التحق بها ممثلون عن المنظمة الصهيونية العالمية وبناي بريت، ويمكن ملاحظة تأثير هؤلاء على القادة المجتمعين الذين هم في الأصل خاضعون لسيطرتهم وكان أن أجبر المؤتمر على الأخذ بمبدأ حقوق الجماعات المحلية[١].

وتمّ تركيع بولندا وأجبرت على توقيع وثيقة معاهدة الأقليّات اليهود في بلادها «لا يجبر اليهود على القيام بعملٍ يشكل خرقاً لسبتهم أو أداء أي عمل إداري أو قانوني أيام السبت» وتبعها في التوقيع خمسة عشر بلداً أوروبياً آخر بهدف «ضمان وجود الأمة اليهودية» داخل الأمم وشرعنة حركتها[٢]، وهو أمر ليس له مثيل بالنسبة للأقليات العرقية الأخرى، مما ساعد الروح اليهودية لاحقاً في استثمار مسألة الأقليات العرقية وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية.

كان مبدأ حماية الأقليات خنجراً استعملته الروح لتجريح الوجود القومي الألماني، والنمسوي، والتشيكي والبولندي، وسرعان ما اجتاحت المظاهرات العنيفة هذه البلدان نتيجة قيام الإعلام الموجّه يهودياً بإثارة المشاعر حوله وما لبثت هذه الحركة أن امتدّت إلى رومانيا والمجر والشرق الأوسط فتزعزع الاستقرار العالمي تحت وطأة المشاعر الملتهبة وكان الهدف «أن يسود قانون صهيون»[٣].

تعتبر الحرب العالمية حدّاً فاصلاً بين ما هو قبل وما هو بعد، فالأمبراطورية البريطانية لم تعد عظمى بحال، وخسرت أملاكها للنظام العالمي الجديد أميركا الخاضع كلياً لسلطة الروح اليهودية، وجراح ألمانيا عميقة بعمق الإثم اليهودي على شعبها، وفرنسا وملايينها الثلاثة من القتلى وأما روسيا فإنّ الثمن الذي دفعه شعبها لا يمكن أن يعوّض، وحدها الولايات

---

(١) المادة التاسعة من قانون حقوق الجماعات المحلية، عصبة الأمم.

(٢) الأخوة الأعداء، جاك تني.

(٣) جون هننج.

المتحدة والتي باستثناء «بيرل هاربر» في الحرب الثانية لم تشهد أرضها دماراً أو خراباً بل أن مصانع السلاح والعتاد والركائز الاقتصادية الأخرى شهدت فورة لم يسبق للتاريخ أن شهد لها مثيلاً وراحت معاملها ومصانعها تعمل بأقصى الطاقة لتصبّ منتوجاتها في أتون الحرب الدائرة في أوروبا وشرقي أسيا.

وما كادت الحرب تنتهي حتى تحوّلت الولايات المتحدة لتصبح مركز الثقل ومقرّ التوجيه في الإدارة العالمية فالتصقت الروح اليهودية بها في عملية استعباد لم يسبق له مثيل «لقد أغلقت تقريباً كل سبل الخلاص من طوق العبودية الذي وضعه اليهود على رقبة أميركا ويقيمون عليها حراسات مشددة. إن مجرّد اقتراب أدنى الناس شجاعة من هذه السبل يبعث ألف صوت من أصوات النفير والإنذار، أما الذي يحاول الخلاص فإنه يلاقي مصرعه على أيدي من يريد مساعدتهم»، (الأخوة الأعداء ـ جاك تني)، وخرجت الروح اليهودية إلى العلن!

بدأت سيطرة الروح على الولايات المتحدة باكراً لأنّ طبيعة قيام هذا البلد ساعدها على التغلغل والانتشار وكان معظم من هاجر من البروتانيين الهاربين والروس وغيرهم إلى أميركا يحملون في ذاتيتهم تقبلاً للفكرة التهودية أو لمبدأ دمج اليهود وإعادتهم إلى الدين المسيحي، ولقد ضمت قافلة الروّاد الأول «القادمين إلى الولايات المتحدة بقيادة ويل برادفورد وهم «إنفصاليون» يرغبون في إصلاح المسيحية القائمة والعودة إلى كلام الرب، وكانوا خليطاً معظمه من البريطانيين وبعض الهولنديين والألمان والإيرلنديين يسعون لأن يجعلوا البلاد الجديدة مكاناً لجعل كلمة الله «تنير العالم بأنوارها البرّاقة» و«بناء بيت لحم جديد يؤمّه ملوك الأرض بأمجادهم» وإطلاق «حريّة العبادة» وكان معظمهم يؤمن بمذهب البيوريتانية الداعي لإعادة اليهود إلى فلسطين، من هنا كانت مسألة التغلغل اليهودي سلسلة، لأنّ الهاربين من بلادهم بسبب الاضطهاد الديني (الروّاد الأول ـ جيمس دوغرتي) المؤمنين

بعمق بالمسيحية القديمة آمنوا وبنفس المستوى بتعاليم العهد القديم أي التوراة، وكان لديهم «حنين» لقومياتهم السابقة وليس ولاءً عميقاً متجذّراً يمنع اختلاط الأعراق مما سهّل عمل الروح أيضاً، وساعدها لاستغلال هذه الحريات، حتى أن جيفرسون لم يتوان إبان إعداد وثيقة الاستقلال عن بريطانيا عن المطالبة بأن «يمثل رمز الولايات المتحدة أبناء إسرائيل تقودهم نهاراً غيمة وليلاً عمود من نار»[١]، ولم يقبل طلبه بسبب قلّة مؤيديه في ذلك الحين، غير أن هذا لم يمنع وضع نجمة داوود السداسية فوق رأس «النسر الأميركي» في شعار الولايات المتحدة حتى يومنا هذا! وللمرة الأولى وضع الشعب اليهودي على قدم المساواة مع سواه تعاملياً وعبادياً وقانونياً غير أنّ الطبع يغلب التطبع كما يقال، فالاستغلالية والمؤامرة والحقد هي جذور يهودية محض، إذ أنه سرعان ما استطاعت الروح السيطرة على الإدارة والاقتصاد والأجهزة الأيديولوجية وأجهزة العلم والثقافة والفن والدين «لم يكتف أنصار إسرائيل في الولايات المتحدة بحملات الضغط على المنظمات الدينية والعلمانية، لقد فهموا في مرحلة مبكرة، أنه وبدون الاستخدام المنظم لتعاطف الأميركيين معهم، يصبح من غير الممكن ضمان التأييد لأهدافهم السياسية، وأصبحت صياغة تعاطف الشعب وأميركا المسيحية في الاتجاه المطلوب واحدة من أكثر المهام حيوية، وعليه تمّ إرسال آلاف المحاضرين والكتب والمجلات الشهرية والمطبوعات التي تصوّر في العقل الأميركي فكرة داوود الديمقراطي الذي يعمل ضد جوليات العربي الشرير»[٢] واستطاعت الروح هنا أن تعمل «من» داخل الوجود الأميركي وليس «مع» الوجود الأميركي، لقد ساعد الموزاييك البيئي للتكوين الاجتماعي الأميركي الروح بشكل لم يعرف في تاريخ اليهودية سابقاً له، والتي راحت تتحرّك بتنظيم

---

(١) الأمبراطورية الأميركية ص ٧، كلود جوليان.

(٢) الوجه الآخر للميدالية ص ٢١،، ليلتنال.

واختصاص، وتمّ خلق منظومات هائلة تتولّى السيطرة على كامل الحياة الأميركية الدينية والاجتماعية والسياسية «إنّ الذين يعرفون الحقيقة أو يفطنون إليها فإنّ مصيرهم هو التشهير بالجنون، ويمكن القول وباختصار أن من الخطر الكفاح من أجل الحرية (للتخلص من النير اليهودي)[1] يقول جابوتنسكي: «يجب إخضاع المعارضين لليهود بالقوة، فلا يوجد ما هو أخلاقي أو غير أخلاقي للتنفيذ» فالمهم أن تصل الروح اليهودية في نهاية الأمر إلى مبتغاها، تهادن، تتلوّن، تعنّف، تتآمر، توجّه وتقود، ظنّ البريطانيون أنهم يمكن لهم استغلال اليهودية في الشرق للحفاظ على مصالحهم وسعوا لإقامة قاعدة يهودية فيه، فلما انتفت حاجة الروح اليهودية إليهم لجأت إلى الحرب والاغتيالات والمؤامرات فأخرجتهم من فلسطين (حروب إسرائيل[2] واستغلت بعدهم الفرنسيين وقبلهم أمماً أخرى، وكانت في كل مرة وعند انتفاء الحاجة إليهم تعمل على الاستقواء بآخرين عليهم كبديل، وكان البديل هذه المرة الولايات المتحدة، وقد يكون غداً زيمبابوي أو مدغشقر للاستقواء على الولايات المتحدة بعد أفول شمسها وامتصاص دم شعبها، ولكن البديل الحقيقي هذه المرة هو قيام الدولة اليهودية العالمية فللمرة الأولى تتمكن الروح اليهودية من إقامة قاعدة عمليات لها وليس لسواها وإن أظهرت مرحلياً أنها قاعدة عمليات للولايات المتحدة كما كانت تظهر أنها قاعدة للبريطانيين سابقاً.

يقال في الروايات الشعبية أن يهودياً تعرّض للغرق فسارع البعض لإنقاذه وراحوا ينادونه «هات» يدك فلم يقبل وكاد يشرف على الموت، ثم تقدم أحد الأذكياء وقال «خذ» يدي، «فأخذها» اليهودي وتمّ إنقاذه! والمسألة ليست رمزية بحال، إنما مبدأ عبادي وتعاملي من منطلق إيماني في الذات

---

(١) الأخواة الأعداء ص١٥.

(٢) حروب إسرائيل السرية ص ٥٠.

اليهودية «الأخذ» وليس «العطاء» فلماذا نغفل عن واقع التاريخ الحقيقي إن النظر إلى عظمة الولايات المتحدة الآن يحجب عن أنظارنا كيف كانت عظمة بريطانيا التي لا تغيب عنها الشمس من قبل، ومع ذلك فإنّ بريطانيا زالت عظمتها حتى لم تعد ترى الشمس إلاّ بقدر ما تقوم الروح اليهودية به في لحظات تهادن، فتبين بعض الحقائق جلية خلف الحجاب.

«إنّ أسباب البركة(!!) في أميركا عبر السنين، أننا أكرمنا اليهود، الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل، بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض(!!) إنّ المسيحيين الإنجيليين هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها»[١].

ولقد اندفع المسيحيون الأميركيون من أتباع مذهب العصمة والمذهب الإنجيلي للبحث عن الآيات التهودية لاستخدامها بهدف إقناع الرعية من الشعب الأميركي أن «الرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه مع الشعب اليهودي، لا بل ان «بيان البركة» اليومي الذي غدا سائداً في عظات يوم الأحد ربط دينياً مسألة بقاء أميركا بالبقاء اليهودي[٢]، ولا يجب أن نغفل عن أبعاد هذه النقطة أبداً وأعلن الواعظ جيم باكر والواعظون كينيث كوبلاتو وروبرتس وغيرهم «أن قدسية إسرائيل جزء من الكتاب المقدس»[٣] «ويقدر عدد المسيحيين الإنجيليين الذين يؤمنون بذلك ثلاثة ملايين أميركي، يعملون على دمج الرؤى الدينية مع تطلعاتهم السياسية، ويقول الإنجيلي جورج أوتيس عن إذاعة «صوت الأمل» في الجنوب اللبناني المحتل «أنها معجزة(؟!) هل تصورتم أنه سيأتي يوم يدفعنا اليهود لإقامة محطة مسيحية لحمل كلمة الرب إلى منطقة لم تعرف كلمة الرب منذ قرون»[٤](؟؟!)!

(١) من يجرؤ على الكلام ص ٣٩٥،، بول فندلي عضو مجلس الشيوخ الأميركي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

فالاندماج الديني التهودي للمسيحية الأميركية بات فعل إيمان مطلق يؤيده «خمسون مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في أميركا» ويخضعون لتوجيهات جماعة «المائدة الدينية المستديرة» بمعاونة لجنة صلاة الفطور»[١].

لم يقف عمل هؤلاء وسواهم (كما سيمرّ معنا) عند حدود الأداء الديني أبداً، بل ان الواقع الديني الذي فرض تحوّل إلى مطية بالاتجاه السياسي، يقول جيري فالويل «سيأتي يوم لا ينتخب فيه مرشح في الولايات المتحدة ما لم يكن مؤيّداً لإسرائيل» وتلك هي الحقيقة والواقع فمن يحكم من؟ ومن يدير من؟ هل يصعب المعرفة بعد؟!

إنّ ثلث سكان الولايات المتحدة على أقلّ تقدير ينظرون إلى العلاقة مع اليهود نظرة لاهوتية، والثلث الباقي لا يملك مقومات الرفض، «كثير من الأميركيين يؤمنون بأنّ الوجود اليهودي أمرٌ من الرب»، ويميلون للإيمان بالنبؤات اليهودية حتى رئيس الدولة «أعود إلى أنبيائكم الأقدمين في العهد القديم وعلامات اقتراب مجدون وأجدني أتساءل، هل نحن الجيل الذي سيشهد تلك الواقعة»[٢]، فرئيس السلطة الأميركية يتمنى من صميم فؤاده المفعم بالإيمان اليهودي أن تكون أيام مجد اليهود في أيامه.

كما وأن لاهوتيين أميركيين يعملون على التقرّب من الدين اليهودي بهدف هدايتهم إلى الدين المسيحي «على اليهود أن يصبحوا مسيحيين، طبعاً ليس اليوم وإنما في يوم من الأيام»[٣]، أما متى هذا اليوم، الله وحده يعلم، لأنّ المسيحية ماتزال تحاول ذلك منذ عهد يسوع نفسه مع عدم إغفال الذكاء اليهودي في استغلالية هذا التوجّه. ويتم التعامل والتعاون المسكوني بين الكنائس المسيحية الأميركية واليهود على نطاق واسع لدراسة التراث المشترك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الرئيس ريغان في حديث مع توماس داين مدير منظمة إيباك اليهودية.

(٣) نيويورك تايمز ١٩٨٤.

والتقريب بين الديانتين، ويعمل قسم «الديانات المختلفة» على تقريب وجهات النظر والمواقف السياسية الداعمة لهذا التوجّه الديني «هناك ثمانية آلاف مفكّر» ديني من المذاهب المسيحية المختلفة من الذين أقلقهم العداء لليهودية، يعملون معنا وعبر قنواتنا للحصول على الحقائق اللازمة(!!) لأبرشياتهم وعظاتهم في كنائسهم»[١] لأنّ أكثر مهمات العصر لدى الروح اليهودية «هي تعميق ونشر المعرفة اليهودية وإلقاء الضوء على القضايا اليهودية»[٢].

كتب الحاخام اليهودي الأميركي كرونباخ عام ١٩٦٣[٣] «مع بدء القرن الحالي تغيرت الظروف الأساسية لحياة اليهود وتحوّلت يهودية الغيتو إلى يهودية الانطلاق لتحافظ على جوهرها الأدبي»، وتمّ دفع الفلاسفة والمفكرين لنشر مبدأ الإرادة الذاتية في الفرد وعبادة القوة، ومن هذا المنطلق يمكن فهم الكيفية التي يتطلع بها الفرد الأميركي وبإعجاب للقوة اليهودية لقد كان مائير خارزيون قاتلاً يتولى رفاقه تقييد يدي العربي فيما يعمد هو إلى إخراج أحشائه وتقطيعها بالسكين أمام عينيه، وعدّ بطلاً وطرح اسمه ليكون خليفة لموشيه دايان وزير الدفاع[٤]، كما وأنّ قاتل الكونت برنادوت أصدر كتابه ذا الشهرة حول عملية القتل تلك دون عقاب أو اعتراض وتولّى مركز نائب في الكنيست الإسرائيلي، إنّ مبدأ القوة ظاهرة مطلوبة في الفكر الأميركي ككل، فغسل الأدمغة وتعليب الوعي ونشر الأضاليل وتوجيه القادة وشراء الذمم والتهديد والاغتيال ليست إلاّ وسائل استعملتها الروح حتى بلغت سيطرتها الكمال المطلق على الرأي والقرار الأميركي دون مبالغة في ذلك حتى ليمكن القول أن لا قرار أميركياً فعلياً، فحينما وقف الجنرال براون رئيس لجنة أركان

---

(١) الأخوة الأعداء ص ١٦٨، ، جاك تني.
(٢) من مقالات الفكر اليهودي.
(٣) اليهودية المعاصرة ص٢١، ايديلمان.
(٤) غزو بلا سلاح، نقلاً عن زارو بيجوم عدد ١٣/ ١٩٧٥.

الحرب في أميركا وهي أعلى سلطة ليقول: «يأتي إلينا الإسرائيليون في البنتاغون طالبين السلاح، وعندما نشير إليهم بأنّ الكونغرس لن يوافق يردون «لا شأن لكم بالكونغرس أتركوا الأمر لنا» انهم أجانب لكنهم يستطيعون تحقيق ما يريدون»[1]، لقد أجبر الجنرال رغم قوته ومركزه على الاعتذار، ولكن ذلك لم يكف الروح اليهودية فكان أن أبعد عن منصبه ليموت مهموماً بعدما فقد أصدقاءه ومقربيه نتيجة موقفه تجاه اليهود[2]، ولم يكن وحيداً في تعرّضه للعقاب، فقد كان هناك أمثال أندرو يونغ السفير، والقس والتر فونتروي، والنائب مكلوسكي وعضو مجلس الشيوخ تشارلز بيرسي وجاك تني العضو أيضاً في مجلس الشيوخ وبول فندلي وغيرهم، وكان ذنب هؤلاء وجريمتهم أنهم أشاروا بكلمات قليلة إلى سيطرة الروح اليهودية على أميركا أو تصرّفوا دون موافقة اليهود، أو أن بعضهم زلّت لسانه فحكى بعض الحقيقة عن الاستغلالية اليهودية للسلطة والشعب في أميركا.

وعندما يقال «قرار أميركي» فذلك منتهى الخطأ لأنّ القرار هو يهودي على لسان القادة الأميركيين «كتب على الشعب اليهودي أن يحكم العالم ويقود الحضارة»[3]، فالروح اليهودية هي القائد الفعلي الذي يأمر وأما قادة أميركا فليسوا إلاّ أداة، ولدينا آلاف الأمثلة لتأكيد هذه المقولة، نكتفي منها بواحدة للدلالة والأمر غدا معروفاً ومشهوراً.

عندما أراد الرئيس الأميركي رونالد ريغن إرسال المارينز إلى بيروت جوبه بالنقد والمعارضة الشديدة من مجلسي النواب والشيوخ، وأيقن ريغن من فشل مشروعه فالتفت إلى إيباك (المنظمة الصهيونية) طالباً مساعدتها، وبالفعل أقرّ المشروع في المجلسين دون عوائق وكان ردّ فعل الرئيس

---

(١) من مؤتمر صحفي في جامعة ديوك في داريم كارولينا الشمالية.
(٢) من يجرؤ على الكلام، بول فندلي.
(٣) جيرمان كوهين.

الأميركي أن اتصل بمدير المنظمة مستر داين ليشكره على هذه المساعدة وليدعوه كي يكون مستشاراً في قضايا الأمن القومي الأميركي[1]، وعقب نائب من أوهايو قائلاً: «إنّ إيباك هي أكثر المجموعات اليهودية الضاغطة نفوذاً في الكابيتول هيل وأقلها رحمة(!!)[2].

ولقد كان القس فرانسيس ساير حفيد ودرو ويلسون يتمتع بالشهرة والاحترام وعلى نطاق واسع داخل الكنيسة والمجتمع الأميركي ولكنه تجرأ مرّة وندد بسياسة إسرائيل طالباً الرحمة للفلسطنيين فجنّ جنون الروح اليهودية واصفة كلام ساير أنه «قمامة» و«إلى الجحيم» وتولّت الواشنطن بوست نشر التنديد المرسل من النواب والكتّاب وقادة المؤتمر المسيحي اليهودي حتى أن القس ماكانتاير وصف مقالة ساير بالقول أنّ «الليبراليين الذين يمثلهم ساير قد حادوا منذ زمن طويل عن وجهة النظر المسيحية» مضيفاً «ان على من يؤمن منّا بالكتاب المقدس وأنه كلمة الله فعليه أن يهب لمساعدة اليهود، فما أعطاهم الله يحق لهم أن يمتلكوه»، وتولى ركنان من زعماء مجلس كنائس واشنطن اتهام ساير بمعاداته لليهود، واشترك كهنة كاثوليك في تشويه سمعة ساير عبر الإعلام المرئي والمسموع حتى وصلت الهجمة إلى الكنيسة في كندا والتي راحت صحافتها تؤجج الغضب على ساير كي لا يجرؤ بعده أحد على القيام بطلب الرحمة للعرب.

وأما ساير فإنه لم يتراجع عن موقفه، وهو الذي كان يتمتع بمكانة رفيعة سابقة عند الطائفة اليهودية الأميركية، وأجلّه اليهود لأعماله في إنقاذ وتوطين اليهود الهاربين من أوروبا الشرقية في الحرب العالمية الثانية عندما كان رئيساً للكنيسة الأسقفية في كليفلاند ولكن الضغط اليهودي لم يرحمه، وتعرضت عائلته للترويع واضطر للتقاعد في جزيرة مارتاز فايينارد قرب رأس

---

(١) الجيروزاليم بوست ١٩٨٣.

(٢) من يجرؤ على الكلام، بول فندلي.

كلود للعمل كقسيس في المستشفى المحلي وأبعد عن تولي المسؤوليات الكنسية النظامية[1]، فمن يجرؤ على قول الحقيقة بعده؟ ومن يستطيع اتخاذ قرار ذي أهمية إن كان يتعارض مع توجيهات الروح اليهودية؟!

لفهم عمل هذه الروح لا بد من دخول مبنى «اللجنة اليهودية الأميركية ـ رابطة محاربي الافتراء».

وعلى أول باب كتب «أقسام تقصي الحقائق والبحث والقانون» ويقول المشرف على القسم «إن هذه المكاتب تقوم ومنذ زمن طويل بمراقبة دقيقة(!) لنشاطات أعداء الديمقراطية(؟)، وعلى الأرفف نرى خزائن أيضاً مملوءة بالملفات على النسق المتبع عينه في إدارة سجلات مكتب الاستخبارات الأميركي وقال المتحدث بصراحة «إن هذه الوثائق رتبت بعناية وتمّ تبويبها». وماذا يعني ذلك قال «ذلك يعني أنه لا يمكن أن ننكر بعد اليوم التشابه بين صعود النازية إلى السلطة في ألمانيا والأسلوب الحالي لأعداء حقوق الإنسان في بلادنا أميركا(!!)» وماذا تفعلون بكل هذه المعلومات فأخذنا إلى حجرة مليئة بالفتيات العاكفات على آلات الطباعة، ومطابع تصف أسطراً من المعدن لطبع آلاف الكتب الدعائية، وكان هناك كتبة، ولوحات تحويل هاتفية،، وآلات عرض أشرطة، وماكينات تصوير، ومذيعون ومعلقون وحجرات بثّ لنشر دعايات «رابطة محاربة الافتراء».

ثم دخلنا عبر باب آخر كتب عليه «باب الصحافة» وكان هناك رجل يملي على سكرتيرته المواد، سألناه عمّا تفعله الصحف بالمادة التي يرسلها إليهم قال: «إنّ معلوماتنا المقدمة للصحف تصل إلى الجمهور على شكل إفتتاحيات» ولما تابعنا مسيرتنا إلى قسم المجلات وجدنا طاولة كبيرة جلس عليها عدد من المنهمكين في قراءة المجلات والقصص البوليسية والغرامية

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢٢.

ومجلات التسلية وقال لنا المرشد «إنّ قسم المجلات يتولى مسؤولية استغلال صفحات المجلات لتمجيد اليهود وأضاف ان المجلات تضم قصصاً عن البطولة اليهودية في العالم وتوزع بكميات هائلة».

وفي حجرة أخرى برز مكتب للروايات الهزلية وبينها كتب للأطفال وقاعة للرسوم المتحركة، وشرح مرشدنا الأمر «إن رسوم الأطفال مفيدة جداً(!) وتحضر على أيدي فنانين اختصاصيين» وكان باب آخر هو قسم الكتب، ، وهناك أرفف عليها عشرات منها تحمل أسماء: هذا جزاؤهم، وواحد من كثيرين، ومتحدّون، وقوي كالشعب، ، وإله واحد وهذا ميراثنا، وخطر على الحق. وكلها كتب يهودية.

وأمّا قسم الأبحاث فهو مستودع من المعلومات فيه ما يزيد على مليوني موضوع يتعلّق باليهود ومعاداة السامية وكيفية مواجهتها[١].

وتابع «وهنا قسم لخنق الكتب المعادية لليهود وقسم للغات الأجنبية وهو يشرف على البث لمائتين وست عشرة إذاعة في أرجاء أميركا وأما مكتب النشاط الدولي فلم يُسمح لنا بدخوله.

وفي قسم النشاطات الثقافية قال مرشدنا: «إنّ هذا القسم يختص بالإشراف على شؤون المدارس ومراقبة العلاقات معها(؟!) ويعمل بالتعاون مع مكتب تعليم الثقافات وأساتذة الحلقات وناشري الكتب»[٢]!

انه وإن أردنا تعداد المنظمات والهيئات واللجان التي تشرف وتسيطر على القرار في الولايات المتحدة والتي أقامها اليهود لاحتجنا إلى كتاب خاص مستقل، ولقد استغلّ اليهود الحرية التي قامت على أساسها الولايات المتحدة وهي تسعى إلى تغيير الطبيعة الأميركية وتدمير الشعارات وتهويد

---

(١) نقلاً عن كتاب الأخوة الزائفة، عضو مجلس الشيوخ جاك تني.
(٢) المصدر السابق.

الأمة المسيحية وامتلاك قرارها وإرادتها ويتحقق قول أوسكار ستراوس «بأنّ الولايات المتحدة أقيمت فعلاً على اليهودية» وسيصبح شعب الولايات المتحدة وقادتها قريباً وقريباً جداً مجرّد عبيد في ثياب زاهية» «لو كنّا نريد توطين اليهود في مدغشقر لفعلنا ذلك منذ زمن طويل، لأنّ لا اهتمام لأحد بمدغشقر. ولكن فلسطين هي الآن مركز الاستراتيجية ومقرّ السياسة للقوى العالمية، إنني أريد من الصهاينة أن يفهموا ذلك، فليست العدالة ولا الإنصاف هي المهمة في العالم، وعلى حكومات العالم أن تقرر مواقفها من خلال مصالحها (معنا) هذه هي الاعتبارات الحاسمة وعلينا بناء سياستنا حسب هذه النظرة»[١].

لقد سادت الروح اليهودية الآن وبات العالم يبني مواقفه من خلالها كحجر الرحى، لقد أقيمت دولة اليهود وبدأ العصر اللاديني ولا يبدو أن هناك قوة تستطيع وقف الخداع، ، لقد غسلت أدمغة الأمميين وتحوّلت الأحزاب إلى أجرام في الفلك اليهودي «إنني متأكد بأنني سأظل نادماً ما حييت لتصويتي على ميثاق الأمم المتحدة»[٢] ترى لماذا يتحدث الزعماء عن الحقيقة عادة بعد سقوطهم؟

لم يعد بين السياسة والأخلاق علاقة، والصراحة والنزاهة صفات تقرأ في كتب الساسة لترديد العبارات الجوفاء أمام شعوبها، لقد تلطخت المتاريس بدماء الحرية والمساواة والآخاء ورحنا نغرق في الانتظار، كأنما نحن خراف تنتظر جزارها، وبات ثوب الحقيقة بالياً على أجسادنا لكثرة ما فيه من خروق يهودية، كأنما على أعيننا سرمدية الضلالة تحجب حتى أمانينا بالتطلع نحو المخلّص، فمتى يكون زمانه يا ترى؟!

حسن زعرور

---

(١) ناحوم غولدمان، المؤتمر اليهودي الكندي في ٣١ أيار ١٩٤٧.
(٢) السناتور الأميركي مكران.

ክ፡ ነገሢ፨ ዘሞቴ፡ ለአከ፡ በሐ፨
ደ ሰጣዴ፨ን ጸሎተ፡ ፃድሐ፡
ዴ ነሙር፨ሐዘሬነፍስ፡ አጽ
ውኅረ፡ ተመጠዎ፨ ኢሰመ፡
ኢመነነ፡ በሐ፨ እንበሮ፡ ኤጵ
ቆስ፡ ዲዮስቆሮስ፡ ኀበሌ፡ በ
ጸሎተ፡ ሐመሰ፡ ወበከረም
ቱ፨ ፨ ፨





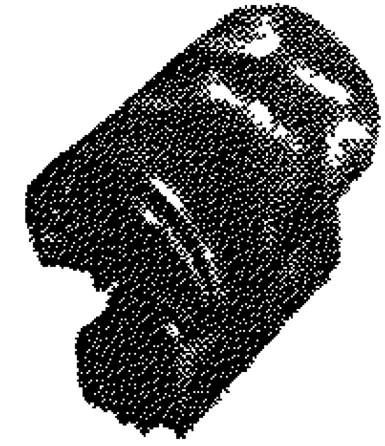
الفهرس

تعريف

التزوير الديني والتاريخي والسياسي، أقانيم ثلاثة، برعت اليهودية في إستخدامها لتحقيق سيطرتها وتنفيذ مخططاتها منذ القدم.

بالتحريف والإضافة والتحوير لتعاليم نبي الله موسى عليه السلام، وبالتعريض والتشويش والتشكيك على عظمة تعاليم روح الله عيسى عليه السلام، وبالخداع والأضاليل وحياكة التآمر بين الشعوب، وبإثارة الصراعات بين الأمم، تمكنت اليهودية عبر تاريخ طويل وصراع مرير من وضع نواة دولتها العالمية.

وسيف داوود، ومن خلال الدراسة للعهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) والتلمود والجمارة (التشريع اليهودي). ومن الأبحاث التاريخية الموثقة، والمكتشفات الأثرية الحديثة، يحاول ما أمكن له إظهار الأساليب التي عملت بها اليهودية في مؤامرتها هذه، دون مساس بأصالة الدين اليهودي، أو بروحانية الدين المسيحي النبيل، متوخياً من ذلك إظهار البينة لمن يريد أن يفهم ويعي خطورة المؤامرة اليهودية على مستوى العالم كله!



دار الرسول الأكرم

طباعة ـ نشر ـ توزيع

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك شارع القسيس خلف البلدية ، ص ب ٨٦٠١ / ١١

هاتف ٨١٤٢٩٤ / ٠٣ ـ فاكس ٨٢٣٥١٩ / ٠١ ـ ٠١٦٠١٠١٩